حوار الأديان في الأندلس

لأبي العباس القرطبي



تقديم وتعليق وتحقيق

أحمد حجازي السقا

مدبولي الصغير

حوار الأديان

في الأندلس

لأبي العباس القرطبي

تقديم وتعليق وتحقيق

الدكتور أحمد حجازي السقا

الناشر

مدبولي الصغير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فلذلك فادعُ واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾

صدق الله العظيم

المقدمـــة

ألّف قِسّيس من قساوسة النصارى كتابا فى الانتصار للمسيحية، وفى الطعن فى الإسلام وسماه : «تثليث الوحدانية فى معرفة الله» وبعث به من «طليطلة» إلى «قرطبة» بعد انتصار المسيحيين على المسلمين فيها.

وقد وقع هذا الكتاب فى يد عالم مُسلم ؛ فقرأه، وردّ عليه. ونقل فيه من كتاب مقامع الصلبان.

وفى تعريف معهد المخطوطات العربية بالقاهرة عن الرد أنَّه ردّ على كتاب ألفه أحد النصارى سمّاه «تثليث الوحدانية» بعث به من «طليطلة» إلى مدينة «قرطبة» فرغ منه سنة ٦٨٤هـ بـ «الكرَك» المحروس أ.هـ.

فهل الفراغ فى سنه ٦٨٤ كان من التثليث، أم كان من الرد ؟ إن المخطوطة المصورة فى معهد المخطوطات: مكتوب فى نهايتها أنها منقولة عن أصل فرغ منه كاتبه فى سنة ٧٢٦ هـ فى مدينة «دمشق» وقد تحير العلماء فى اسم مؤلف الرد فمنهم من قال : هو القرطبى مفسر القرآن الكريم. المتوفّى ٦٧١ هـ ومنهم من قال هو قرطبى. ولكن ليس هو المفسر.

لاحظ : تاريخ الفراغ من التأليف ـ الذى جاء فى أصل النسخة التى ينقل منها الناقل سنة ٨٧٩هـ ـ وهو سنة ٧٢٦ هـ ولاحظ : المكان الذى كان فيه النسخ أو كان فيه التأليف. وهو مدينة «دمشق» ثم اعلم: أن الإمام القرافى المتوفَّى سنة ٦٨٤ هـ مؤلف «الأجوبة

الفاخرة» فى الرد على النصارى. نقل فيه كلاما عن «أوغسطين» و«حفص بن البرقو» هو فى الرد. فيكون كتاب «الأجوبة» أصل إن لم نقل إنهما معا نقلا عن أصل قبلهما. وقد تبين لى أن مقامع الصلبان هو الأصل. وترجمة نصوص التوراة والإنجيل عند البوصيرى المتوفى ٦٩٦هـ هى نفس الترجمة الموجودة فى كل الكتب. وإن أنت قرأت هداية الحيارى لابن قيم الجوزية. المتوفى فى «دمشق» سنه ٧٥١ هـ وقرأت الرد تجد أن فى الكتابين تشابها. فيكون الرد هو الأصل لـ «هداية الحيارى» مع كتب غيره. فالجزء الثالث من هذا الرد هو فى إثبات نبوة النبى محمد ﷺ بإخبار الأنبياء به قبله. والاستدلال على نبوته بقرائن أحواله. وإعجاز القرآن. والمعجزات الحسية. والجزء الثانى هو فى نقد التوراة والإنجيل. وكل ذلك فى «هداية الحيارى» وقد ألف قرطبى - تُوفى سنة ٥٨٢هـ - كتابا فى الرد على النصارى. وسماه «مقامع هامات الصلبان» وفيه نصوص فى كتب كثيرة، مثل «الجواب الصحيح» لابن تيمية المتوفى ٧٢٨ هـ. وقد نقل منه ابن القيم جزءا من المناظرة التى جرت بينه وبين بعض علماء اليهود فى «المغرب» وفى مقدمة «مقامع هامات الصلبان» أن مؤلفه كان صبيا. والكلام المكتوب فى الكتاب لا يدل على أن المؤلف كان صبيا(١) ليس لهذا من تفسير إلا أن قسيسا قد كتبه، ووضع فيه حقا وباطلاً، ونسبه إلى قرطبى مسلم. أو أن هذا الصبى ناقل عن غيره. ونقل علماء المسلمين من بعده منه. وهم يعتقدون أن كل المكتوب فيه صحيح. وكتاب تخجيل من حرف الإنجيل، هو الأصل للجواب الصحيح. ومؤلفه هو الإمام صالح بن الحسين الجعفرى المتوفَّى ٦٦٨هـ وهو من مراجع إظهار الحق لرحمت الله الهندى مؤسس المدرسة الصولتية بمكة، والمدرس بالمسجد الحرام. المتوفى ١٣٠٨هـ وكتاب خير البُشَر بخير البَشَر لابن ظفر المتوفى ٥٦٥ نصوص التوراة والإنجيل التى هى فيه مختلفة ترجمتها عن ترجمة النصوص الموجودة فى المقامع والإعلام. والملفت للنظر: أن النص العربى للتوراة والإنجيل فى الكتب الإسلامية واحد. فهل هذا النص كان منتشراً فى جميع البلاد؟ يجب على المسلمين أن يبحثوا عن الكتاب الأول فى هذا الموضوع النفيس. مع العلم بأن شيخ الإسلام «ابن تيمية» المتوفَّى ٧٢٨ هـ كانت النصوص أمامه، مثل النصوص التى نقلوا عنها. وما أريد أن أقوله ههنا :

هو أن علماء المسلمين القدامى لم يستطيعوا الرد على اليهود والنصارى. وذلك لأنهم لم يصبروا على قراءة كتبهم، ولم يتحايلوا على علمائهم ليعرفوا أسرار الكتب، ولم يؤسسوا مدارس لتعليم اللغات الأصلية لكتب التوراة والإنجيل وهى العبرانية والسريانية واليونانية، ولم يجعلوا كتب التوراة والإنجيل فى مناهج التدريس فى المدارس الإسلامية. ولو من باب العلم بالشىء. ولأنهم لم يفعلوا ذلك ؛ لم يستطيعوا فى الزمن الماضى تفسير القرآن الكريم تفسيراً حسناً، ولم يستطيعوا الرد على أهل الكتاب.

والأمثلة على ذلك كثيرة :

١- منها : أن الصائبين المذكورين فى القرآن هم أتباع النبى يحيى عليه السلام. وقد كانوا يسمون بالصابغين. أى الذين يغطّسون التائب فى الماء، أو يرشونه به. وقد بين هذا نصرانى أسلم. هو الأستاذ عبد الأحد داود - رحمه الله.

فإن أتباع يوحنا المعمدان ويسمون بالصابئة الآن أو الصابغين ؛ هم فى الأصل يهود آمنوا بدعوة يوحنا المعمدان، التى هى اقتراب «ملكوت السموات» وهو ملك محمد ﷺ وشريعته. ويطلق على طائفة منهم اسم المندائية Mandaeans وهم مؤمنون بالله الواحد الخالق عز وجل. والخالق عندهم اسمه «الله» بصيغته العربية. وهو نور السموات والأرض. وفاضت منه المخلوقات. والمندائية يقولون : إنهم نصارى. أى محتقرون فى أعين اليهود. وينكرون أن يكون المسيح ابن مريم ابن الله[٢] المشار إليه فى المزمور الثانى. وكتابهم اسمه «السفر الكبير» أو الجينزا Ginza وهو يطرح نظرية الخلق على مثال ما جاء فى التوراة فى «سفر التكوين. ويذكر أسماء موسى ويوحنا وآدم وحواء وغيرهم بنطق يقرب من العربية. وفى كتب المندائية ؛ ذكر النبى محمد ﷺ. كمتنبئ عنه من قبل[٣]، وليس ذكرا يدل على معرفة للتعاليم الإسلامية، وهم يعظمون النبى يوحنا المعمدان ويسمونه يحيى. وذلك لأنه من الزاهدين المغسّلين. وآباء المندائية كانوا مغسلين ومصبوغين فى نهر الأردن، وتشبه شعائرهم فى الصلاة شعائراليهود.

٢ - ومنها عَجْز مؤلف الرد هذا، عن الرد على الشبهة التى أوردها القسيس على المسلمين . التى تبدأ من قوله : «وأنا أثبت لك: أن «المسيح» قد جاء، من كلام الأنبياء. قال النبى هُوشَع بن بئِيرِى - عليه السلام - هكذا بكلام عبرانى ...».

واكتفى بقوله : إن التوراة محرفة، وإن الأناجيل محرفة. ثم نقل عن «مقامع هامات الصلبان» وغيره، ولم يفطن إلى خطئهم وصوابهم.

وظل المسلمون على هذا الحال إلى هذا االعصر. حتى أن مؤلف «إظهار الحق» نقل من «الإعلام» ومن «هداية الحيارى» ومن تخجيل من حرف الإنجيل. وهو فى «تركيا» ولم يأت بجديد، وإنما أتى بقديم مفيد ولما طبعتُ «الإعلام» فى القاهرة. قدمتُ له بمبحث عن «أصل الأقانيم وتطورها» وبمبحث عن «المَسِيّا المنتظر» الذى هو «المسيح» [يو ١: ٤١] وبينتُ فيه : أن «المسيا» بحسب لسان بنى إسرائيل هو محمد ﷺ وقد جاء. وسبب ذلك : أن المسيحى مؤلف تثليث الوحدانية. يقول للمسلم : «وأنا أُثبت لك أن «المسيح» قد جاء من كلام الأنبياء» وأنه هو يسوع بن مريم. والمسلم الذى رد، لم يكن الموضوع واضحا أمامه فى عصره، كوضوحه فى عصرنا هذا. ولما وصلتُ إلى قول القسيس : «وأنا أثبتُ لك أن المسيح قد جاء من كلام الأنبياء. قال النبى هُوشَع بين بثيرى... الخ» بينتُ فى التعليقات مواضع النصوص التى استشهد بها، وراجعتُ كلامه العبرانى على التراجم التى بين يدىّ. وذلك اكتفاء بما وضحتُه فى المبحثين اللذين وضعتهما فى أول الكتاب. وهما يكفيان فى بيان الحق ووضوحه.

لكن كثيرين من أهل العلم من المسلمين والنصارى ؛ أرسلوا إلىّ، بما يفيد أننى قصّرت فى الرد على القسيس، ومن أجل ذلك طبعت هذا الكتاب. وأنبه: على أن القسيس سخر من المسلمين بقوله : اثبتوا صحة دينكم من التوراة والإنجيل، ولا تثبتوا صحة دينكم من الروايات المروية فى صحيح مسلم وغيره. ثم ذكر من مسلم حديث سفيان عن الزهرى عن عائشة. فى نكاح المحلل.

وقد عمل عمله قسيس مثله. ورد عليه الشيخ نجم الدين الطوفى الحنبلى المتوفَّى ٧١٦ هـ فى كتابه «الانتصارات الإسلامية فى كشف شبهات النصرانية».

■■■

الهوامش..

(١) فى مقدمة المقامع «ولما وقف الصبى على هذه الرسالة زجر موصليها، وامتنع عن مراجعة القسيس، تخوفا منه، لكونه يومئذ بين ظهرانيهم، وفى كنه ديانتهم، فألحوا عليه فى الجواب. وفى خلال ذلك حان سفره عنهم فكتب هذا الجواب المسمى بمقامع هامات الصلبان، ورواتع روضات الإيمان وتركه عندهم ومضى. وهذه نسخته»..

(٢) المزمور الثانى نبوءة عن محمد ﷺ.

(٣) يدل على ذلك: إنكارهم أن يكون المسيح ابن مريم ابن الله المشار إليه فى المزمور الثانى: لأن اللقب نبوءة عن محمد ﷺ كما قال عيسى نفسه فى إنجيل يوحنا. ومحرفو النصرانية جعلوا المزمور لعيسى؛ ليقفلوا الباب فى وجه محمد من قبل مجيئه.

أصل الأقانيم وتطورها

الأقانيم عند النصارى ثلاثة : هى أقنوم الآب ـ بمد الهمزة، ونطق الباء نطقا خفيفا وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس. وأصل «الآب» عندهم : لقب لله عز وجل وهو يساوى الأب. وأصل «الابن» عندهم : لقب للنبى المنتظر فى المزمور الثانى لداوود عليه السلام. ذلك لأنهم يقولون : ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ [المائدة : ١٨] كما حكى القرآن عنهم، ولما أرادوا جعل النبى المنتظر الذى أخبر موسى عليه السلام أنه سيأتى من نسل إسماعيل عليه السلام: نبيا منهم لا من نسل إسماعيل؛ وضعوا عليه لقب «ابن» كما يلقبون أنفسهم ؛ ليوهموا العالم أنه سيكون منهم لا من نسل إسماعيل. وأصل «الروح القدس» عندهم : لقب للنبى المنتظر أيضا فى الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا. فقد روى عن عيسى ـ عليه السلام: «بيركليت [1] الروح القدس» وبيركليت: اسم أحمد ـ ﷺ ـ والروح القدس : لقب لأحمد، أى أحمد المصطفى نبيا من الله القدوس الطاهر. ولما أرادوا ختم النبوة بعيسى ـ عليه السلام ـ جعلوه هو «الابن» وجعلوه هو «الروح القدس» أى لقبوه بلقبى «الابن» و «الروح القدس» بعدما جعلوه هو الله «الآب» وغرضهم من ذلك : قفل باب النبوة فى وجه محمد ﷺ.

وبيان ذلك :

لقد كتبوا ـ ونحن نجادلهم بما كتبوا بغض النظر عن صحته أو عدم صحته، لأنهم يعتقدون فى صحة المكتوب ـ كتبوا فى توراة موسى فى سفر التثنية فى الأصحاح الرابع عشر : أن الله ـ تعالى ـ خاطب اليهود بقوله : «أنتم أولاد للرب إلهكم»[تث ١٤ : ١] واليهود خاطبوا الله بقولهم : «أنت يارب أبونا» [إشعياء ٦٣ : ١٦] واليهود يقولون :

إن الأبوة والبنوة مجازية، أى أن الله تعالى ولىّ النعم وصاحب الفضل. وهم منتسبون إليه.

يقول شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية المتوفَّى سنة ٧٢٨ هـ - يرحمه الله - فى ذلك المعنى: «لفظ الابن يُعبر به عمن ولد الولادة المعروفة، ويعبر به عمن كان هو سببا فى وجوده، كما يقال : ﴿ابن السبيل﴾ لمن ولدته الطريق، فإنه لما جاء من جهة الطريق جُعِل كأنه ولده، ويقال لبعض الطير : «ابن الماء» لأنه يجىء من جهة الماء. ويقال : «كونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا» فإن الابن ينتسب إلى أبيه ويحبه ويضاف إليه. أى كونوا ممن ينتسب إلى الآخرة ويحبها ويضاف إليها. وهذا اللفظ موجود فى الكتب التى بأيدى أهل الكتاب فى حق «الصالحين» الذين يحبهم الله ويربيهم، كما ذكروا أن المسيح قال : «أبى وأبيكم، وإلهى وإلهكم» [يوحنا ٢٠ : ١٧] وفى التوراة : أن الله قال ليعقوب : «أنت ابنى بكرى» [خروج ٤ : ٢٢] ونحو ذلك. مما يراد به - إذا كان صحيحا له معنى صحيح - : المحبة له والاصطفاء والرحمة له، وكان المعنى مفهوما عند الأنبياء - عليهم السلام - ومن يخاطبونه، وهو من الألفاظ المتشابهة،فصار كثير من أتباعهم يريدون به المعنى الباطل»[٢] ا. هـ

يقول اليهود بذلك. لأن الآيات المحكمة فى التوراة تدل على أن الله واحد وليس كمثله شىء. ولم يره أحد، ولن يقدر أحد على رؤيته. ففى الأصحاح السادس من سفر التثنية : «اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد»[٣] وفى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «ليس مثل الله» وفى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج قال الله لموسى: «لا تقدر أن ترى وجهى، لأن الإنسان لا يرانى ويعيش» وقال النصارى الأوائل - الذين كانوا فى الزمن من قبل التحريف - بقول اليهود، لأن عيسى نبيهم قال لهم : ما جئت لأنسخ التوراة. وفى الأناجيل المتداولة إلى اليوم فى أيديهم - رغم تحريفها - دلائل على التوحيد والتنزيه. ففى الأصحاح الثانى عشر من إنجيل مرقس : نجد كاتبا (عالما) من علماء اليهود يسأل عيسى - عليه السلام - عن الوحدانية. فيجيبه بأن الله واحد. كما قال

فى التوراة موسى عليه السلام. يقول مَرقس : «فجاء واحد من الكتبة، وسمعهم يتحاورون. فلما رأى أنه أجابهم حسنا. سأله : أية وصية هى أول الكل؟ فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هى : اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هى الوصية الأولى».

وقد ذكر يوحنا فى الأصحاح الأول من إنجيله أن : «الله لم يره أحد قط» كما جاء فى التوراة.

●●●

وسبب تنبؤ داوود - عليه السلام - عن النبى المنتظر، وهو متّبع للتوراة، غير خارج عنها:

أن الله تعالى وعد إبراهيم(٤) النبى - عليه السلام - ببركة الأمم فى ولديه : إسماعيل وإسحاق - عليهما السلام - وأكد على ذلك فى أكثر من آية. فعن إسماعيل عليه السلام - قال الله لإبراهيم : «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه» [تكوين ١٧:٢٠].

وقال ملاك الله لهاجر - رضى الله عنها - : «ها أنت حبلى فتلدين ابنا، وتدعين اسمه إسماعيل. لأن الرب قد سمع لمذلتك. وأنه يكون إنسانا وحشيا، يده على كل واحد ويد كل واحد عليه» [تكوين ١٦ : ١١ - ١٢] وعن إسحق - عليه السلام - قال الله له : «أنا إله إبراهيم أبيك. لا تخف لأنى معك وأباركك. وأكثر نسلك. من أجل إبراهيم عبدى» [تكوين ٢٦ : ٢٤].

ومعنى البركة :

١- أن يكون من النسل ملوك على الشعوب ليحكموا الناس بشريعة الله حتى يحكم الناس أنفسهم.

٢- وأن يكون من النسل نبى يصطفيه الله بشريعة ليتحاكم بها الناس.

وبدأت البركة فى نسل إسحق أولا، فقد اصطفى الله ولده يعقوب - عليه السلام - لتحل البركة فيه، واصطفى من آل يعقوب (إسرائيل) موسى ابن عمران وأعطاه : التوراة

﴿موعظة وتفصيلا لكل شىء﴾ [الأعراف : ١٤٥] وجعل من بنى إسرائيل : أنبياء، لكن على شريعة موسى لا ينسخونها ولا يخرجون عنها، وجعل منهم ملوكا على الشعوب كما قال تعالى :﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء، وجعلكم ملوكا، وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين﴾ [المائدة : ٢٠] لقد جعل فيهم أنبياء وملوكا لتتحقق بهم بركة إبراهيم فى الأمم.

●●●

ثم نبه الله ـ على لسان موسى ـ على مجىء نبى من إسماعيل، تنتهى بمجيئه بركة إبراهيم فى الأمم بآل إسحق، وتبدأ بمجيئه بركة إبراهيم فى الأمم بآل إسماعيل، هو محمد ﷺ، كما كان موسى عليه السلام فى آل إسحق. قال موسى ـ عليه السلام ـ : «يُقيم لك الرب إلهك : نبيا، من وسطك، من إخوتك، مثلى. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حُورِيب يوم الاجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهى، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت. قال لى الرب : قد أحسنوا فيما تكلموا. أُقيم لهم : نبيا، من وسط إخوتهم، مثلك، وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى ؛ أنا أطالبه. وأما النبى الذى يُطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبى(٥)، وإن قلتَ فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى. فلا تخف منه» [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢].

ومعنى: «حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب، يوم الاجتماع، قائلا: لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا ؛ لئلا أموت» أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام ـ كما كتبوا ـ : «ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب، لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك ؛ فيؤمنوا بك» [خروج ١٩ : ٩] ولما جمع موسى الشعب نحو جبل حوريب ـ أى جبل طور سيناء ـ «كان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق

والجبل يدخن. ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد. وقالوا لموسى : تكلم أنت معنا فنسمع. ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت» [خروج ٢٠ : ١٨ ـ ١٩] فقال الله لهم : حسنا قلتم. وإذا أردتُ مخاطبتكم فسأرسل لكم نبيا مثل موسى له تسمعون وتطيعون.

وهذه النبوءة تنطبق على محمد ـ ﷺ ـ وهى المشار إليها فى الآية السابعة والخمسين بعد المائة فى سورة الأعراف، ووجه دلالتها عليه : أنها تحدد عشرة أوصاف للنبى المنتظر. كلهم فيه ﷺ :

١ـ نبى «يقيم لك الرب إلهك : نبيا».

٢ـ من بنى إسماعيل «من إخوتك» لأن إسحق أخ لإسماعيل، ولإسماعيل بركة مثل بركة إسحق.

٣ ـ مثل موسى «مثلى» وفى الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية : «لن يقوم فى إسرائيل نبى كموسى» إذاً الآتى من إسماعيل لأن لإسماعيل بركة.

٤ ـ ينسخ شريعة موسى «له تسمعون».

٥ ـ يكون ملكا. لقوله : «له تسمعون».

٦ ـ أمى، لا يقرأ ولا يكتب «وأجعل كلامى فى فمه».

٧ ـ أمين على الوحى الإلهى «فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

٨ ـ يزيل ملك بنى إسرائيل من العالم، أى ينهى البركة فيهم: «ويكون أن الإنسان» ـ من اليهود ـ «الذى لا يسمع» منه. لا يسمع «لكلامى الذى يتكلم به باسمى. أنا أُطالبه» أى الله ينتقم من الذى لا يسمع منه على يديه وأيدى أتباعه.

٩ ـ لا يُقتل «وأما النبى الذى يُطغى، فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ؛ فيموت ذلك النبى».

١٠ ـ يتحدث عن مغيبات، وتحدث فى المستقبل، كما قال : «وإن قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى. فلا تخف منه».

●●●

هذا النبى الذى تنبأ عنه موسى عليه السلام ووصفه بالأوصاف هذه ؛ كتب عنه اليهود نبوءة فى سفر المزامير (الزبور) ولقبوه فيها بلقب «ابن الله» ليوهموا الناس أن النبى المنتظر الذى تنبأ عنه موسى فى التوراة سيكون من بنى إسرائيل لا من بنى إسماعيل. ونص النبوءة، وهى الزبور الثانى : «لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعب فى الباطل ؟ قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا، على الرب وعلى مسيحه. قائلين : لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما. الساكن فى السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم، حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه. أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون، جبل قدسى. إنى أخبر من جهة قضاء الرب. قال لى : أنت ابنى، أنا اليوم ولدتك. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرض ملكا لك. تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزاف تكسّرهم. فالآن. يا أيها الملوك تعقلوا. تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب. بخوف، واهتفوا برعدة، قبّلوا الابن لئلا يغضب، فتبيدوا من الطريق، لأنه عن قليل يتقد غضبه، طوبى لجميع المتكلين عليه» ا.هـ [المزمور الثانى : ١ ـ ١٢].

ومعنى النبوءة : أن أمم الأرض سيفكرون فى القضاء على النبى المنتظر ودعوته. هذا النبى الملقب منهم بلقب «المسيح» وبلقب «ابن الله» لكن ﴿الله يستهزئ بهم، ويمدهم فى طغيانهم يعمهون﴾ [البقرة : ١٥] ثم ينصر نبيه، ويملكه على البلاد، خاصة البلد التى فيها جبل «صهيون» فى أرض فلسطين. ويقول داوود ـ إن كان هو القائل ـ : إنى أخبر بما قضى الله أزلا وقدر. إنى أخبر : أن الله قال عن النبى المنتظر، الملقب بلقب «المسيح» قال عنه : «أنت ابنى» أى ﴿اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى﴾ [الأعراف : ١٤٤] «أنا اليوم ولدتك» أى قدرت وجودك فى العالم من قبل أن تخلق، وسوف يمتد ملكك إلى أقصى الأرض، وسوف تنتشر أتباعك فى كل مكان. إنى أعظكم أيها الناس : أن تقبلوا دين هذا النبى، وأن تعملوا به، لئلا تهلكوا. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى التعليق على هذه النبوءة : «إنه إذا كان الأب فى لغتهم هو الرب، الذى يربى عبده، أعظم مما يربى الأب ابنه، كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الأبوة، فيكون المعنى : اليوم جعلتك مرحوما مصطفى مختارا» وقال شيخ الإسلام: «وحينئذ فلا يكون تسميته ابنا

لكون الرب أو صفته اتحدت به، بل كما سمى داوود : ابنا، وكما سمى إسرائيل : ابنا. فقال : «أنت ابنى بكرى» وهذا فى كتبهم».(٦)

ولما ظهر المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ وقال : إنه آخر نبى فى بنى إسرائيل، وسيأتى من بعدى نبى اسمه أحمد. انقسم بنو إسرائيل على أنفسهم. ففريق آمن بعيسى عليه السلام، وهم النصارى. وفريق كفر به. وهم اليهود. والفريق الذى كفر به. انقسم إلى قسمين : قسم قال : لا نؤمن بعيسى ولا نطبق نبوءات التوراة عليه، وإذا ظهر محمد، نقول : ليس هو النبى المنتظر المنبأ عنه فى التوراة، لأن نبوءات التوراة تشير إلى آخر لم يأت بعد، وإذا أتى سيكون من اليهود. وقسم قال : نتظاهر بالإيمان بعيسى ونطبق نبوءات التوراة عليه ظلما وزورا، حتى إذا ظهر محمد نقول : ليس هو النبى المنتظر المنبأ عنه فى التوراة، لأن نبوءات التوراة تشير إلى عيسى، وقد جاء. وتحمل «بولس» عبء الدعوة إلى تطبيق كل نبوءات التوراة على عيسى ابن مريم عليه السلام، والترويج لها بين النصارى. وقد وَجَدَ فى البدء صدا وإعراضا، ثم فى مجمع نيقية بتركيا سنة ثلاثمائة وخمسة وعشرين من الميلاد. أقر النصارى الضالون لأول مرة تطبيق نبوءة الابن على عيسى ـ عليه السلام ـ ففى الأصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل ما نصه : «وكان شاول ـ أى بُولُس ـ مع التلاميذ، الذين فى دمشق أياما، وللوقت جعل يَكْرِز ـ أى يبشر ويعظ ـ فى المجامع بالمسيح : أن هذا هو ابن الله» [أع ٩ : ٢٠] وفى نص قانون إيمان النصارى هذه العبارة : «ونؤمن برب واحد : يسوع المسيح، ابن الله» أى أن المسيح قد جُعل «الابن» المشار إليه فى الزبور الثانى، ليقفلوا باب النبوة فى وجه محمد ـ ﷺ ـ إلى الأبد.

وقد ألف الدكتور هانى رزق ـ وهو من نصارى الأرثوذكس ـ كتابا فى «النبوءات» سماه : «يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته» وطبعه فى مصر طبعتين اثنتين، ربط فيه بين نبوءات الأسفار الخمسة وبين نبوءة داوود عن النبى المنتظر، الملقب بلقب ابن الله، ونبوءات أخرى، وبين أن كل النبوءات تشير إلى نبى واحد هو فى نظره، ونظر جميع النصارى : عيسى ابن مريم. ويقول الدكتور هانى رزق فى تعليقه على نبوءة داوود : «القول القائل

«قال لى : أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك» يشير إلى أن يسوع المسيح هو ابن الله الآب، وأن ولادته من الآب هو منذ الأزل. إذ أن اليوم فى هذا القول : هو الأزل.... الخ»(٧)

هذا هو أصل أقنوم «الابن» عند النصارى. وأما «الآب» بمد الهمزة فهو الله عز وجل عندهم، وهو يساوى الأب فى اللغة العربية.

●●●

وأما أصل أقنوم «الروح القدس» : فهو نبوءة تنبأ بها النبى عيسى - عليه السلام - عن نبى الإسلام محمد - ﷺ - فى الأصحاح الرابع عشر وما بعده من إنجيل يوحنا. قال عيسى - عليه السلام - لتلاميذه : «إن كنتم تحبوننى، فاحفظوا وصاياى. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم مُعَزِّيًا آخر ؛ ليمكث معكم الى الأبد، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه ؛ لأنه ماكث معكم ويكون فيكم...

والكلام الذى تسمعونه ؛ ليس لى، بل للآب الذى أرسلنى.بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزِّى الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى ؛ فهو يعلمكم كل شىء، ويذكّركم بكل ما قلته لكم. وقلتُ لكم الآن قبل أن يكون ؛ حتى متى كان ؛ تؤمنون...

ومتى جاء المعزِّى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذى من عند الآب ينبثق ؛ فهو يشهد لى، وتشهدون أنتم أيضا ؛ لأنكم معى من الابتداء. قد كلمتكم بهذا ؛ لكى لا تعثروا. سيخرجونكم من المجامع، بل تأتى ساعة، فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله. وسيفعلون هذا بكم، لأنهم لم يعرفوا الآب، ولا عرفونى. لكنى قد كلمتكم بهذا، حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلته لكم.

ولم أقل لكم من البداية، لأنى كنت معكم. وأما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى، وليس أحد منكم يسألنى : أين تمضى ؟ لكن لأنى قلت لكم هذا، قد ملأ الحزن قلوبكم. لكنى أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّى. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذاك؛ يبكت العالم على خطية وعلى برّ وعلى دينونة.

أما على خطية فلأنهم لايؤمنون بى. وأما على بر ؛ فلأنى ذاهب الى أبى ولا ترونني أيضا. وأما على دينونة ؛ فلأن رئيس هذا العالم قد دين.

إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق ؛ فهو يرشدكم إلى جميع الحق ؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع، يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدنى، لأنه يأخذ مما لى، ويخبركم».

●●●

فى هذا القول : نرى المعزى «الروح القدس» أو المعزى «روح الحق» فمن هو المعزى الملقب بلقب «الروح القدس» أو «روح الحق» ؟ اتفقت كلمة اليهود والنصارى على أن الكلمة العبرانية «بِيركليت» التى تترجم فى اليونانية : «بِيركليتوس» معناها : أحمد. ويقول النصارى : إن عيسى لم ينطق «بيِركليت» بل نطق «باركليت» وهى صفة لا اسم، ومعناها : الذى يأتى عوضا عن عيسى ليعزى بنى إسرائيل فى فقدهم الملك والنبوة، وفى بعض التراجم كتبوا : «باركليت الروح القدس» وفى بعض التراجم كتبوا : «المعزى الروح القدس» ثم قال الأرثوذكس : إن المعزى الروح القدس هو نفسه عيسى ابن مريم. لأن عيسى - فى نظرهم - هو الله متجسدا، وقبل تجسده يلقب بلقب «الآب» وبعد تجسده يلقب بلقب «الابن» وبعد قتله وصلبه وصعوده إلى السماء يلقب بلقب «الروح القدس» ويقولون : إن عيسى الابن وهو يمشى بين الناس ؛ وعد قبل اختفائه بناسوته من الدنيا أن يجىء إليهم بعد خمسين يوما من الاختفاء فى صورة أخرى، منسبا نفسه بلقب «الروح القدس» لا بلقب الابن. وكتبوا هذا القول فى الأَصحاح الثانى من سفر أعمال الرسل.

وقال الكاثوليك : إن الآلهة متعددة، لا إلها واحدا متجسدا، كما يقول الأرثوذكس. الآب إله مستقل بنفسه، والابن إله مستقل بنفسه، والروح القدس إله مستقل بنفسه، ومع تعددهم هم واحد فى درجة اللاهوت، ويقولون : إن عيسى الابن وهو يمشى بين الناس ؛ وعد قبل اختفائه بناسوته من الدنيا، أن يرسل إليهم الإله الأخير - بعد خمسين يوما من الاختفاء - الإله الروح القدس. ومع هذا يقول الكاثوليك : إن «المعزّى الروح القدس» هو

نفسه عيسى ابن مريم، وغرضهم كغرض الأرثوذكس واليهود، وهو : جعل كل نبوءات التوراة والأناجيل الأربعة تنطبق على عيسى، لقفل باب النبوة فى وجه محمد ﷺ.

فى كتاب النبوءات الذى ألفه الدكتور هانى رزق : ربط بين نبوءات التوراة، وبين نبوءة داوود - عليه السلام - وبين تبشير عيسى عليه السلام بنبى من بعده فى قوله : «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا...الخ» وقال تحت نبوءة «المعزى» : إن عيسى يبشر بالأقنوم الثالث فى الثالوث المقدس، الذى هو نفسه عيسى عند الأرثوذكس، وغير عيسى عند الكاثوليك، وبين أن إشعياء قال فى سفره : إن الله تعالى قال لليهود : «كإنسان تعزيه أمه، هكذا أُعزّيكم أنَا» [إشعياء ٦٦ : ١٣] وأن عيسى لما نطق : «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا» كان ينطق استنادا على ما جاء فى سفر إشعياء عن «المعزى» يقول الدكتور هانى :

«بذلك تحققت نبوءة إشعياء بتعزية يسوع المسيح أبناء إسرائيل، المؤمنين باسمه، أثناء وجوده معهم، ثم وعدهم بإرسال المعزى الحقيقى. الروح القدس إليهم ليمكث فيهم ويكون معهم. وقد أطلق السيد المسيح - له المجد - كلمة المعزى والمرشد على «الروح القدس» إذ هو يعزى المؤمنين على احتمال كافة الأوجاع والأحزان، فى سبيل كلمة الرب، ويرشدهم إلى الحق».(٨)

ثم يبين الدكتور هانى : أن الروح القدس لقب للمعزى، وأن المعزى الملقب بالروح القدس هو نفسه عيسى - عليه السلام - على مذهب الأرثوذكس. يقول تحت عنوان : (الإله الواحد ذو الثلاثه أقانيم) : «يعلن الكتاب المقدس فى العهد الجديد عن أن الإله الواحد، قائم فى ثلاثة أقانيم هم : الآب، الأقنوم الأول، والابن يسوع المسيح، الأقنوم الثانى. والروح القدس، الأقنوم الثالث. وأن الثلاثة أقانيم فى وحدة كاملة هى الإله الواحد، الثالوث المقدس» أ.هـ.

وفى مجمع القسطنطينية سنه ثلاثمائة وواحد وثمانين من الميلاد ؛ اتفق النصارى على أن يكون عيسى هو «الروح القدس» كما اتفقوا من قبل على أنه هو الابن. وكتبوا هذه العباره فى قانون إيمانهم وهى : «ونؤمن بالروح القدس، الرب المحيى، المنبثق من

الآب، المسجود له. مع الآب والابن. الناطق فى الأنبياء» ليقفلوا باب النبوة فى وجه محمد - ﷺ - إلى الأبد.

●●●

وقد رد عليهم كثيرون من علماء المسلمين، ليدخلوا فى الإسلام فيسعدوا فى الدنيا والآخرة. ومن العلماء الذين ردوا: مؤلف تخجيل من حرف الإنجيل. ونقل كلامه الإمام الفقيه شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكى القرافى. فقد كتب فى كتابه «الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة» عن «نبوءة الابن» نقل أولا من عبارات الزبور الثانى لداوود عليه السلام، ثم بين أن النبوءة تشير إلى محمد - ﷺ - ونص عبارته : «قال داوود - عليه السلام - فى المزامير : «أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك، سلنى أعطيك الشعوب ميراثك، وسلطانك إلى أقصى الأرض، ترعاهم بقضيب من حديد، ومثل آنية الفخار تسحقهم».

ومحمد - عليه السلام - هو الذى ورث، وبلغ سلطانه أقطار الأرض، وأحاط بالأمم، وسامهم بسيفه، ولم يتفق هذا لداوود، ولا لأحد من بعده، فيكون هو المبشر به، وسمى : ابناً على العادة القديمة فى تسمية المطيع والنبى : ابناً. كما قال فى التوراة فى إسرائيل - عليه السلام - : «ابنى بكرى»(٩) ا.هـ.

والإمام الفقيه شيخ الإسلام ابن تيمية الحرانى. فقد كتب فى «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» عن «الفارقليط، الروح القدس» نقل أولا كلام يوحنا، ثم ذكر أقوال النصارى فى معنى «الفارقليط» ثم ذكر وجهة نظرهم، ثم رد عليهم ردا حسنا. ومن عبارته : «إن معنى الفارقليط. إن كان هو الحامد أو الحماد أو الحمد، أو المعزّى. فهذا الوصف ظاهر فى محمد - ﷺ - فإنه وأمته: الحمادون، الذين يحمدون الله على كل حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح خطبته، ومفتاح صلاته. ولما كان حمادا ؛ جوزى بوصفه، فإن الجزاء من جنس العمل، فكان اسمه : محمدا، وأحمدا. وأما محمد فهو على وزن مكرم ومعظم، وهو الذى يحمد حمدا كثيرا مبالغا فيه، ويستحق ذلك، فلما كان أحمد، كان محمدا. وفى شعر حسان بن ثابت :

وشق له من اسمه ليجله .·. فذو العرش محمود وهذا محمد

وأما أحمد، فهو أفعل التفضيل، أى هو أحمد من غيره، أى أحق بأن يكون محمودا، أكثر من غيره، يقال : هذا أحمد من هذا، أى هذا أحق بأن يحمد من هذا. فيكون فيه تفضيل له على غيره فى كونه محمدا. فلفظ محمد، يقتضى فضله فى الكمية، ولفظ أحمد يقتضى فضله فى الكيفية. أو من الناس من يقول: أحمد، أى أكثر حمدا من غيره، فعلى هذا يكون بمعنى الحامد والحماد.

وقال من رجح أن معنى الفارقليط فى لغتهم هو الحمد كما تقدم : إذا كان كذلك ؛ فهو ما جاء فى القرآن : ﴿ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد﴾ [الصف : ٦] ولا شك عندهم أنه اسم مشتق من الحمد ...الخ»(١٠) ا. هـ.

وقد وضحنا ذلك كله فى كتابنا : أقانيم النصارى. وفى كتابنا : الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والإسلام.

●●●

ولأنهم على باطل فى أصل الأقانيم، لأنهم أخذوا ما ليس لهم، وبنوا عليه معتقدا ومذهبا : اختلفوا فيما بينهم اختلافا شديدا، وتجادلوا جدالا عنيفا، ولعن بعضهم بعضا، وكفر بعضهم بعضا. وأذكر ههنا اليسير مما فى كتبهم عن هذا الموضوع ؛ ليكون شاهدا على ما نقول :

جاء فى كتاب «تاريخ الأقباط» لزكى شنودة فى الجزء الأول ما يلى عن الاختلاف والجدال :

قال «نسطور» : «إن مريم لم تلد إلها، بل ما يولد من الجسد، ليس إلا جسدا، وما يولد من الروح هو روح. إن الخليقة لم تلد الخالق، بل ولدت إنسانا هو آلة اللاهوت» وقال نسطور أيضا : «إنه لما كان الجزء اللاهوتى من طبيعة المسيح لم يُولد من العذراء، فلا يحق أن تسمى والدة الإله، بل والدة المسيح الإنسان» يريد أن يقول: إن المسيح ليس هو بإنسان كلى وليس هو بإله كلى، بل بعضه إله، وبعضه إنسان. وبذلك جعل للمسيح أقنومين. أحدهما : إنسانى. والآخر: إلهى. وأعتقد بأن الطبيعة الإلهية لم تتحد بالإنسان.

وقال «مكدونيوس» : «إن الروح القدس : عمل إلهى منتشر فى الكون، وليس أقنوما متميزا عن الآب والابن».

وقال«أوطاخى»: «إن طبيعة المسيح الناسوتية اندمجت فى اللاهوتية، إذ أن جسد المسيح. بما أنه جسد إله. لا يعتبر مساويا لجسدنا فى الجوهر، لأن طبيعته البشرية قد تلاشت فى الطبيعة الإلهية».

وقال «آريوس»: «نؤمن بإله واحد متعال، يفوق حد التصور، منطوى على نفسه، وهو من العلو بحيث لا صلة له بتاتا بأى شىء له نهاية، وهو فريد، لا شبيه له. أزلى لا بداية له، لا يموت، صالح، وهو وحده سبحانه ينفرد بهذه الصفات».

وقال «كرنثيوس» : «إن روح المسيح حلّت على يسوع الناصرى عند عماده من يوحنا بنهر الأردن حتى إذا قبض عليه اليهود ليصلبوه ؛ طارت روح المسيح إلى السماء تاركة يسوع يصلب وحده».

وقال : «أمونيوس السقاص» : «إننا يجب أن نضم جميع الأديان[١١] بما فيها الدين المسيحى فى دين واحد ؛ ليعتنقها الجميع، وأن نجعل مبادئ هذا الدين الجديد مرضية لكل أصحاب الأديان».

وقال «باريليدس» : «إن يسوع المسيح قوة غير هيولية، وأنه كان يتخذ لنفسه ما يشاء من الهيئات. ولذلك فإنه حين أراد اليهود أن يصلبوه ؛ اتخذ صورة سِمعان القروى، وأعطاه صورته. فصُلب سِمعان وأما يسوع فقد صعد إلى السماء».

وقال «كربوكراتس» : «إن المسيح إنسان كسائر الناس، وإنما يمتاز عليهم بقوته».

وقال «فالنقيوس» : «إن المسيح مركّب من جوهر روحى، وقد أخذ جسدا أثيريا من السماء، ومر به من جسد السيدة العذراء، ثم اتحد بجسد يسوع عند العماد. فلما أراد اليهود صلب يسوع ؛ تركتهُ روح المسيح إلى السماء وعلّق على الصليب جسد يسوع المادى».

وقال «سابيلوس» : «إن الله أقنوم واحد، وقد أعطى الناموس لبنى إسرائيل بصفته الآب، وصار إنسانا فى العهد الجديد بصفته الابن، وحل على الرسل فى عِلِّية صِهْيون[١٢] صفته الروح القدس. وإن جزءا من الطبيعة الإلهية انفصل عن الله الآب، وكوّن الابن بالاتحاد مع الإنسان يسوع المسيح. وأن جزءا آخر انفصل عنه فكون الروح القدس».

وقال «نيبوس»: «إن الوقت قد قرب ليملك المسيح على الأرض ألف سنة كأحد ملوك العالم».

وقال «بيرلس»: «إن السيد المسيح قبل ولادته من العذراء لم يكن له لاهوت متميز، وإنما كان له لاهوت الآب. أى أن المسيح لم يكن له وجود قبل ولادته من مريم، وأن النفس الإنسانية التى أصلها من الله دخلت بالولادة واتحدت بالإنسان، وهى بلا ريب فائقة كل النفوس البشرية ؛ لأنها منبثقة من الطبيعة الإلهية».

وقال «بولس السيمساطى»: «إن ابن الله لم يكن من الأزل، بل ولد إنسانا حلّت فيه كلمة الله وحكمته عندما ولد من العذراء. وأن هذه الحكمة التى مكّنته من أن يعلّم ويعمل العجائب ؛ قد فارقته حين أمسكه اليهود ليصلبوه. وبسبب هذا الذى حدث من اتحاد القوة الإلهية بالإنسان ؛ يسوغ القول : إن المسيح هو الله. ولكن مجازاً، لا حقيقة».

وقد أدّى هذا القول بالسيمساطى لأن يزعم بأنه كان فى المسيح أقنومان وابنان لله.أحدهما بالطبيعة والآخر بالتبنى.وبذلك شايع «سابيلوس»فى إنكار الثالوث الأقدس بقوله: «إنه يُوجد إله واحد هو الذى تدعوه الكتب المقدسة بالآب.وإن كلمته وحكمته ليست أقنوما، بل إنها فى الكيان الإلهى بمقام الفهم فى العقل الإنسانى».

وقال «مانى»: «إن الكون يحكمه إلهان، هما إله النور، وإله الظلام، وقد تمكن إله الظلام من مزج المادة المظلمة بقبس من النور. فكان هذا هو الإنسان المكون من جسد مأخوذ من مادة الظلام. ومن روح مأخوذة من فيض النور وقد أراد إله النور أن يخلّص عنصر النور فى الإنسان من عنصر الظلام ؛ فخلق من نفسه كائنين عظيمين هما : المسيح والروح القدس. وأرسل المسيح ليخلص أرواح الناس، ويعيدها إلى وطنها السماوى. وقد ظهر المسيح بين اليهود لابسا صورة جسد إنسانى وليس جسدا حقيقيا. وأعلن لهم السبيل الوحيد لخلاص

النفوس من أجسادها، وبرهن على لاهوته بعجائبه. ولكن إله الظلمة أغوى اليهود ؛ فصلبوه. ولما لم يكن له جسد ؛ لم تؤثر فيه الآلام. وقد عاد المسيح إلى عالم النور بعد أن ترك تلاميذه ليعلّموا الناس ديانته، ووعدهم بإرسال رسول أعظم يفصح عن حقائق أسمى، وهو «البارقليط».(١٣)

●●●

وبعد ما قدمنا طرفا يسيرا من الخلافات والمجالات فى العقائد الدينية ؛ نذكر أهم المجامع التى تقررت فيها العقائد النصرانية، فنقول عن الجزء الأول من تاريخ الأقباط :

١ ـ مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية

يُسمى مجمع نيقية بالمجمع المسكونى الأول. وعقد فى نيقية عاصمة «بثينية» بآسيا الصغرى فى ٢٠ مايو سنة ٣٢٥ ميلادية. بأمر الإمبراطور «قسطنطين» الكبير وقد حضره بنفسه وحضره ٣١٨ أسقفا غير القسوس والشمامسة من كل أنحاء العالم المسيحى.

وعند افتتاح جلسات المجمع دخل الإمبراطور «قسطنطين» وتصدّر الاجتماع. ثم ألقى خطابا حضّ فيه على فضّ المشاكل بالحكمة. ثم بدأ المجمع أعماله، ونظر فى المسائل المعروضة عليه.

وكان السبب الرئيسى لعقد المجمع : النظر فى بدعة «آريوس» الذى نادى بأن «يسوع المسيح ليس أزليا، وإنما هو مخلوق من الآب».

وكان أبرز الذين جادلوه : القديس «أثناسيوس الإسكندرى» وقد قرر المجمع : حرم آريوس وتحريم بدعته، وحرق كتبه، ونفيه إلى «الأليريكيون» بجوار بحر «الإدرياتيك» ووضع المجمع الجزء من قانون الإيمان، الذى يبدأ بعبارة: «نؤمن بإله واحد» وينتهى بعبارة «ليس لملكه انقضاء» ونصه :

«نؤمن بإله واحد. الآب ضابط الكل. خالق السماء والأرض. ما يُرى وما لا يُرى. ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من

نور، إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. مساو للآب فى الجوهر، الذى به كان كل شىء، الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا ؛ نزل من السماء، وتجسّد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنّس، وصُلب عنا، على عهد بيلاطُس البُنطى وتألم وقُبر، وقام من الأموات فى اليوم الثالث، كما فى الكُتب، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين أبيه، وأيضا : يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات، الذى ليس لملكه انقضاء»[١٤] اهـ

٢ـ مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية

كان الغرض من عقد المجمع : محاكمة أصحاب البدع[١٥] التى ظهرت فى ذلك الحين، ومنهم «مكدونيوس» و «يوسابيوس» و «أبوليناريوس» وكان مكدونيوس أسقفا أقامه الآريوسيون على القسطنطينية سنة ٣٤٣ م ثم عُزل فى سنة ٣٦٠ لمناداته ببدعة جديدة، وهى إنكار لاهوت الروح القدس. إذ قال : إن الروح القدس : مخلوق كسائر المخلوقات. وقد ناقشه المجمع ثم حرمه، وحرم بدعته، وأسقطه من رتبة الأسقفية. وكان يوسابيوس ينكر وجود الثلاثة الأقانيم، ويقول : إن الثالوث ذات واحدة، وأقنوم واحد، فناقشه المجمع ثم قطعه وأسقطه من رتبته. وكان أبوليناريوس، أسقفا على «اللاذقية» بالشام، وقد أنكر وجود النفس البشرية فى المسيح، واعتقد أن لاهوته قام مقام الروح الجسدية فى احتمال الآلام والموت، أى أن الآلام والموت قد وقعا على جوهر اللاهوت، كما اعتقد بوجود تفاوت فى العظمة بين الأقانيم الثلاثة. فالروح القدس عظيم، والابن أعظم، والآب هو الأعظم. وقد حكم المجمع بحرم أبوليناريوس، وتحريم بدعته، وإسقاطه من رتبته.

ثم وضع المجمع تكملة لقانون الإيمان الذى وضعه مجمع نيقية. ونصُّ التكملة :

«ونؤمن بالروح القدس، الرب المحيى، المنبثق من الآب، المسجود له مع الآب والابن، الناطق فى الأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لغفران الخطايا، ونترجّى قيامة الأموات، وحياة الدهر الآتى. آمين».

٣ـ مجمع أفسُس الأول سنة ٤٣١ ميلادية

كان الغرض من هذا المجمع : محاكمة أصحاب البدع التى ظهرت فى ذلك الحين، ومنهم «بيلاجيوس» و «نسطور» وكان بيلاجيوس يعتقد : أن خطيئة آدم مقصورة عليه، ولم تتسرب منه إلى نسله، ولذلك فإن الإنسان حين يولد يكون كآدم قبل الخضيئة، ومن ثم يمكنه بمحض إرادته وملكاته أن يبلغ أسمى درجات الكمال، وكان نسطور ينادى بأن «طبيعة السيد المسيح اللاهوتية منفصلة عن طبيعته الناسوتية» ورتّب على ذلك : أن اللاهوت لم يُولد ولم يصلب ولم يقم مع الناسوت. كما رتب على ذلك : عدم جواز تسمية العذراء بوالدة الإله، وتسميتها «أم يسوع» فقط. فانعقد المجمع وحكم بتحريم بدعة نسطور، وأثبت أن فى المسيح أقنوما واحدا وطبيعة واحدة بعد الإيجاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة. ولذلك فإن العذراء تُدعى بحق والدة الإله، وقد وضع المجمع مقدمة لقانون الإيمان تبدأ بعبارة : «نعظمك يا أم النور الحقيقى» وتنتهى بعبارة : «يارب ارحم، يارب بارك. آمين».

ونص المقدمة : «نعظمك يا أم النور الحقيقى، ونمجدك أيتها العذراء المقدسة، والدة الإله ؛ لأنك ولدتِ لنا مخلّص العالم، أتى وخلص نفوسنا. المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح، فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا. نبشر بالثالوث المقدس، لاهوت واحد، نسجد له، ونمجده. يارب ارحم، يارب ارحم، يارب بارك. آمين».

٤ـ مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ ميلادية

سبب انعقاد هذا المجمع : التماس تقدم به «أوطاخى» الذى كان قد اعترف بأن طبيعة المسيح الناسوتية، اندمجت فى اللاهوتية، وتاب من هذا الاعتراف، وطلب براءته ؛ فانعقد المجمع وحكم ببراءته.

كما ناقش المجمع : الأسقف «فلابيوس» الذى اتهم بأنه من أتباع «نسطور» وحكم بعزله من وظيفته. ولما لم يرق فى عين أسقف (روما) قرارات هذا المجمع، لم يعترف به، وطلب عقد مجمع «خلقيدونية».

٥- مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ميلادية

حضر هذا المجمع أساقفة روما، كما حضره البابا «ديسقُورُس» بطريرك الإسكندرية، ومعه أساقفته. وقد اشتد الخلاف فى اليوم الأول بين أساقفة روما وبين بطريرك الإسكندرية وأساقفته حتى إذا كان اليوم الثانى للمجمع ؛ منع البابا ديسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة،واجتمع أساقفة روما مع بعض أساقفة الشرق، وحكموا بعزل ديسقورس، ونفيه، ونادوا بعقيدة الطبيعتين والمشيئتين. وقد أراد الإمبراطور «مركيان» أن يُلزم البابا ديسقورس بأن يعترف بهذه البدعة، مهددا إياه بالقتل. فأجاب ديسقورس قائلا : «إن القيصر لا يلزمه البحث فى هذه الأمور الدقيقة، بل ينبغى له أن يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها، ويدع الكهنة يبحثون عن الأمانة المستقيمة ؛ فإنهم يعرفون الكتب، وخير له أن لا يميل مع الهوى، ولا يتبع غير الحق» فأصدر القيصر أمره بنفيه إلى جزيرة «فلاغونيا» بآسيا الصغرى.

ولا تعترف الكنيسة القبطية (الأرثوذكس) بمجمع خلقيدونية ولا بقراراته، كما لا تعترف بالمجامع التى عُقدت بالقسطنطينية بعد ذلك فى سنة ٥٥٣ وسنة ٦١٠ وسنة ٧٨٦ لمخالفة الذين اشتركوا فيها مع الكنيسة القبطية فى الاعتقاد بأن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة».

[انتهى من تاريخ الأقباط]

●●●

لقد تم الانفصال التام بين الكنائس الغربية، كنائس الكاثوليك (الملكانية) وبين الكنائس الشرقية كنائس الأرثوذكس (اليعاقبة) من يومئذ. أى من يوم مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ميلادية إلى يومنا هذا. ونحن فى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وألف من الميلاد، ونادى الكاثوليك : بعقيدة تعدد الآلهة، ونادى الأرثوذكس : بعقيدة تجسّد الإله.

والمسيح ابن مريم إله ثان من الآلهة الثلاثة عند الكاثوليك. إله مستقل بنفسه، والمسيح ابن مريم هو الإله المتجسد عند الأرثوذكس.

يقول الكاثوليك : إن الآلهة ثلاثة :

١ ـ الآب (الله).　　٢ ـ والابن (المسيح).　　٣ ـ والروح القدس.

ويقول الكاثوليك : إن المسيح فيه طبيعة إلهية كاملة، وطبيعة إنسانية كاملة ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ ويقول الأرثوذكس : إن الله ـ تعالى عما يقولون علوا كبيرا ـ حلّ فى بطن العذراء مريم، واتحد، وخرج إنسانا هو المسيح يسوع، ثم كبر وقتل ودخل القبر ومكث فى الجحيم ثلاثة أيام، ثم خرج من الجحيم إلى القبر. ومن القبر قام وارتفع إلى السماء، وقبل التجسد يسمى أقنوم الآب، وبعد التجسد يسمى أقنوم الابن، وبعد القتل يسمى أقنوم الروح القدس. والأقنوم عندهم مرحلة من مراحل ثلاث لذات الله تعالى. ويقول الكاثوليك : إنه لما ارتفع جلس بجوار أبيه. وهذا يعنى أنه إله مستقل عن الإله الآب. وأنه قبل قتله أوصى بقبول الروح القدس، وقد نزل بعد ارتفاعه، وهذا يعنى أن الروح القدس ثالث ثلاثة.

وقد رد الله تعالى عليهم فى القرآن الكريم بقوله لأتباع الكاثوليك والأرثوذكس : ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ أى ثلاثة آلهة متعددين، أوثلاث مراحل للإله الواحد. وردّ على الكاثوليك بقوله : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ ورد على الأرثوذكس بقوله :﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾.

■■■

الهوامش..

(١) بيِركليت، جاءت في الكتاب أيضا «فيرقليط» ثم حرفوها إلى «فارقليط» (باركيت) ثم حذفوها الآن من بعض الطبعات وكتبوا بدلها «المعزّى» بضم الميم وفتح العين وتشديد الزاى مكسورة.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل بدل دين المسيخ ـ ابن تيمية صفحة ٣٤٦، جزء ٢.

(٣) وقد استدل عيسى بهذه الآية على أن الله واحد كما جاء فى الأصحاح الثانى عشر من إنجيل مرقس، وورد أيضاً عنه فى متى ولوقا.

(٤) يُلقّب النصارى إبراهيم عليه السلام بلقب «بطريك» لأنه رئيس الآباء. وكلمة بطريرك من أصل يونانى (PATRIARCHES) وهى تتكون من مقطعين (PATRIA) أى عائلة و (ARCHE) أى رئيس.

(٥) فى التوراة السامرية، وفى ترجمة اليسوعيين : «فليقتل ذلك النبى» .

(٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ص ٢٢٨، ٢٣٩ جـ ٢.

(٧) يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته ص ٩٤.

(٨) يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته ص ٣٦.

(٩) كتاب الأجوبة الفاخرة ـ على هامش الفارق بين المخلوق والخالق لباجه جه زاده ـ مطبعة الموسوعات بمصر ص ٢٤٨.

(١٠) قال كثيرون من العلماء فى الخطاب الذى وجهه النبى ﷺ إلى قيصر الروم وحمله إثم الآريسيين فيه إذا لم يسلم : إن المراد بالآريسيين أتباع القديس آريوس الذى جهر ونادى بعقيدة التوحيد والتنزيه. وهذا القول سديد ؛ لأن أتباع آريوس ظلوا على دينهم من بعده ونادوا به.

(١١) فكرة العلمانية. وهى اتحاد الناس على قوانين بشرية، أصلها هذا القول.

(١٢) اقرأ الإصحاح الثانى من سفر أعمال الرسل.

(١٣) لاحظ: اعتراف «مانى» بمحمد [فى قوله: «ووعدهم بإرسال رسول أعظم يفصح عن حقائق أسمى. وهو البارقليط» والبرقليط هو اسم أحمد وحرفوا نطقه إلى بارقليط = المعزى الآن].

(١٤) النص من خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

(١٥) فى نظر النصارى.

المَسيَّا المنتظر

كان من عادة الكهنة - علماء بنى إسرائيل - أن يمسحوا الملوك بزيت، أو بدهن، عند توليهم الرئاسة على الناس، وكانوا يمسحون العلماء أيضا والأنبياء، ويُطلقون على الملك الممسوح، أو العالم أو النبى لقب : «مسيح» أى أن الله هو الذى اختاره واصطفاه واجتباه.

ولقب «المسيح» هو فى اللغة العِبرانية : «هاماشيح» و «ها» فى العبرانية تساوى الألف واللام فى العربية، فلذلك نُطقت : «ماشيح» والسريانية أى الآرامية تنطقها «ماشيح» ونطقها اليونان : «مسيح» وعُرفت فى اللغة العزبية واشتُهرت : «مَسِيًّا» بفتح الميم وكسر السين وتشديد الياء مفتوحة. ففى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا : «مَسِيا، الذى تفسيره المسيح» [يوحنا : ١ : ٤١].

ودليل الكهنة على المسح : آيات فى التوراة، منها قول الله لموسى : «وتُلبس هرون الثياب المقدسة، وتمسحه وتقدسه ؛ ليكهن لى، وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة، وتمسحهم كما مسحت أباهم ليكهنوا لى. ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتا أبديا فى أجيالهم» [خروج ٤٠ : ١٣ - ١٥] وقد مسح صموئيل : طالوت لما اصطفاه الله ملكا على بنى إسرائيل - كما هو مبين فى سفره - ومسح داوود مرتين، ومسح أيضا سليمان ابنه، وكذلك مسح إيلياء واليَسَع.

●●●

ولما كان لقب «مسيح الله» لقبا معظما فى بنى إسرائيل، يتفاخر بحمله الملوك والعلماء والأنبياء ؛ لقّبوا النبى الذى تحدّث عنه موسى - عليه السلام - بقوله : «يقيم لك

الرب إلهك نبيا... الخ» لقبوه بلقب «المسيح» وقالوا : نحن فى انتظار المسيح. وهذا هو أصل ظهور فكرة «المسيح المنتظر» فى العالم.

وفى مدينة «بابل» أراد اليهود قصر شريعة التوراة عليهم، وأرادوا أن يصدوا الناس عن محمد ﷺ إذا جاء. كُرها فى العرب الذين خذلوهم فى حربهم لنبوخذ ناصّر ملك بابل. فأوهموا الناس أن المسيح الذى ينتظرونه ليس من العرب أبناء إسماعيل، بل سيظهر من اليهود، ونشروا الشائعة هذه فى كل مكان حلّوا فيه. وهذا أول مكان ظهرت فيه فكرة المسيح المنتظر فى العالم على أنه سيظهر من اليهود .

ولمارجع اليهود من سبى بابل انقسموا إلى سامريين وعبرانيين، كما كانوا قبل السبى بقليل. وقال السامريون : إن المسيح سيظهر منّا، من آل يوسف - عليه السلام - وقال العبرانيون : إن المسيح سيظهر منا، من آل داوود - عليه السلام -

فقال المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - للعبرانيين : لن يظهر المسيح من آل داوود ؛ لأن داوود نفسه قال نبوءة عنه، وقال فى النبوءة : «إن النبى المنتظر سيدى» ولا يكون الابن سيدا لأبيه. وبالتالى : يكون النبى المنتظر، الملقب بلقب المسيح : لا يكون من آل داوود أبدا . يقصد: لا يكون ألبتة من اليهود.

وبعد رفع عيسى - عليه السلام - إلى السماء قال «بُولُس» للذين رضوا بتحريف دعوة عيسى - عليه السلام - : اجعلوا عيسى هو المسيح المنتظر، وقولوا : إنه هو الذى تحدثت عنه التوراة، وأسفار الأنبياء، ولا نبى بعده. فجعلوه هو المسيح المنتظر، مع أنه بيّن فى حياته : أن المسيح المنتظر سيأتى من بعده.

والآن. نسوق الأدلة من التوراة على أن المسيح المنتظر هو محمد رسول الله ﷺ وليس هو عيسى ابن مريم، كما يزعم النصارى، وليس هو إلى الآن لم يظهر، وإذا ظهر سيكون من اليهود، كما يزعم اليهود. وقبلما نذكر الأدلة نقول : إننا بهذا لا نقول : إن عيسى ابن مريم - عليه السلام - ليس مسيحا، بل نقول : هو «مسيح» ولكن لا نقول : إنه هو «المسيح» هو مسيح كطالوت وكداوود وكسليمان وكإلياس وكإليسع - عليهم السلام - ولكن ليس هو المسيح الموعود به فى النبوءات، بحسب اصطلاح اليهود والنصارى فى النطق والتعبير.

ولا قيمة لاختلاف الأسماء والألفاظ إذا وضحت المسمّيات. فإن «العبرة بالمقاصد والمعانى، لا بالألفاظ والمبانى» كما يقول أهل الأصول :

الدليل الأول : فى التوراة نبوءة عن النبى المنتظر، الذى يُلقبونه بلقب المسيا. وقال علماء بنى إسرائيل : إن هذه النبوءة أصل فكرة المسيا المنتظر، ومن أوصافه فى النبوءة يعرفونه إذا جاء، ونص النبوءة :

«يُقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى. له تسمعون... أُقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه ؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى ؛ أنا أطالبه. وأما النبى الذى يُطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ؛ فيموتُ ذلك النبى... الخ» وقد سبق ذكرها. والدليل على أنها تدل على المسيا : قول مفسرى التوراة فى شرحها : «يُعلن موسى إعلانا نبويا مَسِيًّانيا، عن النبى الذى سيأتى، الذى سيخلفه فى وظيفته كنبى.. الخ».(١)

أى أن الذى سيخلف موسى فى الدعوة، هو المسيا المنتظر الذى تشير إليه هذه النبوءة. وإذا كانت هذه النبوءة تدل على النبى المنتظر، الذى يلقبونه بلقب مسيا - وهى تدل - فإن المسيا المنتظر هو محمد - ﷺ - والدليل على ذلك : أن علماء بنى إسرائيل الذين أسلموا وكتبوا كتبا فى إثبات نبوة محمد - ﷺ - بأدلة من التوراة، قالوا : إن هذه النبوءة تشير إليه، وإن علماء المسلمين الذين أثبتوا كما أثبت علماء بنى إسرائيل قالوا بقولهم. ومن علماء بنى إسرائيل : شموئيل بن يهوذا بن أيوب فى كتابه «بذل المجهود فى إفحام اليهود» ومن علماء المسلمين : ابن قيم الجوزية فى كتابه «هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى» والقرافى فى «الأجوبة الفاخرة» وابن حزم فى «الفصل فى الملل والآراء والنحل» وكثيرون لا يُحصون عدّا. ومن كتاب الفِصَل ما نصه : «وأما إعجاز القرآن فإنما يعرفه العلماء بلغة العرب، ثم يعرفه سائر الناس بإخبار العلماء لهم بذلك. مع ما فى التوراة من الإنذار البيّن برسول الله - ﷺ - من قوله فيها : «سأُقيم لبنى إسرائيل نبيا من إخوتهم، أجعل على لسانه كلامى، فمن عصاه انتقمت منه ولم تكن هذه الصفة لغير محمد - ﷺ - وإخوة بنى إسرائيل هم بنو إسماعيل».(٢)

الدليل الثانى : فى التوراة، يقول يعقوب ـ عليه السلام ـ لبنيه : إن الملك لن يزول منكم، وإن الشريعة لن تزول منكم، إلا إذا أتى «شِيلُون» فإنه إذا أتى؛ يتسلمُ الملكَ، ويتسلم الشريعةَ، وتدين له أمم الأرض بالطاعة والولاء. قال يعقوب ـ عليه السلام ـ : «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون، وله يكون خضوع شعوب» [تكوين ٤٩ : ١٠] ومعلوم : أن الملك لم يزل من اليهود إلا على يد عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لما تسلّم مدينة القدس (أورشليم) من البطريرك «صفرنيوس» ومعلوم : أن النصارى شيعة من اليهود وطائفة. وعيسى ـ عليه السلام ـ هو آخر نبى فى بنى إسرائيل، ولم ينسخ التوراة. وإنما الذى صرح بنسخها هو نبى الإسلام ـ ﷺ ـ فهو الذى حقا زالت شريعة اليهود على يديه. والدليل على أن قول يعقوب ـ عليه السلام ـ هذا نبوءة عن المَسِيَّا المنتظر : قول مفسرى التوراة فى شرحها : «حتى يأتى شيلون : هذه عبارة صعبة. لكن يبدو أن أفضل تفسير هو ذاك الذى يعتبرها نوعا من الحديث عن المسيّا إذا تحرك الحرف الساكن ـ وهذا أمر مسموح به فى اللغة العبرية ـ فإن الكلمة يمكن أن تُترجم «الذى له»... الخ» [٣] أى أن النبوءة تدل على المسيا فى أفضل تفسير.

وإذا كانت هذه النبوءة تدل على النبى المنتظر الذى يلقبونه بلقب مسيا ـ وهى تدل ـ فإن المسيا هو محمد ـ ﷺ ـ والدليل على ذلك : هو الدليل الذى ذكرتُه فى النبوءة الأولى. ومن العبارات التى جاءت فى كتب تفسير القرآن الكريم عن هذه النبوءة: قولُ الشيخ أحمد مصطفى المراغى فى تفسيره المسمى «تفسير المراغى» : (جاء فى سفر التكوين : فلا يزول القضيب من يهوذا، والراسم من تحت أمره، إلى أن يجئ الذى هو له، وإليه تجتمع الشعوب» وفى هذا دلالة على مجىء محمد ـ عليه السلام ـ بعد تمام حكم موسى وعيسى). [٤]

الدليل الثالث : فى التوراة يقول الكاتب «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رسول الله بنى إسرائيل قبل موته : فقال : جاء الله من طور سيناء، ويشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبل فاران، ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه[٥] فوهب لهم وأحبهم ورحم شعبهم. وبَاركهم، وبارك على أطهاره، وهم يدركون آثار رجليك ويقبلون من كلمتك. أسلم لنا موسى مثله. وأعطاهم ميراثا لجماعة يعقوب... الخ» [تثنية ٣٣ : ١ ـ ٤] هذا النص من الترجمة اليونانية، وأما النص العبرانى فهو : «وهذه هى البركة التى بارك بها

موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته : فقال : جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سَعير، وتلألأ من جبل فاران. وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعبَ. جميع قديسيه فى يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك. بناموس أوصانا موسى ميراثا لجماعة يعقوب... الخ».

ودلالة هذه النبوءة على محمد - ﷺ - أنه يقسّم بركة الله التى وعد بها إبراهيم - عليه السلام - أن تتبارك الأمم فى نسله.

ونسل إبراهيم القائم بالبركة هو فى إسماعيل وإسحق - عليهما السلام - كما سبق ذكره. وموسى هو الذى نزلت عليه التوراة فى طور سيناء. وعيسى هو الذى نزل عليه الإنجيل فى جبل ساعير، وهما من نسل إسحاق - عليه السلام - وقد أشار بفاران إلى نبى يظهر من آل إسماعيل لتبدأ من وجوده بركة الأمم فى آل اسماعيل على يد واحد من نسله. والدليل على أنه يقصد بفاران نسل إسماعيل: يسوقه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هكذا: يقول فى الجزء الثالث من كتابه: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»:

«وبعضهم يقول فى الترجمة: «تجلّى الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير،واستعلن من جبال فاران» قال كثير من العلماء - واللفظ لمحمد ابن قتيبة -: ليس بهذا خفاء على من تدبر ولا غموض ؛ لأن مجىء الله من طور سيناء: إنزاله التوراة على موسى من طور سيناء - كالذى هو عند أهل الكتاب وعندنا - وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير: إنزاله الإنجيل على المسيح... وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح؛ فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران: إنزاله القرآن على محمد ﷺ وجبال فاران: هى جبال مكة. قال : وليس بين المسلمين وأهل الكتاب:خلاف فى أن «فاران» هى:مكة فإنْ ادعوا أنها غير مكة، فليس يُنكر ذلك من تحريفهم وإفكهم. قلنا : أليس فى التوراة : أنَّ إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران ؟ [تكوين ٢١:٢١] وقلنا : دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه، واسمه فاران ؟ والنبى الذى أنزل الله عليه كتابا بعد المسيح ؟ أو ليس «استعلن» و «علن» هما بمعنى واحد ؟ وهو ما ظهر وانكشف. فهل تعلمون:أنه ظهر دين ظهور الإسلام، وفشا فى مشارق الأرض ومغاربها فشوه ؟... الخ».(٦)

والدليل على أن بركة إسماعيل تعنى الملك والنبوة، وأن بركة إسماعيل مرتبطة بنبوءة فاران : يسوقه الإمام الشهرستانى هكذا فى الجزء الثانى من كتابه «الملل والنحل»: «واعلم : أن التوراة قد اشتملت بأسرها على دلالات وآيات تدل على كون شريعة المصطفى عليه السلام حقا،وكون صاحب الشريعة صادقا، بله ما حرفوه وغيروه وبدلوه. إما تحريفا من حيث الكتابة والصورة. وإما تحريفا من حيث التفسير والتأويل، وأظهرُها : ذكره إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل، ودعاؤه فى حقه وفى ذريته، وإجابة الرب تعالى إياه : «إنى باركت على إسماعيل وأولاده، وجعلت فيهم الخير كله، وسأظهرهم على الأمم كلها. وسأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتى» [تكوين ١٧ : ٢٠].

واليهود معترفون بهذه القضية. إلا أنهم يقولون : أجابه بالملك دون النبوة والرسالة.

وقد أَلزمتُهم : أن الملك الذى سلّمتم. أهو مُلك بعدل وحق، أم لا ؟ فإن لم يكن بعدل وحق، فكيف يمنّ على إبراهيم بملك فى أولاده. هو جور وظلم ؟ وإن سلّمتم : العدل والصدق من حيث الملك. فالملك. يجب أن يكون صادقا على الله تعالى فيما يدعيه ويقوله:

وكيف يكون الكاذب على الله تعالى صاحب عدل وحق ؟ إذ لا ظلم أشد من الكذب على الله تعالى، ففى تكذيبه، تجويره، وفى التجوير : رفع المنة بالنعمة. وذلك خُلف.

ومن العجب : أن فى التوراة : أن الأسباط من بنى إسرائيل، كانوا يراجعون القبائل من بنى إسماعيل، ويعلمون أن فى ذلك الشعب علما لدنيا، لم تشتمل التوراة عليه، وورد فى التواريخ : أن أولاد إسماعيل كانوا يسمون : آل الله، وأهل الله. وأولاد إسرائيل : آل يعقوب، وآل موسى، وآل هرون. وذلك كَسرٌ عظيم.

وقد ورد فى التوراة : «أن الله تعالى جاء من طور سيناء، وظهر بساعير، وعلن بفاران» [تثنية ٣٣ : ٢] وساعير : جبال بيت المقدس، الذى كان مظهر عيسى ـ عليه السلام ـ وفاران : جبال مكة، التى كانت مظهر المصطفى ـ ﷺ ـ ولما كانت الأسرار الإلهية، والأنوار الربانية فى الوحى والتنزيل والمناجاة والتأويل : على مراتب ثلاث : مبدأ ووسط وكمال.

والمجىء : أشبه بالمبدأ. والظهور : بالوسط. والإعلان : بالكمال ؛ عبرت التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل : بالمجىء على طور سيناء. وعن طلوع الشمس : بالظهور على ساعير. وعن البلوغ إلى درجة الكمال والاستواء : بالإعلان على فاران. وفى هذه الكلمة: إثبات نبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام».(٧) اهـ.

وبعدما عرفنا رأى أئمة المسلمين. ومَنْ يُريد أن يعرف رأى علماء بنى إسرائيل ؛ فليقرأ ما كتبه شموئيل بن يهوذا فى (بذل المجهود) نذكُر من كلام مفسرى التوراة ما يدل على أن تلك النبوءة ـ نبوءة فاران ـ تدل على المَسِيًا المنتظر.

يقول مفسرو التوراة، ما نصه : «فى يدك : الانتقال إلى ضمير المخاطب جعل البعض يعتقدون : أن هذه نبوءة عن المسيا الآتى... الخ».(٨)

الدليل الرابع : فى الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية : فى نشيد موسى عليه السلام : أن اليهود عبدوا الأصنام «فرأى الرب، ورذل من الغيظ بنيه وبناته. وقال : أحجب وجهى عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرتهم. إنهم جيل متقلّب. أولاد لا أمانة فيهم. هم أغارونى بما ليس إلها. أغاظونى بأباطيلهم. فأنا أُغيرُهم بما ليس شعبا. بأمة غبية أغيظهم».

إلى أن تكلم عن النبى الأمى الآتى من هذه الأمة. فقال : «تهللوا أيها الأمم ؛ شعبه ؛ لأنه ينتقم بدم عبيده، ويرد نقمة على أضداده، ويصفح عن أرضه. عن شعبه» [تث ٣٢ : ١٩].

لاحظ :

١. أنه سيُغيظهم بنزع الملك والنبوة منهم. وأن الذى سيقوم بالملك والنبوة من بعدهم «أمة غبية» جاهلة أمية. يبدأ الملك فيها من نبى يظهر منها.

٢ ـ وأن الأمم ستدخل فى دينه، وستفرح بشريعته.

٣ ـ وأن هذا النبى سيحارب عبّاد الأصنام، وسيفتح بلادهم.

٤ ـ وسيحارب أعداءه من اليهود.

٥ ـ وسيغفر الله لشعب هذا النبى ذنوبهم إذا كانوا يعملون بكتابه، ويستغفرون من ذنوبهم.

هذا هو النص العِبرى. وأما النص اليونانى. فإنه يذكر:

أ ـ الأمة الآتى منها هذا النبى.

ب ـ والأمم التى ستنضم لأمّته فى الإيمان به.

وقد استشهد «بُولُس» بهذه النبوءة على أن: أ ـ الأمة التى سيأتى منها هذا النبى هى أمة بنى إسرائيل. ب ـ وأن الأمم التى ستنضم إليه هم جميع أمم العالم. وأوّلهم أمة اليونان. وقال : إن النبى الآتى هو عيسى عليه السلام.

فبولس معترف بثلاثة هم :

أ ـ بنو إسرائيل ب ـ والأُمم جـ ـ وعيسى عليه السلام. واستدل على رأيه بنبوءات فى التوراة. والنبوءات التى استدل بها، هى لمحمد ﷺ. وقد تأوّلها لتدل على عيسى عليه السلام الذى هو «المَسِيّا» أو «المسيح الرئيس» فى نظره.

يقول فى الأصحاح الخامس عشر من رسالته إلى أهل روما :

«وإنى أقول : إن المسيح صار خادم أهل الختان ؛ ليفى بصدق الله ويثبت المواعد التى وُعد بها الآباء. أما الوثنيون فيمجدون الله على رحمته. كما ورد فى الكتاب : «من أجل ذلك سأحمدك بين الوثنيين، وأرتل لاسمك» [مز ١٨ : ٥٠] وورد فيه أيضا : «افرحى أيتها الأمم مع شعبه» [تث ٣٢ :٤٣] وورد أيضا : «سبحى الرب أيتها الأمم جميعا ولتُثن عليه جميع الشعوب» [مز ١١٧ :١].

لاحظ :

أنه وضع نبوءة نشيد موسى مع الأدلة. وترجمها «مع شعبه» تبعا للنص اليونانى. والنص اليونانى هو :

«تهللى معه أيتها السموات، واسجدوا له، يا جميع الآلهة. تهللى أيتها الأمم مع شعبه، ولتعلن قوته ملائكة الله جميعا ؛ لأنه يثأر لدم عبيده، ويرد الانتقام على خصومه، ويُجازى مبغضيه، ويكفر عن أرض شعبه».

وفى تفسير الكنز الجليل. ما نصه :

«تهللوا أيها الأمم شعبه».

الشعب هنا بيان للأمم. وذلك دليل على أن للأمم أن يكونوا شعب الله، وإنباءً بأن يكونوا كذلك. وفى بعض التراجم غيرالعربية : «تهللوا أيها الأمم مع شعبه» وهو يستلزم معنى ما سبق. وقد ترجم هذه العبارة بُولُس الرسول بذلك. فقال فى الرسالة إلى الرومانيين، مبينا أن الأمم مجدوا الله : «ويقول أيضا : تهللوا أيها الأمم مع شعبه» [رو ١٥ : ١٠] ولعله نقلها عن الترجمة السبعينية ؛ فإنها ترجمت فيها كذلك»...

«أثبت الرسول بما اقتبسه فى هذا الأصحاح من الناموس ومن المزامير ومن الأنبياء : أن «المسيح» كان مزمعا أن يأتى ؛ ليقبل اليهودَ والأمم. وعلى ذلك وجب على مؤمنى كنيسة رومية من اليهود والأمم أن يقبل بعضهم بعضا بكل محبة واتفاق. معتزلين الخلاف والانشقاق والتخطئة والاستخفاف» أهـ.

رأى علماء المسلمين فى نبوءة نشيد موسى :

بعدما بينا أن نبوءة نشيد موسى؛ نبوءة عن النبى الأمى الآتى إلى العالم دلالة على أنه سيُبعث من الأميين. وأن هذا النبى الأمى هو المعروف فى العالم بلقب «المَسِيّا» أو «المسيح» وأن «بولُس» قد طبق هذه النبوءة على «يسوع الذى يُدعى المسيح» نبين أنها تدل على محمد رسول الله ﷺ. وإذا ثبت أنها دالة عليه - وهى تدل - يثبت أن «المسيا» هو محمد ﷺ.

يقول مؤلف إظهار الحق ما نصه :

«البشارة الثانية : الآية الحادية والعشرون من الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية هكذا : «هم أغارونى بغير إله، وأغضبونى بمعبوداتهم الباطلة. وأنا أيضا أُغيرهم

بغير شعب، وبشعب جاهل ؛ أُغضبهم» والمراد بشعب جاهل : العرب ؛ لأنهم كانوا فى غاية الجهل والضلال، وما كان عندهم علم. لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية. وما كانوا يعرفون سوى عبادة الأوثان والأصنام(٩). وكانوا محقّرين عند اليهود ؛ لكونهم من أولاد هاجر الجارية.

فمقصود الآية : أن بنى إسرائيل أغارونى بعبادة المعبودات الباطلة ؛ فأُغيرهم باصطفاء الذين عندهم محقّرون وجاهلون. فأوفى بما وعد. فبعث من العرب : النبى ﷺ فهداهم إلى الصراط المستقيم. كما قال الله تعالى فى سورة الجمعة : ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾.

وليس المراد بالشعب الجاهل : اليونانيين. كما يُفهم من ظاهر كلام مقدسهم «بولُس» فى الأصحاح الخامس عشر من الرسالة إلى أهل روما : لأن اليونانيين قبل ظهور عيسى ـ عليه السلام ـ بأزيد من ثلاثمائة سنة، كانوا فائقين على أهل العالم كلهم فى العلوم والفنون. وكان جميع الحكماء المشهورين مثل سقراط وبقراط وفيثاغورس وأفلاطون وأرسطاطاليس وأرشميدس وبليناس وأقليدس وجالينوس وغيرهم. الذين كانوا أئمة الإلهيات والرياضيات والطبيعيات وفروعها قبل عيسى ـ عليه السلام ـ وكان اليونانيون فى عهده على غاية درجة الكمال فى فنونهم. وكانوا واقفين على أحكام التوراة وقصصها وسائر كتب العهد العتيق أيضا بواسطة ترجمة «سِبْتُوا جِنْت» التى ظهرت فى اللسان اليونانى بمقدار مائتين وست وثمانين سنة « ٢٨٦ سنة» لكنهم ما كانوا معتقدين للملّة الموسوية(١٠) وكانوا متفحصين عن الأشياء الحِكمية الجديدة. كما قال مقدسهم هذا. فى الأصحاح الأول من الرسالة الأولى، إلى أهل كورنثوس هكذا : «لأن اليهود يسألون آية. واليونانيين يطلبون حكمة. ولكننا نحن نكرِز بالمسيح مصلوبا. لليهود عثرة، ولليونانيين جهالة» فلا يجوز أن يكون المراد بالشعب الجاهل ؛ اليونانيين(١١) فكلام مقدسهم فى الرسالة إلى أهل روما ؛ إما مؤول أو مردود» ا. هـ.

الدليل الخامس : فى نبوءة بَلْعام بن بَعُور، عن النبى الأمى الآتى على مثال موسى. وهو محمد رسول الله : «والآن. هو ذا أنا منطلق إلى شعبى. هلّم أنبئك بما يفعله هذا الشعب بشعبك فى آخر الأيام. ثم نطق بمثله وقال : وحى بلعام ابن بعور. وحى الرجل المفتوح العينين، وحى الذى يسمع أقوال الله، ويعرف معرفة العلى. الذى يرى رؤيا القدير ساقطا. وهو مكشوف العينين. أراه. ولكن ليس الآن.أُبصره. ولكن ليس قريبا.

يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل ؛ فيحطم طرفى موآب، ويهلك كل بنى الوغا. ويكون أدوم ميراثا، ويكون سعير أعداؤه ميراثا» [عدد ٢٤ : ١٧ - ١٨].

لاحظ :

١ - أنه سيأتى بعد طول زمان. فهل يبدأ الزمان من موسى صاحب التوراة أم من زمان عَزرا الذى أعاد كتابة توراة موسى وحرفها عمدا ؟ ذلك قوله : «ولكن ليس قريبا» على أية إجابة. فإنه إلى زمن يحيى وعيسى - عليهما السلام - لم يكن قد ظهر هذا النبى. وذلك لأن علماء بنى إسرائيل قد سألوا يحيى : هل أنت النبى؟ وأجاب بقوله : «لست أنا إياه» وذلك فى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا.

٢ - وفى مجيئه. يحُطم طرفى موآب، بالحرب الشديدة. فهل حارب عيسى عليه السلام الذى يقول النصارى إنه هو صاحب هذه النبوءة ؟ من المؤكد أنه لم يحارب ولم يفتح بلادا.

٣ - وفى مجيئه يَرِثُ جبال سعير. فهل ورث عيسى الذى يقولون : إنه هو «المسيح الرئيس» جبال سعير ؟ من المؤكد : أنه لم يرث.

٤ - وموضع التحريف فى هذه النبوءة قوله : إن الكوكب أى الشريعة وإن القضيب أى الملك ؛ سيكونان فى بنى إسرائيل. فهل أتى عيسى بشريعة ؟ وهل رد الملك إلى بنى إسرائيل ؟ من المؤكد : لا. لم يأت بشريعة، ولم يجعل لهم ملكا.

٥ - وفى نبوءة نشيد موسى : أنه سيأتى من أمة أُمّية.

٦ - وفى نبوءة البركات الثلاث : أنه سيأتى من فاران.

٧ ـ وفى نبوءه شيلون : أن «المسيا» سيظهر فى آخر أيام بركة بنى إسرائيل وبدء بركة بنى إسماعيل، وستخضع له الشعوب. وعيسى لم ينه البركة فى بنى إسرائيل، ولم تخضع له الشعوب.

٨ ـ ويقول بَلعام فى بدء هذه النبوءة لبالاق : «والآن. هو ذا أنا منطلق إلى شعبى. هلم أنبئك بما يفعله هذا الشعب بشعبك فى آخر الأيام» قال المفسرون : إن المراد بآخر الأيام: هو المراد بالتكوين ٤٩ : ١٠ ودانيال ٢ : ٢٨.

والتكوين ٤٩ : ١٠ هو «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون. وله يكون خضوع شعوب».

ودانيال ٢ : ٢٨ هو : «لكن يوجد إله فى السموات، كاشف الأسرار. وقد عرّف الملك نبوخذ نصّر ما يكون فى الأيام الأخيرة».

فمن منهما الذى قد جاء فى نهاية الأيام ؟ عيسى أم محمد عليهما السلام؟

ولنذكر من أقوال مفسرى التوراة ما يدل على أن كلام بَلعام: أ ـ نبوءة ب ـ وأنها عن «المسيح» الذى هو «المسيا الرئيس» الذى هو «محمد رسول الله»

فى تفسير السنن القويم فى سفر العدد :

«أراه ولكن ليس الآن : لا يمكن أن يكون الذى يراه ولكن ليس الآن ؛ إسرائيل ؛ لأنه كان يرى إسرائيل حينئذ فى محلته أمام عينيه. فلزم من ذلك أنه يرى بعين الذهن من سيأتى. لا من هو فى الحضرة...

وفى ترجوم أُنكيلوس ما مترجمه : «يقوم ملك من يعقوب. والمسيح يمُسح من إسرائيل» قال ابن عَزّرا : «إن النبوءة فى داود، ولكن كثيرين من المفسرين، قالوا : إنها فى «المسيح».(١٢)

والظاهر : أن الذى ادعى أنه «المسيح» فى زمان «أدريان» الملك، ولقب نفسه بـ «باركوكب» أى «ابن الكوكب» أشار إلى هذه النبوءة.(١٣)

لاحظ:

أن الحَبْـر ابن عَزْرا قـال : إن نبـوءة بلعـام : فى «المسـيح» الرئيس، الآتى فـى آخـر أيام بركة بنى إسرائيل على الأرض.

وأن «المسـيح الرئيـس» إلى زمـان «إدريـانوس» الرومـانى سنة ١٣٢م لـم يكن قـد جـاء. بدليل : أن «ابن الكوكب» فـى تلك الأيام زعم أنه هو «المسيح الرئيس» فلو كـان هـو عيسـى أو كان هو نبيا من قبله؛ لما جرؤ «ابن الكوكب» أن يزعم أنه هو.

وقد وضّح مفسـرو التوراة : أن نبوءة بلعام فى معنى نبـوءة شِيلون. وعلى هذا الإيضاح؛ فإن ما ينطبق على نبـوءة شيلون ؛ ينطبق على نبوءة بلعام. وقد ثبت أن نبوءة شـيلون تدل على محمد رسـول ﷺ. وهـى نبوءة عن «المسيا» فيكون محمد رسول الله هو المسيا.

●●●

فـأنت ترى مما تقدم : أن نبـوءات التوراة (الأسـفـار الخمسـة) أفصـحت عن : ظهـور نبى من بعـد موسـى، مماثل له. وأن نبـوءات التـوراة هـى التى حـددت أوصـاف هـذا النبـى، الذى يلقـبونه بلقب «المَسـيـا» أى «المسيح المنتظر» وأن أئمـة المسلمين، بينـوا : أن نبـوءات التوراة التى حددت أوصـاف المسيا تدل على محمد - ﷺ - وكـذلك بين علماء بنى إسـرائيل الذين هداهم الله إلى الإيمـان. وبناء على هذا : يكون المسـيا هو مـحمـد رسـول الله - ﷺ - وليس هو عيسـى - عليـه السـلام - كمـا يزعم النصـارى، وليس هو نبى لم يظهـر بعـد، وإذا ظهر سيكون من اليهود - كما يزعم اليهود.

●●●

وفـى الأناجيل التـى بأيدى النصـارى نصـوص تدل على أن عيـسـى - عليـه السـلام - بين ووضح لليهـود : أن المسـيـا سـيـأتى من بعـده، ولن يكون من آل داوود. فـقـد روى مـتى فى الأصـحاح الثـانى والعشـرين من إنجيله ما نصـه : «وفـيمـا كان الفَـرِّيسـيُّون(١٤) مجتمعين، سـألهم يسـوع قائلا : مـاذا تظنون فـى المسـيح؟(١٥) ابن من هو؟(١٦) قـالوا له : ابن داوود.

قال لهم : فكيف يدعوه داوود بالروح : ربا ؟ قائلا: «قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك» فإن كان داوود يدعوه ربا ؛ فكيف يكونُ ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة» [متى ٢٢ : ٤١ ـ ٤٦] ومعنى الكلام : أن داوود ـ عليه السلام ـ قال فى سفر الزبور : إن الله تعالى قال لسيدى : كن معى حتى أنصرك على أعدائك نصرا مؤزرا. فمن هو سيد داوود الذى قال الله له : كن معى حتى أنصرك كما حكى داوود عن الله ؟ يقول عيسى ـ عليه السلام: حيث قال داوود : إن الله قال لسيدى، إذًا النبى الآتى : سيد داوود. وإذا ثبت أنه سيد لداوود، يثبت أنه لا يكون من نسله ؛ لأن الابن لا يكون سيدا على أبيه، وإذا ثبت أنه لا يأتى من نسله، فكيف يصح لليهود : أن يدعوا مع وضوح الدليل من كلام داوود نفسه : أن النبى المنتظر الذى لقبوه بلقب المسيا أو المسيح سيأتى منهم؟

وكلام داوود من ترجمة البروتستانت هكذا : «قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ؛ حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. يرسل الرب قضيب عِزّك من صِهْيون. تسلط فى وسط أعدائك، شعبك منتدب فى يوم قوتك، فى زينة مقدسة. من رحم الفجر ؛ لك طل حداثتك... الخ» [المزمور المئة والعاشر] ومن ترجمة الآباء اليسوعيين هكذا : «قال الرب لسيدى... إلخ».

●●●

ومن هذا يتبين : أن عيسى نفسه لم يقل : إننى أنا المسيح المنتظر، ويتبين : أن أوصاف الزبور لا تدل عليه ؛ لأنه لم يحارب ولم ينتصر على أعدائه. صحيح أنه أمر أتباعه بحمل السيف للقتال، ولكنه لم يحمل سيفا. ولم يجرد جيشا. ففى الأصحاح الثانى والعشرين من إنجيل لوقا يقول لتلاميذه : «حين أرسلتكم بلا كيس ولا مِزود ولا أحذية: هل أعوزكم شىء ؟ فقالوا : لا. فقال لهم : لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك. ومن ليس له ؛ فليبع ثوبه، ويشتر سيفا» [لو ٢٢ : ٣٥ ـ ٣٦] وفى الأصحاح العاشر من متى يقول : «لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض. ما جئت لألقى سلاما، بل سيفا»[متى : ١٠ : ٣٤]

وبعد رفع عيسى ـ عليه السلام ـ إلى السماء. نادى «بُولُس» بأن عيسى هو المسيح، لا مسيح، وزعم أنه ينادى، لا من تلقاء نفسه، بل لأن المسيح ظهر له فى الرؤيا، من بعد رفعه إلى السماء بزمان، وأمره فى الرؤيا : بأن ينادى فى الناس بأن عيسى كان هو المسيح وما كنا له بعارفين. ويقول العلماء : إنه لم يخدع السذج والبسطاء والعامة بهذه الحيلة إلا بعد مساندة له من بعض اليهود الذين تظاهروا باعتناق دعوة عيسى ـ عليه السلام ـ ليحرفوها. وقولهم هذا قد استدلوا عليه بآيات فى رسالة بولس إلى أهل غلاطية فى الأصحاح الثانى. وهو قوله : «ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضا إلى أورشليم، مع بَرْنابا آخذا معى تيطُس أيضا. وإنما صعدت بموجب إعلان[١٧] وعرضت عليهم الإنجيل الذى أَكْرِزُ به بين الأمم، ولكن بالانفراد على المعتبرين ؛ لئلا أكون أسعى أوقد سعيت باطلا... الخ» [غلا ٢ : ١ ـ ٢] لماذا عرض عليهم إنجيلا سِرِّيا للغاية ؟ لماذا عرضه على الأعيان والوجهاء البارزين فى المذهب على انفراد ؟

أكانت دعوة عيسى سرية ؟ كيف ذلك ؟ وفى الأصحاح الثامن عشر من إنجيل يوحنا : «فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه ؟ أجابه يسوع : أنا كلمت العالم علانية. أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما، وفى الخفاء لم أتكلم بشىء. لماذا تسألنى أنا ؟ اسأل الذين قد سمعوا: ماذا كلمتهم. هو ذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا»؟[يوحنا ١٨:١٩ ـ ٢١].

●●●

وهذا هو النص الذى فيه الرؤيا، والذى فيه أنه جهر بعد الرؤيا بأن عيسى ـ عليه السلام ـ هو : «ابن الله» الذى تحدث عنه داوود ـ عليه السلام ـ فى المزمور الثانى، وهو : «المسيح» الذى تدل عليه نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء.

فى الأصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل : «أما شاول ـ بولس ـ فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب. فتقدم إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى دمشق، إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى

أورشليم. وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له : شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذى أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس. فقال وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب : قم وادخل المدينة، فيقال لك : ماذا ينبغى أن تفعل ؟ وأما الرجال المسافرون معه ؛ فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا. فنهض شاول عن الأرض، وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحدا. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق. وكان ثلاثة أيام لا يبصر، فلم يأكل ولم يشرب.

وكان فى دمشق تلميذ اسمه حنانيا. فقال له الرب فى رؤيا : يا حنانيا. فقال : هأنذا يارب. فقال له الرب : قم واذهب إلى الزقاق الذى يُقال له : المستقيم، واطلب فى بيت يهوذا رجلا طرسوسيا، اسمه شاول، لأنه هوذا يصلّى. وقد رأى فى رؤيا رجلا اسمه حنانيا داخلا وواضعا يده عليه لكى يبصر. فأجاب حنانيا : يارب قد سمعتُ من كثيرين عن هذا الرجل، كم من الشرور فعل بقديسيك فى أورشليم، وههنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك. فقال له الرب : اذهب. لأن هذا لى إناء مختار ؛ ليحمل اسمى أمام أمم وملوك وبنى إسرائيل ؛ لأنى سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجل اسمى. فمضى حنانيا، ودخل البيت ووضع عليه يديه، وقال : أيها الأخ شاول، قد أرسلنى الرب يسوع الذى ظهر لك فى الطريق، الذى جئت فيه لكى تُبصر وتمتلئ من الروح القدس. فللوقت وقع من عينيه شئ كأنه قشور، فأبصر فى الحال، وقام واعتمد، وتناول طعاما فتقوى.

وكان شاول مع التلاميذ الذين فى دمشق أياما. وللوقت جعل يَكْرِز فى المجامع بالمسيح : أن هذا هو ابن الله. فبهت جميع الذين كانوا يسمعون، وقالوا : أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم، وقد جاء إلى هنا لهذا ؛ ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة ؟

وأما شاول فكان يزداد قوة، ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققا : أن هذا هو المسيح... الخ» [أع ٩ : ١ـ ٢٢].

وواضح من هذا النص : أن اليهود لما اضطهدوا عيسى ابن مريم - عليه السلام - وأتباعه، ولم تتوقف الدعوة عن الانتشار مع الاضطهاد ؛ رأوا أن يتظاهر بعضهم باعتناق الدعوة، ثم يكيدوا لها كيدا، ومن اليهود الذين اضطهدوا الأتباع علنا : بُولس. الذى كان من سكان مدينة «طرسوس» ولما لم يُجد الاضطهاد : زعم أن عيسى نفسه ظهر له بعد قتله وصلبه - كما يزعمون - وأمره أن لا يضطهد أتباعه، وأمره أيضا أن ينطلق بالدعوة لا إلى بنى إسرائيل أنفسهم، بل وإلى جميع الأمم. ولم يأمره بالدعوة التى جاء بها فى حياته - فإنه لم يقل إنه هو المسيح الذى تدل عليه النبوءات - بل أمره بغير ما صرح به فى الحياة الدنيا.

■■■

الهوامش..

(١) النص من كتاب العذراء فى التاريخ الكنسى - انظر ص ٦٠ من كتابنا أقانيم النصارى.

(٢) النساء: ١٧١.

(٣) المائدة: ٧٣.

(٤) تفسير الكاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافيدسون - المجلد الأول ص٤٠٣.

(٥) الفِصَل لابن حزم الظاهرى الأندلسى جـ١ - ص١١١.

(٦) تفسير الكاتب المقدس لجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافيدسون - المجلد الأول ص ٢١٠.

(٧) تفسير المراغى فى سورة الأعراف الجزء التاسع ص ٨٢. وانظر أيضا تفسير المنار للشيخ رشيد رضا.

(٨) فى الترجمة اليونانية ترجمة حرفية بمصر «ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه عشرة آلاف قديس».

(٩) الجواب الصحيح جـ٣ص٣٠٠.

(١٠) الملل والنحل للشهر ستانى - على هامش الفصل لابن حزم جـ٢، ص٥١ - ٥٣.

(١١) تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين - برئاسة الدكتور فرنسيس دافيدسون - المجلد الأول ص ٤٧٠.

(١٢) قول المؤلف أن العرب كانت تعبد الأوثان قول باطل، لأن الله عهد إليهم بتطهير بيته منها، ولم يقل فى القرآن إنهم نقضوا العهد. ولأن دعوة إبراهيم مستجابة فيهم بعدم عبادتهم للأوثان. وكانت الدعوة فى الوقت الذى لم يكن لإبراهيم إلا إسماعيل. والذين عبدوا صنم البعل هم اليهود فى زمن إلياس. كما جاء فى القرآن. واليهود أيضا عبدوا صنم مناة كما جاء فى سفر إشعياء. وبنوا إبراهيم

من قطوره عبدوا الشمس فى اليمن كما جاء فى القرآن. وقد خاطب الله اليهود بقوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة﴾ ثلاثة آلهة أنثى. والعزى إلهة أولى، ومناة إلهة أخرى لهدف واحد. ومازال هياكلهم فى بلاد الشام والذين وأدوا البنات؛ هم اليهود. كما فى المزمور المئة والسادس.

(١٣) قول الشيخ رحمت الله الهندى مؤلف إظهار الحق : إن اليونان ما كانوا معتقدين للملة الموسوية؛ يردّه : ما جاء فى سفر أعمال الرسل وهو أن اليونانين كانوا على شريعة موسى وهو : «فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التى ولد فيها... والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء. كريتيون وعرب» [أع ٢ : ٨] وأهل الروم كانوا يتكلمون باللغة اليونانية.

(١٤) اليهود يُطلقون على غير جنسهم لقب «أمى» ولو كانوا من الراسخين فى العلم. وغرض بولس من الأمة الأمية : هو جميع الأمم الوثنية. وفى مقدمتهم «روما» لقوله : «سأحمدك بين الوثنيين، وأرتل أسمك» [مز١٨ : ٥٠].

(١٥) يقصد المسيح المنتظر الذى هو «المَسيا».

(١٦) ص ٣١٥ ـ ٣١٦ ج٢ السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ـ مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى سنة ١٩٧٣ بيروت.

(١٧) الفَريسيُّون طائفة من علماء اليهود العبرانيين كانت تدعى الغيرة على الشريعة الموسوية.

نص كلام المسيحى

قال : «وأنا أثبتُ لك أن «المسيح»(١)قد جاء من كلام الأنبياء. قال النبى هُوشَع بن بئيرى ـ عليه السلام ـ هكذا بكلام عِبرانى : «كى يا ميم ربيم يا شابوا بانا إسرائيل ان ملخ وان صار» تفسيره : «إن أياما كثيرة يقيموا بنى إسرائيل دون مَلك، ودون مُقدَّم»(٢) فإذا سُئل اليهودى الجاحد : إن كان لهم ملك أو مقدم ؟ فلا يكون جوابه، إلا أن يقول : ليس عندنا ملك، ولا مقدم. فيقال لهم : إذ ليس عندكم ملك، ولا مقدم ؛ فاسمع ما قال يعقوب، الذى كان له اثنا عشر ولدا، الذى منهم يوسف الصدِّيق ـ رضى الله عنهم أجمعين إلى يوم الدين ـ قال الفاضل يعقوب بكلام عبرانى : «لو يا صور شابات مى يهودا ومحوكيك مبين رعلاف عاد. كى يا بو شيلو ولوا اقاهث عميم» وهذا تفسيره : «لا ينتقض الملك من يهودا، وراسم من بين رجليه، حتى يأتى المسيح، وله تطوع الأمم».(٣)

فيقال لهم : إذ ليس لكم مُلك، ولا مقدم ؛ فقد جاء المسيح، كقول يعقوب النبى. إذ ليس لهم مُلك.

وقال إرمياء النبى عليه السلام فى الطائفة الكافرة به، بكلام عبرانى هكذا : «ام يا عمود موشا، وشموال لقاناى ان نقسى الها عم هذا سلاح معال فاناى ويا ساوها ياكى يمروا أناه ناسا وامرتا لا هيم هى لما باث، لما باث أمى تشانى أمى لا راعاب، لا راعاب، وخلاقى جاماتى بام» أ . هـ.

اسمع كلام الله على لسان إرمياء النبى. تفسيره : «إن وقف إلىّ موسى وشموال لا نرضى عن هذه الأمة، ارميهم من قدامى، يخرجوا. فإن قالوا : أين يخرجوا ؟ فتقل

لهم : من الموت إلى الموت، ومن النفى إلى النفى، ومن الجوع إلى الجوع، ويكمل غضبى فيهم»[٤] ا. هـ.

فهم فى غضب الله بكفرهم بالمسيح[٥] الذى قد جاء.

ثم قال الله تعالى على لسان يعقوب النبى الفاضل بلسان سريانى هكذا : «ألا يا عصا عاث غلطان مد أفاث يهودا، وصفوا متانا بانوهى عاض على على ما عاث ذا ياتا ما شيحا داث لاه ملخوثا ولاه اشتماعون عاما مايا» وهذا تفسيره كما قاله الله على لسان نبيه يعقوب : «لا ينتقض قضيب الملك من يهودا، وراسم من أبنائه، حتى أن يأتى ما شيحا - الذى هو المسيح، الذى له الملك - وله تطوع الأمم».

وقال الله تعالى على لسان إرمياء النبى فى انقطاع مُلكهم بكلام عبرانى هكذا : «فأضاع أدوناى يا حور أف كل مكان إسرائيل» وهذا تفسيره : «قطع الله بشدة غضبه : جميع دولة إسرائيل»[٦] فافهم فقد جاء المسيح، وانقطع ملكهم.

وقد قال الله على لسان إرمياء النبى فى إثبات شريعة المسيح، وإيمان الحواريين قائلا بلسان عبرانى : «هنا يا ميم نوم يهوه واخارتى ات بت اسرائيل. وايت بت يهودا بريت حارشاه، لو اخبريت اشير بريت ات ابو ثام بيوم هو تزيكى بيرم لهو عاييم مى ارسمصريم امير همه هفرو ات بريت وانبى بعلتى بم نام يهوه»[٧] تفسيره: «يقول الله : وأُثبتُ لبيت إسرائيل ويهودا، عهدا جديدا ليس كالعهد الذى قلت لآبائهم فى اليوم الذى أخرجتهم من أرض مصر، من بيت العبودية».

فثبّت الله بهذا الكلام إيمان الحواريين، والتابعين لهم، كما قال الله فى موضع آخر على لسان إرمياء النبى بلسان عِبرانى، عن إيمان الحواريين. قال : «شوبوا بانيم شوبابيم نوم ادوناى[٨] أى انوخى با علتى با خيم والا كحتى اتخيم أحاد معير وشنايم مشتبان وهاباتى اتخيم سيون»

تفسيره : «ارجعوا يا أولاد اللجاجة فإنى سُدتُ عليكم، وآخذكم واحدا من مدينة، واثنين من عشيرة، وأدخلكم إلى صهيون. وكذلك آخذ الحواريين، واحدا من مدينة واثنين

من عشيرة»[٩]ثم قال لضيق الآية «وناتى لاخيم روعيم كلبى» تفسيره : «ونعطيكم رعاة كقلبى».

ثم قال : «وأراع أتخيم رعاه واهسكال» تفسيره : «ويرعوكم بالمعرفة والفهم»[١٠] وكذلك جعل من الحواريين أئمة، ورعاة. يعلّموا الناس المعرفة والفهم. ثم قال لضيق الآية فى ألا يعمل بالعهد البالى : «واها ياكى تربوا افريتم بأريش بالبوميم هاهما نوم ادوناى[١١] لو يمروا غر داروان بريث ادوناى ولو يا عالا على لاب ولديز كا وابوا ولوا يفقوا ذوا ولو ياعا ساعود» تفسيره : «ويكون إذا كثرتم، وتنمو فى الأرض فى تلك الأيام. يقول الله. لا تقولوا أبدا بتابوت عهد الله، ولا يصعد على قلب، ولا يذكر به، ولا يعتقده، ولا يعمل به أبدا».[١٢]

فاعلم : أنه أمّن الحواريين والتابعين لهم من الأمم.

ثم قال سليمان الفاضل : «لم أتعلم علما وعرفت معرفة المقدسين».[١٣]

فافهم أيها الإنسان، ما هى معرفة المقدسين، الذى لا يمكن لأحد أن يكون مقدسا، إلا أن عرفها، وآمن بها ؟

وفى حقيقة الإيمان قال : «مَن صَعِد إلى السماء وهبط ؟ من قبض الأرواح فى كفيّه ؟ من جمع الماء فى ثوب» ؟[١٤] ثم قال بكلام عبرانى : «مى هاكيم كل افس أريس ماشموا وماشم بنوا».

فافهم. فسره. وكن عاقلا مدبرا ؛ ترشد.

قال سليمان : «مى هاكيم كل افس أريس ماشموا وما شم بنوا» تفسيره : «من أقام جميع أقطار الأرض ؟ ما اسمه ؟ واسم ابنه» ؟ ثم قال لضيق الآية بالعبرانى : «كل أمرات ألواه صروفا ماغين هو لات سيم بو» تفسيره : «جميع كلام الله ترس، منير هو ؛ لجميع الواثقين به»[١٥] فافهم.

ثم قال الله على لسان إرمياء النبى بكلام عبرانى : «هنا يا ميم بايم نوم ادوناى[١٦] واكراتى ات بت اسرائيل، وات بت يهودا بريت هارشاه... زيرع آدام، وزيرع مهيما».

تفسيره : «هذا يوم يأتى. يقول الله، ونزرع فى بيت إسرائيل، وبيت يهوذا نسل آدمى، ونسل بهيمى».(١٧)

فكان النسل الآدمى : الحواريون المؤمنون بالمسيح عند إقباله، والتابعين لهم. وكان النسل البهيمى : اليهود الجاحدين للمسيح. وكذلك الحوارى يوحنا، الذى اسمه (جوانش) قال : «من لم يؤمن، ولم يتمادى فى تعليم المسيح ؛ فلا إله له»(١٨) فافهم ترشد.

اعلم : أنى كتبتُ لكَ بالعبرانى، والسريانى من شهادات الأنبياء عن الله من الكتب التى بأيديهم. وأن اليهود لا يقدرون على إنكار حرف منها إذا احتج معهم بها بالعبرانى والسريانى، كما نطقت به الأنبياء - رضى الله عنهم - فى إثبات إقبال المسيح، وإيمان الحواريين، والتابعين لهم. وفى اطراح اليهود الملاعين الجاحدين للمسيح سيدنا. فافهم».ا. هـ.

الرد المباشر على كلام المسيحى

مُلك بنى إسرائيل فى العالم

يتفق المسلمون وأهل الكتاب على أن مُلك اليهود قد ابتدأ من نزول التوراة على موسى عليه السلام فى طور سيناء. وعلى أنهم حاربوا أمما سبعة فى أرض سيناء، وملكوا بلادهم، وعلى أنهم حاربوا أهل فلسطين وملكوا بلادهم. فى أيام طالوت وداود - عليهما السلام.

هذا ما اتفقوا عليه. وأما ما اختلفوا فيه :

فأول اختلاف : هو ما هو سبب مُلكهم على الأمم؟ ما هو السبب فى أن الله تعالى ساعدهم على فتح بلاد الأمم ؟ يقول اليهود والنصارى : إن السبب هو الملك والسكنى فى الأرض. كشأن الملوك الفاتحين. يملكون ويسكنون ويأخذون الأموال ويسبون النساء، ويجعلون أعزة أهلها أذلة، ويفسدون فى الأرض. ونقول نحن المسلمين : إن السبب هو الملك والسكنى فى الأرض ؛ لنشر شريعة التوراة بين الناس.

وفى القرآن وفى التوراة وفى الإنجيل ما يؤيد قولنا نحن المسلمين.

أما فى القرآن : فإن الله يقول عن ملك آل إبراهيم عليه السلام : ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة، وآتيناهم ملكا عظيما﴾ ولم يكن مُلك بنى إسماعيل قد ظهر

بعد، ولم يكن فى آل إبراهيم من قبل محمد ﷺ إلا بنو إسرائيل القائمين على شريعة موسى. وذلك أيضا مستفاد من قوله تعالى : ﴿ وآتينا موسى سلطانا مبينا ﴾ ومن حكايته : فتح الأرض المقدسة لنشر التوراة فيها ؛ ومن بيانه : أن التوراة كانت من قبل القرآن هدى للناس جميعا هى والإنجيل، ومن حكايته عن فتح اليمن أيام سليمان عليه السلام. لنشر الإسلام فيها على شريعة التوراة، ومن حكايته : عن غرق فرعون وإرث بنى إسرائيل لأرضه ؛ لنشر التوراة فيها، ومن قوله عن يونس عليه السلام : إنه ذهب إلى أرض نينوى فى العراق ؛ ليدعوهم إلى التوبة. ومن قوله لليهود فى القرآن: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس. تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ ولما ظهر محمد رسول الله صار أتباعه خير أمة بدل اليهود الذين كانوا. والدليل على أن أمة الإسلام خير أمة قوله: ﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم﴾.

وأما فى التوراة : فإن فيها : أن التوراة شريعة خاصة لبنى إسرائيل. وفيها : أن التوراة شريعة عامة لجميع أمم الأرض. ومن ذلك قول طوبيا الشيخ : «اعترفوا للرب يا بنى إسرائيل، وسبحوه أمام جميع الأمم ؛ فإنه فرّقكم بين الأمم الذين يجهلونه؛ لكى تخبروا بمعجزاته، وتعرفوهم أن لا إله قادرا على كل شىء سواه» [طو ١٣ : ٣ ـ ٤] ومن ذلك قول الله لإبراهيم : ﴿ وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض ﴾ [تك ١٢ : ٣ و ١٨ : ١٨ و ٢٢ : ١٨ ومز ٧٢ : ٢٧] وقول الله لإسحق : ﴿وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض ﴾ [تك ٢٦ : ٤] وقد ظهرت بركته من موسى. وقول الله عن إسماعيل : ﴿ ها أنا أباركه﴾ [تك ١٧ : ٢٠] وقد ظهرت بركته من محمد [مز ٧٢ : ٢٧].

وأما فى الإنجيل : فإن فيه أن عيسى عليه السلام وبّخ علماء بنى إسرائيل على تقصيرهم فى دعوة الأمم. ولولا أنهم مأمورون بذلك من كتاب موسى ؛ لما كان للتوبيخ من فائدة. ذلك قوله : ﴿ ويل لكم أيها الناموسيون ؛ لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة. ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم ﴾ [لو ١١ : ٥٢ متى ٢٣ : ١٣].

والواقع التاريخى يؤيد قولنا نحن المسلمين. فإن فى بلاد العالم آثار تدل على وجود اليهود فيها، وتدل على أسفار مقدسة وغير مقدسة.

هذا هو الاختلاف الأول. وأما الاختلاف الثانى: فإنه متى انتهى ملك بنى إسرائيل من العالم ؟ ويترتب على انتهاء الملك فيهم ؛ كمال النبوءات فى النبى المنتظر الآتى على مثال موسى. النبى الذى جعل الله كلامه فى فمه. وحتَّم على اليهود السماع منه، بدل السماع من موسى ولقبه العلماء بلقب «المسيح» لذلك كان هذا السؤال مفتاح الحديث فى نبوة عيسى عند النصارى. وفى محمد عندنا نحن المسلمين. وذلك لأن ملك بنى إسرائيل لا ينتهى من العالم إلا فى ظهور هذا النبى الأُمِّى الملقب بالمسيح أو «المَسِيا» وقد أُلفت المجلدات الضخمة فى هذا الموضوع من اليهود والنصارى. ولم يُؤلف عندنا نحن المسلمين فيه كتاب أو رسالة. لا فى الأيام الأولى، ولا فى أيامنا هذه. ومن أسباب عدم التأليف فيه: اعتقاد الجمهور بأن شريعة التوراة شريعة لبنى إسرائيل من دون الناس. وقد ضاعت منهم التوراة، وألهم الله «عَزْرا» كتابتها ؛ فكتبها على أصلها. ولم تُحرف باللفظ عمدا ولا سهوا ؛ ولم يُفقد منها شىء. إلى هذا اليوم. والتحريف الذى عند اليهود : هو التأويل الفاسد للنصوص وأن اليهود سيظلون فى العالم، وسيقاتلون المسلمين، ويغلبون، ويُغلبون. هذا هو اعتقاد الجمهور. الذى استقوه من الرواة. وقد صححته فى كتابنا المسمى بنقد التوراة أسفار موسى الخمسة.

أما عن ابتداء الملك وانتهاء الملك، ومناقشة اليهود والنصارى فيهما ؛ فلم يتعرض لهما أحد. ويجب أن تؤلف فيهما المجلدات الضخمة ؛ لأنهما مفتاح الحديث فى إثبات نبوة محمد ﷺ من كتب أهل الكتاب.

وقد خدع علماءُ اليهود المسلمين فى هذا الموضوع. وذلك بأن تظاهر منهم واحد، بالإسلام، وكتب يقول : إن مُلك اليهود قد زال من زمان سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م وإذ هو قد زال فى ذاك الزمان. أى قبل محمد نبى الإسلام ﷺ بألف ومائة عام تقريبا. فإن محمدا نبى الإسلام لا يكون هو النبى الأمى الآتى إلى العالم، وإن عيسى عليه السلام لا يكون هو ؛ لأن زوال الملك ومجىء هذا النبى الأمى أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر. كالعلة التى تتبع المعلول وجودا وعدما. فإنه إذا كانت النار كان الإحراق، وإذا كان الإحراق كانت النار ؛ لا يتصور أحدهما بدون الآخر.

المناقشة : إن اليهود يقولون : إن الله قد أعطانا الملك على الأمم ؛ هدية منه. إكراما لأبينا إبراهيم. لا أننا دعاة إلى الله. وسيظل ملكنا على الأمم ما بقيت السموات والأرض. ولسوف يأتى اليوم الذى يُظهر الله لنا فيه نبيا أميا مثل موسى. به يقوى الملك، وبه يكثر الخير، وبه نهلك الأعداء. ونحن فى انتظاره منا من بنى إسرائيل. ودليلنا على ذلك. وعد الله لإبراهيم بقوله : « لنسلك أُعطى هذه الأرض» [تك ١٢ : ٧].

ويقول المسلمون : إن الوعد لإبراهيم مقسوم على إسحق وإسماعيل للدعوة إلى الله. وقد بدأ الإرث فى إسحق من موسى، ويبدأ الإرث فى إسماعيل من محمد ذلك قوله لإبراهيم : «لأنه بإسحق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة ؛ لأنه نسلك» [تك ٢١ : ١٢ ـ ١٣].

والدليل على أن الإرث للدعوة إلى الله : هو «أنا الله القدير. سر أمامى، وكن كاملا. فأجعل عهدى بينى وبينك، وأكثرك كثيرا جدا» [تك ١٧ : ١ ـ ٢] «وتكون أبا لجمهور من الأمم. فلا يُدعى اسمك بعد أبرام، بل يكون اسمك إبراهيم ؛ لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما. وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا» [تك ١٧ : ٤ ـ ٧]. «هذه هى الفرائض والأحكام التى تحفظون. لتعملوها فى الأرض التى أعطاك الرب إله آبائك لتمتلكها كل الأيام التى تحيون على الأرض ؛ تُخربون جميع الأماكن. حيث عبدت الأمم التى ترثونها آلهتها على الجبال الشامخة، وعلى التلال، وتحت كل شجرة خضراء، وتهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتحرقون سواريهم بالنار، وتقطعون تماثيل آلهتهم، وتمحون اسمهم. من ذلك المكان» [تث ١٢ : ١ ـ ٣].

تقسيم الملك :

وقوله: «وأمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما، وملوك منك يخرجون » مع قوله: «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» قد قسمه الله تعالى بين موسى ومحمد ـ عليهما السلام ـ أى بين إسحق وإسماعيل. وهذا يدل على أن الملك للتمكين للشريعة. والتقسيم هكذا :

«وقال الله لإبراهيم : ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى، بل اسمها سارة. وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها ؛ فتكون أُمما. وملوك شعوب منها يكونون » [تك ١٧ : ١٥ ـ ١٦] «وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله... وأما إسماعيل ؛ فقد سمعتُ لك فيه. ها أنا أباركه وأُثمره وأكثره كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا يلد، وأجعله أمّة كبيرة» [تك ١٨:١ ـ ٢٠].

والمترتب على هذا كله : هو أن ١ ـ ملك بنى إسرائيل يزول ٢ ـ وشريعتهم تُنسخ. فى الوقت الذى يظهر فيه «محمد» النبى الآتى ؛ ليحقق بركة إسماعيل فى الأمم. وهى ١ ـ ملك ٢ ـ وشريعة.

رد اليهود على المسلمين :

قال اليهود : نحن لا نمنع عن إسماعيل البركة. هى فيه ملك فقط.وهى فى إسحق : مُلك ونبوة،أى شريعة. وعندنا أن العهد بالنبوة دائم فى إسحق إلى الأبد. فكلام المسلمين معنا يجب أن يكون فى العهد، لا فى البركة. ذلك قوله «ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية» [تك ١٧ : ٢١].

رد القرآن على اليهود فى العهد :

المولود أولا لإبراهيم هو إسماعيل. وبعد افتدائه من الذبح. قسم الله البركة على الولدين فقال : ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحق ﴾ وحال التقسيم كان إبراهيم «ابن تسع وتسعين سنة» [تك ١٧ : ١] وحال ولادة إسماعيل كان إبراهيم «ابن ست وثمانين سنة» [تك ١٦ : ١٦] والدليل، على أن تقسيم البركة كان من بعد افتدائه من الذبح : هو : «من أجل أنك فعلت هذا الأمر، ولم تمُسك ابنك وحيدك ؛ أُباركك مباركة، وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء، وكالرمل الذى على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه، ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولى» [تك ٢٢ : ١٦ ـ ١٨] لقد رتّب المباركة على سماعه لقوله. فيكون العهد من حين السماع. ولم يكن حين السماع، غير إسماعيل. فيكون العهد فيه.

فمن هو الابن الوحيد ؟ إنه هو إسماعيل. لأنه بكره، وبكر هاجر، وأيضا : هو بكر سارة؛ بحسب شريعتهم. ففى شريعتهم فى ذاك الزمان : أن الحرة إذا لم تنجب كان يحق لها أن تعطى جاريتها لرجلها لينجب لها منها أولادا. وإذا أنجبت أولادا ؛ فإنهم ينسبون إلى الحرة، ويرثون فيها.

ذلك قوله : «وأما ساراى امرأة أبرام ؛ فلم تلد له. وكانت له جارية مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراى لأبرام : هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة. ادخل على جاريتى. لعلّى أُرزق منها بنين. فسمع أبرام لقول ساراى. فأخذت ساراىُ امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام فى أرض كنعان، وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له. فدخل على هاجر ؛ فحبلت» [تك ١٦ : ١ ـ ٤] وفى التوراة : أن الذبيح هو البكر الوحيد. ذلك قوله : «وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم. فقال له : يا إبراهيم. فقال : هأنذا. فقال: خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق» [تك ٢٢ : ١ ـ ٢] ولا يمكن أن يكون الوحيد إسحق ؛ لأنه ليس هو البكر.

ولو فرضنا أنه هو الوحيد. وقد أمره الله بذبحه. ولم يفده. وذُبح بالفعل؛ فكيف يتحقق العهد فى ذريته إلى الأبد ؟

وإن قوله : إن العهد مع إبراهيم كان فى سن التاسعة والتسعين من قبل ولادة إسحق ؛ يدل على أن العهد كان فى إسماعيل ؛ لأنه هو الذى جاد بنفسه. وأصبح بالفداء مستقبلا للعهد من غير عائق الذبح. ومن بعد ما أعطى العهد له ؛ قال لإبراهيم : «وأيضا» وكلمة «أيضا» تدل على شريك مع أول. «وقال الله لإبراهيم : ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى، بل اسمها سارة. وأباركها، وأعطيك أيضا منها ابنا...» [تك ١٧ : ١٥ ـ ١٦] فالعهد للسير أمام الله لدعوة الناس إليه ولنبذ عبادة الأصنام وللتمكين لشريعة الله ؛ كان فى إسماعيل. وكاتب التوراة قد وضعه على إسحق. فيكون بالوضع ظالما لبنى إسماعيل. فهل يناله هؤلاء الظالمون لبنى إسماعيل ؟ يقول الله تعالى : ﴿ لا ينال عهدى الظالمين ﴾.

هذا من ردود القرآن على اليهود. ومنه يُعلم : أن ملك اليهود يزول على يد النبى الآتى من إسماعيل للبركة. وهو محمد ﷺ. فقول اليهود للمسلمين : إن ملك اليهود قد زال من العالم من سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م هو قول باطل.

والإنجيل يدل على بطلانه :

وفى الإنجيل عن عيسى عليه السلام أنه قال : إنه ستحدث علامات فى العالم قبل خراب الهيكل وتدمير أورشليم. وهو يعنى بخراب الهيكل: نسخ التوراة، ويعنى بتدمير أورشليم : زوال الملك من اليهود. ومن هذه العلامات : قيام أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن، ويُكرَز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة ؛ شهادة لجميع الأمم. ثم يأتى المنتهى.

ما هو المنتهى ؟ وما هو وقته ؟

هو زوال الملك ونسخ الشريعة فى الوقت الذى سيظهر فيه «ابن الإنسان» صاحب «ملكوت السموت».(١٩)

وفى سفر دانيال : أن خراب الهيكل وتدمير أورشليم سيكون بعد تسلّط أهل الروم على أورشليم. ذلك قوله : «سبعون أسبوعا قُضيت على شعبك، وعلى مدينتك المقدسة ؛ لتكميل المعصية، وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدى، ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين» إلى أن قال عن النبى الأمى الآتى الذى هو قدوس القدوسين : «ويثبت عهدا مع كثيرين فى أسبوع واحد، وفى وسط الأسبوع يُبطّل الذبيحة والتقدمة. وعلى جناح الأرجاس مُخرَّب حتى يتم ويُصب المقضى على المخرَّب» [دا٩١:٢٤]

والأسبوع سبع سنوات. فتكون المدة أربعمائة سنة وتسعين. وقد طبق عيسى عليه السلام هذه النبوءة على محمد ﷺ فقال بعد ذكره للعلامات : «فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس ؛ ليفهم القارىء. فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال، والذى على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا...» إلخ. وهذه العلامات لم تتم كلها فى حرب تيطوس وإدريانوس ٧٠ و١٣٢م

تيطوس لليهود سنة سبعين ميلادية. وتمامها كان فى زمان محمد ﷺ وهو الذى غزا فلسطين وفتحها، وهو الذى نسخ شريعة التوراة. وكان ذلك فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

ومما تقدم ؛ يُعلم : أن دعوى اليهود فى زوال ملكهم أنه كان فى سبى بابل ؛ هى دعوى باطلة، وأن دعوى النصارى فى أن زوال ملك اليهود كان فى غزو تِيطُوس سنة ٧٠ م هى دعوى باطلة.(٢٠)

■■■

الهوامش..

(١) يقصد : المسيا المنتظر.

(٢) أى من أى نسل يكون ؟

(٣) يشير بالإعلان إلى الرؤيا، المذكورة فى الأصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل.

(٤) يقصد المسيح الرئيس الذى هو المَسِيا. الذى قلنا : إنه محمد رسول الله.

(٥) النص فى ترجمة ١٩٧٠ «لأن بنى إسرائيل سيقعدون أياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس» [هوشع ٣: ٤] والنص العبرى كامل.

(٦) النص العبرى كامل وتفسيره من ترجمة ١٩٧٠ بمصر : «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شِيلون، وله يكون خضوع شعوب» [تكوين ٤٩ : ١٠] ومعنى شيلون نبى الأمان أو السلام.

(٧) النص العبرى مختصر. والترجمة العربية الكاملة للنص هكذا : «وإن وقف موسى وصموئيل أمامى، لا تكون نفسى نحو هذا الشعب. أطرحهم من أمامى فيخرجوا. ويكون إنما قالوا لك : إلى أين نخرج ؟ أنك تقول لهم : هكذا قال الرب : الذين للموت فإلى الموت، والذين للسيف فإلى السيف، والذين للجوع فإلى الجوع، والذين للسبى فإلى السبى» [إرمياء ١٥ : ١ ـ ٢].

(٨) يقصد بالمسيح هنا : عيسى.

(٩) ورد هذا المعنى فى آيات كثيرة من سفر إرمياء، خاصة فى الأَصحاح التاسع عشر.

(١٠) نقلنا النص كاملا. وترجمته العربية هكذا : «ها أيام تأتى يقول الرب،وأقطع مع بيت إسرائيل، ومع بيت يهوذا عهدا جديدا. ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم؛ لأخرجهم من أرض مصر، حين نقضوا عهدى. فرفضتهم. يقول الرب» [إرمياء ٣١ : ٣١ ـ ٣٢].

(١١) فى التوراة العبرانية الحديثة «يَهْوَه» بدل «أدُوناى» ويهوه : الله. وأدوناى : الله أو السيد. والنص العبرى كامل.

(١٢) النص العربى من ترجمة ١٩٧٠ هكذا : «ارجعوا أيها البنون العصاة. يقول الرب ؛ لأنى سدتُ عليكم، فآخذكم واحدا من المدينة، واثنين من العشيرة» [إرمياء ٣ : ١٤].

(١٣) نص الآية : «وأعطيكم رعاة حسب قلبى، فيرعونكم بالمعرفة والفهم» [إرمياء ٣ : ١٥].

(١٤) فى الترجمة العبرية بدل «أدوناى» اسم «أهوه»

(١٥) إرمياء ٣ : ١٦,

(١٦) النص فى ترجمة ١٩٧٠ : «لم أتعلم الحكمة، ولم أعرف معرفة القدوس» [أمثال ٣٠ : ٣].

(١٧) فى سفر الأمثال ترجمة ١٩٧٠ : «من صعد إلى السموات ونزل ؟ من جمع الريح فى حفنتيه ؟ من صر المياه فى ثوب ؟ من ثبت جميع أطراف الأرض ؟ ما اسمه ؟ وما اسم ابنه إن عرفت ؟» [أمثال ٣٠ : ٤]

(١٨) «كل كلمة من الله نقية. ترس هو للمحتمين به» [أمثال ٣٠ : ٥].

(١٩) بدل أدوناى، يهوه، والنص مختصر، وليس فيه : زيرع آدام وزيرع مهما. أى نسل آدمى وبهيمى.

(٢٠) النص العربى مختصر، وهو بتمامه هكذا «ها أيام تأتى : يقول الرب. وأقطع من بيت إسرائيل، ومع بيت يهوذا؛ عهدا جديدا. ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم، بل هو ذا هو العهد الجديد الذى قطعته مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام. يقول الرب. أجعل شريعتى فى داخلهم، وأكتبها على قلوبهم..لأنى أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد» [إرمياء ٣١ :٣١ ـ ٣٤].

نسخ الشريعة

أعطى الله ـ تعالى ـ التوراة لموسى عليه السلام شريعة دائمة إلى نهاية بركة إسحق، وبدء بركة إسماعيل. ذلك قول يعقوب لبنيه حين حضره الموت : «اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام» [تك ٤٩ : ١] ما هو المراد من آخر الأيام ؟ هو آخر أيام بركة نسل إسحق، وبدء أيام بركة نسل إسماعيل من محمد ﷺ. ويقول اليهود والنصارى : إن آخر الأيام هو اليوم الذى يظهر فيه « المَسِيَّا » أى « المسيح » يعنون بالمسيا أو المسيح النبى الأمى الآتى على مثال موسى. ولكنهم لا يقولون إنه هو محمد رسول الله. والحق أنه هو. ففى سفر العَدَد يقول بَلعام بن بَعُور : إنه فى آخر الأيام سيظهر النبى الأمى الآتى « أراه ولكن ليس الآن. أُبصره ولكن ليس قريبا » [عدد ٢٤ : ١٤]. وفى التثنية : «عندما ضُيِّق عليك، وأصابتك كل هذه الأمور؛ فى آخر الأيام. ترجع إلى الرب إلهك وتسمع لقوله ؛ لأن الرب إلهك إله رحيم لا يتركك ولا يهُلكك، ولا ينسى عهد آبائك الذى أقسم لهم عليه » [تث ٤ : ٣٠ ـ ٣١] يريد السماع من النبى الآتى فى آخر الأيام. وفى سفر إشعياء : « ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجرى إليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة، ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب » [إش ٢ : ٢ ـ ٣] وجبل بيت الرب؛ فى مكة ؛ لأن جبل صهيون ليس جبلا مقدسا[1] وفى سفر إرمياء: «فى آخر الأيام تفهمون فهما» [إ ر ٢٣ : ٢٠] وفى سفر دانيال : « لكن يوجد إله فى السموات. كاشف الأسرار. وقد عرّف الملك نبوخذ نصّر ما يكون فى الأيام الأخيرة » ثم حكى تفسير حلم رآه فقال : إنك رأيت ما يشير إلى أربع ممالك. الأولى مملكة بابل. والثانية مملكة فارس. والثالثة مملكة اليونان، والرابعة مملكة

الرومان. وبعد الرابعة يظهر نبى ويعطيه إله السموات شريعة ومملكة وهى تثبت إلى الأبد [دا ٢ : ٢٨ ونظيره دا ٧ : ١] « وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدا، وملكها لا يُترك لشعب آخر. وتسحق وتُفنى كل هذه الممالك. وهى تثبت إلى الأبد» . «كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام ؛ فقربوه قدامه. فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا ؛ لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض».

وقدوُلد عيسى عليه السلام فى بدء المملكة الرابعة، وقال لليهود : « توبوا ؛ فإنه قد اقترب ملكوت السموات » أى المملكة الآتية فى آخر أيام بركة بنى إسرائيل. وبعدما تكلم عن الحرب التى ستحصل لنزع الملك من اليهود على يد « ابن الإنسان» الذى هو محمد ﷺ. قال : « لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين ؛ لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان » [متى ٢٤ : ٤٤] « هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ؛ فاعلموا : أن ملكوت الله قريب » . « اسهروا إذًا وتضرعوا فى كل حين ؛ لكى تُحسبوا أهلا للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون، وتقفوا قدام ابن الإنسان » [لو ٢١ : ٣٦].

وعلى هذا . يكون المراد بآخر الأيام فى قول يعقوب وغيره : هو زوال الملك ونسخ الشريعة.

فإذا قال يعقوب لبنيه : إن الملك لن يزول منكم، وإن الشريعة لن تذهب عنكم، إلا إذا أتى المسيح. أو المسيا. أو شيلون. أو الذى له الحكم. أو الذى له. وما شابه ذلك ؛ فإنه يعنى ظهور مُلك فى غير أبنائه، وظهور شريعة فى غير أبنائه. ذلك قوله : « لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون. وله يكون خضوع شعوب » والمراد بالقضيب : الملك [عدد ٢٤ : ١٧] وفى هامش الكتاب المقدس على شيلون: « أى أمان. وعند البعض : معناها : الذى له. انظر حزقيال ٢١ : ٢٧ ». والتعليق المذكور فى هذا الهامش يدل على أن الله رفض اليهود من السير أمامه.

وهو : « وأنت أيها النجس الشرير رئيس إسرائيل الذى قد جاء يومه فى زمان إثم النهاية. هكذا قال السيد الرب. انزع العَمامة. ارفع التّاج. هذه لا تلك. ارفع الوضيع، وضع الرفيع. منقلبا. منقلبا. منقلبا أجعله. هذا أيضا لا يكون حتى يأتى الذى له الحكم ؛ فأعطيه إياه » [حز ٢١ : ٢٧].

وإذا كان هذا النبى الآتى سيكون من غير بنى إسرائيل. فمن أى نسل سيأتى؟ يأتى من نسل إسماعيل. وذلك لأن الله قد بارك فيه فى قوله : « وأما إسماعيل ؛ فقد سمعت لك فيه. ها أنا أُباركه».

وفى الإنجيل أن عيسى عليه السلام لم يطلب الملك ولم يكن ملكا، ولم ينزع الملك ولم يردّ الملك ولم ينسخ شريعة التوراة ؛ فلا يكون هو المراد بنبوءة يعقوب. فضلا عن أنه من بنى إسرائيل. ذلك قوله: «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» [مر ١٢:١٧] « وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا ؛ انصرف أيضاً إلى الجبل وحده » [يو ٦: ١٥] « حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى ؛ جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ؛ فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ؛ لأنهم يقولون ولا يفعلون فإنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم. وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس. فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم، ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع. والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى. وأما أنتم فلا تدعوا سيدى ؛ لأن معلمكم واحد ؛ المسيح. وأنتم جميعا إخوة. ولا تدعوا لكم أبا على الأرض ؛ لأن أباكم واحد الذى فى السموات. ولا تدعوا معلمين ؛ لأن معلمكم واحد؛ المسيح. وأكبركم يكون خادما لكم. فمن يرفع نفسه يتّضع؛ ومن يضع نفسه ؛ يرتفع».

إلى أن قال : « هو ذا بيتكم يُترك لكم خرابا... الخ » [متى ٢٣ : ١ -] وفى القرآن الكريم : ﴿ وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب ﴾ - ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا

يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ﴾ وهم بنو إسرائيل﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ﴾ وهم النصارى.

ومعنى الإرث : هو ملك الكتاب على المؤمن به، وملك الكتاب هو نفسه ملك المستحفظ عليه على المؤمن به. وبيان ذلك : أن من يعمل بالتوراة، فإنه يعمل بأوامرها. وهذه الأوامر سيّان عنده أن ينطق بها مَلِك، أو تنطق بها حروف الكتاب. ومن يعمل بالقرآن فإنه خاضع لأوامره. وسيان عنده أن يكون محكوما من إسماعيل، أو من حروف الكتاب نفسه. ففى زماننا هذا نجد كثيرين من المسلمين مفرقون على الأجانب. وهم مع هذا التفرق أشد تمسكا بالقرآن من إخوانهم وهم أحرار. فهل يصح القول مع التفرق والخضوع للأجانب أن ملك محمد قد زال من العالم ؟ وأنه ليس لبنى إسماعيل الآن فى هذا الزمان ملك على الأمم والشعوب ؟ إنه لا يصح هذا القول ؛ لأن الكتاب هو الذى يحكم المسلم سرا وعلانية. فيكون بخضوعه للكتاب محكوما من المستحفظين عليه. وهم بنو إسماعيل عليه السلام.

وفى هذا المعنى يقول فى سفره هوشع : « لأن بنى إسرائيل سيقعدون أياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وترافيم. بعد ذلك يعود بنو إسرائيل، ويطلبون الرب إلههم. وداود ملكهم(٢)،ويفزعون إلى الرب، وإلى جوده فى آخر الأيام » [هو ٣ : ٤ - ٥].

ما هو المراد بآخر الأيام ؟ هو نفسه المراد من قول يعقوب لبنيه : إنه فى آخر أيام بركة إسحق التى تحملونها نيابة عن كل نسله ؛ سيظهر من يتسلم منكم الملك والنبوة. وعيسى عليه السلام ليس هو الآتى ليتسلم ؛ لأنه من بنى إسرائيل، ولأنه لم يكن ملكا، ولأنه لم ينسخ الشريعة. ذلك قوله : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء » [متى ٥ : ١٧].

من أجل مَنَسَّى بن حَزَقِيّا ملك

يهوذا.. من أجل ما صنع فى أرشليم

اقرأ هذا النص :

« ثم قال الرب لى : وإن وقف موسى وصموئيل أمامى ؛ لا تكون نفسى نحو هذا الشعب. اطرحهم من أمامى ؛ فيخرجوا. ويكون إذا قالوا لك : إلى أين نخرج ؟ أنك تقول لهم : هكذا قال الرب. الذين للموت ؛ فإلى الموت، والذين للسيف ؛ فإلى السيف، والذين للجوع ؛ فإلى الجوع، والذين للسبى ؛ فإلى السبى. وأوكّل عليهم أربعة أنواع. يقول الرب : السيف للقتل، والكلاب للسحب، وطيور السماء، ووحوش الأرض للأكل والإهلاك. وأدفعهم للقلق فى كل ممالك الأرض. من أجل مَنَسَّى بن حَزَقِيا ملك يهوذا، من أجل ما صنع فى أورشليم » [إر ١٥ : ١ ـ ٤].

التعليق :

هل هذا العقاب ينصرف إلى زمن عيسى عليه السلام وقد كان بينه وبين منسى ما يقرب من ستمائة عام ؟ وفى التوراة :أنه لا يُؤخذ البنين بظلم الآباء. كما فى سفر التثنية وسفر إرمياء وحزقيال.

وفى سفر إرمياء أيضا :

كلام عن رفض الله اليهود من الس ، د إمامه، وعقابهم منه: «لأن الرب قد رفض ثقاتك » [إر ٢: ٣٧] قال هذا بعد ما قال اليهود: «ارتد غضبه » [إر٢: ٣٥] ومنه فى الأصحاح التاسع عشر : « ها أنذا جالب على هذا الموضع شرا. كل من سمع به تطن أذناه » [إر ١٩ : ٣] فهل هذا فى وقت ظهور عيسى عليه السلام؟

العهد الجديد :

والعهد الأول هو عهد التوراة. ولا يطلق عليه عهد قديم إلا إذا جاء الجديد. وحيث إن عيسى عليه السلام لم ينقض التوراة ؛ فإن الإنجيل لا يكون هو العهد

الجديد ؛ لأنه ليس كتاب تشريع، بل بشرى بخبر. ويطلق المسيح نفسه عليه لقب «بشارة ملكوت الله » أى أن الإنجيل يبشر باقتراب ملكوت الله، وليس هو كتاب الملكوت. فكتاب الملكوت هو القرآن الكريم. فيكون هو العهد الجديد. وذلك فى قول إرمياء : « ها أيام تأتى. يقول الرب. وأقطع مع بيت إسرائيل، ومع بيت يهوذا ؛ عهدا جديدا. ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر، حين نقضوا عهدى فرفضتهم. يقول الرب » [إر ٣١ : ٣١ - ٣٢].

الرعاة الجدد :

وتكلم إرمياء عن العلماء الجدد. فقال : « اذهب وناد بهذه الكلمات نحو الشمال، وقل : ارجعى أيتها العاصية إسرائيل. يقول الرب. لا أُوقع غضبى بكم؛ لأنى رءوف. يقول الرب. لا أحقد إلى الأبد. اعرفى فقط إثمك. أنك إلى الرب أذنبتِ، وفرقت طرقك للغرباء تحت كل شجرة خضراء. ولصوتى لم تسمعوا. يقول الرب.

ارجعوا أيها البنون العصاة. يقول الرب. لأنى سُدتُ عليكم ؛ فآخذكم واحدا من المدينة، واثنين من العشيرة، وآتى بكم إلى صِهْيَوْن، وأُعطيكم رُعاة حسب قلبى ؛ فيرعونكم بالمعرفة والفهم. ويكون إذ تكثرون وتُثمرون فى الأرض، فى تلك الأيام. يقول الرب. أنهم لا يقولون بعد : تابوت عهد الرب. ولا يخطر على بال، ولا يذكرونه ولا يتعهدونه، ولا يُصنع بعدُ.

فى ذلك الزمان يُسمّون أورشليم : كرسى الرب. ويجتمع إليها كل الأمم إلى اسم الرب إلى اورشليم. ولا يذهبون بعد وراء عناد قلبهم الشرير» [إر ٣ : ١٢].

معنى الكلام :

هل الرعاة الجدد هم أتباع عيسى أم أتباع محمد ؟ من منهما صاحب الشريعة الجديدة ؟

وفى الإنجيل : يقول عيسى عليه السلام للحواريين : « فاطلبوا من رب الحصاد أن يُرسل فَعَلَة إلى حَصَاده » [متى ٩ : ٣٨] ويقول أيضا : « ولا تُدعَوا معلمين لأن معلمكم واحد ؛ المسيح » [متى ٢٣ : ١٠] يعنى بالمسيح محمدا ﷺ.

نسخ الشريعة :

وقال إرمياء عن نسخ التوراة : « أنهم لا يقولون بعد : تابوت عهد الرب».

وموضع التحريف فى النص :

هو فى أن أورشليم ستكون كرسى الرب. أى مقر الشريعة. وهذا تحريف ؛ لأنها مقر الشريعة من أيام طالوت وداود عليهما السلام. وهو يتكلم عن بركة إسماعيل الساكن فى مكة المكرمة. عبر عنها داود فى المزمور ٨٤ بـ ﴿بكة﴾.

ابن الله :

وفى سفر الأمثال : « إنى أبلد من كل إنسان، وليس لى فهم إنسان. ولم أتعلم الحكمة، ولم أعرف معرفة القدوس. مَنْ صَعِد إلى السموات ونزل ؟ من جمع الريح فى حفنتيه ؟ من صَرّ المياه فى ثوب ؟ من ثبّت جميع أطراف الأرض ؟ ما اسمه ؟ وما اسم ابنه إن عرفت ؟ كل كلمة من الله نقية. تُرس هو للمحتمين به. لا تزد على كلماته ؛ لئلا يُوبخك ؛ فتكذّب».

يقول النصارى : إن معرفة الله محصورة فى المؤمنين بعيسى عليه السلام وأن الابن هو عيسى عليه السلام.

وأصل الكلام عن الابن : نبوءة من داود عليه السلام عن محمد ﷺ هى : «لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب فى الباطل. قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه. قائلين : لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا رُبطهما. الساكن فى السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه. أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون. جبل قدسى. إنى أخبر من جهة قضاء الرب. قال لى : أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرض ملكا لك، تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزف تكسّرهم. فالآن يا أيها الملوك تعقلوا. تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة. قبلوا

الابن لئلا يغضب ؛ فتبيدوا من الطريق. لأنه عن قليل يتّقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه » [مز ٢].

ومن عادة بنى إسرائيل إطلاق لقب « ابن الله » على المنتسب إليه. وقد أطلقوه على النبى الأمى الآتى إلى السالم على هذا المعنى، ووصفوه بأنه سيحارب أعداءه، وسينتصر عليهم، وسيكون ملكا. ولا ينطبق هذا النص على عيسى عليه السلام لأنه لم يكن ملكا، ولم يحارب ولم ينتصر.

وفى الإنجيل : أن يحيى عليه السلام طبق هذه النبوءة على محمد ﷺ وأن عيسى نفسه قد طبقها على محمد. قال النبى يحيى : « الذى يؤمن بالابن ؛ له حياة أبدية والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله » [يو ٣ : ٣٦] وقال المسيح : « من لا يكرم الابن، لا يكرم الآب الذى أرسله » [يو ٥ : ٢٣] « لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى. أن كل من يرى الابن ويؤمن به ؛ تكون له حياة أبدية. وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » [يو ٦ : ٤٠].

وقد جاء لفظ الابن فى التوراة وفى الإنجيل بمعنى المنتسب إليه. ذلك قوله : «أنتم أولاد للرب إلهكم » [تث ١٤ : ١].

« بل أحبوا أعداءكم، وأحسنوا وأقرضوا، وأنتم لا ترجون شيئا ؛ فيكون أجركم عظيما، وتكونوا بنى العلى ؛ فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار. فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضا رحيم » [لوقا ٦ : ٣٥ ـ ٣٦].

الزرع الإنسانى والزرع الحيوانى :

يقول إرمياء فى سفره : « ها أيام تأتى يقول الرب. وأزرع بيت إسرائيل وبيت يهوذا بزرع إنسان وزرع حيوان. ويكون كما سهرت عليهم للاقتلاع والهدم والقرض والإهلاك والأذى ؛ كذلك أسهر عليهم للبناء والغرس. يقول الرب. فى تلك الأيام لا يقولون بعد : الآباء أكلوا حِصْرَما، وأسنانُ الآباء ضَرِستْ، بل كل واحد يموت بذنبه. كل إنسان يأكل الحِصرم ؛ تضرَس أسنانه.

ها أيام تأتى يقول الرب، وأقطع مع بيت إسرائيل، ومع بيت يهوذا عهدا. ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم ؛ لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى. فرفضتهم. يقول الرب. بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام. يقول الرب. أجعل شريعتى فى داخلهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلها وهم يكونون لى شعبا. ولا يعلّمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه، قائلين : اعرفوا الرب ؛ لأنهم كلهم سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم. يقول الرب ؛ لأنى أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد».

البيـــان :

١ - فى مستقبل الأيام. يقول الله سأقطع عهدا جديدا مع بيت إسرائيل. اليهود السامريين، ومع بيت يهوذا. اليهود العبرانيين. ومن يؤمن منهم بالشريعة الجديدة الآتية مع النبى الأمى المماثل لموسى ؛ سيكون كزرع الإنسان الحكيم الذى يفهم. ومن لا يؤمن به ؛ سيكون كزرع الدواب التى لا تعقل.

٢ - ثم بين أنه فى العهد الجديد سيكون كل إنسان مسئولا عن أعماله، ولا يؤخذ أحد بذنب أحد.

٣ - ثم تحدث عن الشريعة الجديدة. فقال : إن كل إنسان ملتزم بها ؛ يقدر على إقامة الشعائر الدينية بمفرده. بدل القديمة التى كان فيها أئمة من اللاويين والهارونيين. وما كانت تصح الشعائر إلا بهم.

فهل هذا ينطبق على المسيح عيسى عليه السلام ؟ يقول النصارى : إن الزرع الإنسانى هو الدى سيؤمن بعيسى. وإن الزرع الحيوانى هو الذى سيقيم على اليهودية. وهم يعلمون أن عيسى عليه السلام لم ينسخ شريعة موسى عليه السلام. فضلا عن ذلك : فإنه فى الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا يقول المسيح : « إنه مكتوب فى الأنبياء : ويكون الجميع متعلمين من الله » [يو ٦ : ٤٥] يريد بذلك: أن الأمة الآتية ستتحلل من قيود اللاويين والهارونيين عن أمر الله تعالى. كما فى

إشعياء ٥٤ : ١٣ وإرمياء ٣١ : ٣٤ ويريد ههنا تطبيق نبوءة إرمياء هذه على أصحاب محمد ﷺ فالآية ٣٤ نصها : «ولا يُعلِّمون بعد كل واحد صاحبه، وكل واحد أخاه قائلين : اعرفوا الرب ؛ لأنهم كلهم سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم. يقول الرب. لأنى أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعدُ».

وفى الأناجيل : أن المسيح كان يشفى المرضى بإذن الله. المرضى المؤمنين بالله. سواء أكانوا من اليهود أم كانوا من الأمم. ولكنه يبدأ بمرضى اليهود أولا.

يدل على ذلك : أن الله رب للأمم جميعا، وليس ربا لليهود وحدهم. فإذا تساوى اليهود فى الإيمان مع الأمم. فإن معجزة المسيح فى الشفاء تكون للجميع لأن الله رب الجميع، ولكن اليهود لما رفضوا دعوته. لجأ إلى الأمم. ذلك قوله: «إلى خاصته جاء. وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه ؛ فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله. أى المؤمنين باسمه » [يو ١:١١-١٢] وفى الأناجيل : أن امرأة كنعانية من الأمم طلبت منه شفاء ابنتها. وقد كانت مؤمنة. فأجابها : أنا لست ممتنعا عن شفاء ابنتك. ولكن اليهود لهم الأولوية. ولم تعترض المرأة على قوله، ولم يعترض الحواريون. ويدل على عدم اعتراضهم : أنهم قالوا له : «اصرفها ؛ لأنها تصيح وراءنا» أى اصرفها بشفاء ابنتها المجنونة. من الجنون. ولو أنها كانت من غير أهل الإيمان ؛ ماطلبوا منه صرفها بشفاء ابنتها. وقد رد عليهم بقوله: «لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» أى أن شفائى مقصور على اليهود فقط، لأنهم مؤمنون. فلو فرضنا أنهم غير مؤمنين. وهى مؤمنة. لابتدأ بشفاء ابنتها. وقد دللت المرأة على إيمانها بسجودها له وقولها له: «يا سيد أعنّى » فهل سجودها وقولها يدل على إيمانها ؟ من المحتمل أنها تنافق للحاجة. ولهذا الاحتمال رد بقوله : «ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » يريد أن يقول : اليهود أولا لهم الشفاء . وكان من عادة اليهود أن يعبروا عن الأممى الأجنبى بأنه «كلب نجس» دلالة على عدم إيمانه. وقد أصرت المرأة على إظهار إيمانها فقالت : قومك أولا. هذا صحيح. ولو فرضنا أنهم شبعوا. أى شفوا من أمراضهم. أيمنع مانع أن تشفى مما تبقى لك أمميا أو أممية ؟

أجاب المسيح : لا . لأن الإيمان يجمعنا . إذ الله رب للعالمين وليس ربا لليهود وحدهم. عندئذ قالت له المرأة. فأنا مؤمنة. وقومك انصرفوا عنك ولم يقبلوك. يقول كاتب الإنجيل: «حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة. عظيم إيمانك. ليكن لك كما تريدين».

لاحظ : اعترافه بإيمانها . واستجابته لطلبها . مع أنها أممية. وقال كاتب الإنجيل : «فشفيت ابنتها من تلك الساعة» أى أن الأمم تساووا مع اليهود فى رحمة الله.

وقد أكد المسيح على تساوى الأمم مع اليهود فى رحمة الله بقوله وهو يشفى غلام قائد المئة : «اذهب. وكما آمنت ؛ ليكن لك » يقول كاتب الإنجيل : « فبرأ غلامه فى تلك الساعة » [متى ٨:٥-١٣] ولاحظ : قوله عليه السلام : «وكما آمنت؛ ليكن لك».

ويحكى متى معجزة إحياء المسيح عليه السلام لابنة يايروس التى كانت قد ماتت. ويقول : إن الذين كفروا بالمسيح من اليهود ؛ لم يدع لهم المسيح بالشفاء. ولم يشفوا من أمراضهم. فإن امرأة مست هُدب ثوبه فشفيت وقال لها المسيح: «ثقى يا ابنة. إيمانك قد شفاك » [متى٩ :١٨-٢٦].

يريد أن يقول : إن معجزات المسيح فى الشفاء وإحياء الموتى لم ينتفع بها الكافرون من اليهود، وإنما انتفع بها المؤمنون من اليهود والأمم.

والغرض من هذا الذى ذكرته فى شفاء المسيح للمرضى : هو أن اليهود من بعد مجىء محمد ﷺ لا يدخل منهم فى رحمة الله إلا من يؤمن به. وهو رحمة للمؤمنين من اليهود والأمم ؛ لقوله تعالى :﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾.

ونتوقف عند هذا الحد من الكلام، ونتجه إلى كلام المؤلف رحمة الله تعالى عليه.

والله نسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين.

■ ■ ■

الهوامش..

(١) رسالة يوحنا الثانية : ٩.

(٢) راجع هذا الموضوع فى كتاب البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل.

ابتداء كلام المؤلف

[حكى عن النصرانى]

قـال : « وأنا أثبتُ لك أن « المسيح » قـد جـاء من كـلام الأنبـيـاء. قـال النبى هُوشَع بن بئِيرِى ـ عليه السلام ـ هكذا بكلام عِبرانى : « كى يا ميم ربيم يا شابوا بانا إسرائيل ان ملخ وان صار » تفسيره : « إن أياما كثيرة يُقيموا بنى إسرائيل دون مَلك، ودون مُقدَّم »(١) فإذا سُئل اليهودى الجاحد : إن كان لهم مَلك أو مقدَّم ؟ فلا يكون جوابه، إلا أن يقول : ليس عندنا ملك، ولا مُقدم. فيقال لهم : إذ ليس عندكم ملك، ولا مقدم. فاسمع ما قال يعقوب. الذى كان له اثنى عشر ولدا، الذى منهم يوسف الصديق ـ رضى الله عنهم أجمعين إلى يوم الدين ـ قال الفاضل يعقوب بكلام عبرانى : « لو يا صور شابات مى يهودا ومحوكيك مبين رعلاف عاد ـ كى يا بو شيلو ولوا اقاهت عميم » وهذا تفسيره : « لا ينتقض الملك من يَهُودا، وراسم من بين رجليه، حتى يأتى المسيحُ، وله تطوع الأمم ». (٢)

فيقال لهم : إذ ليس لكم مَلك، ولا مقدم. فقد جاء المسيح، كقول يعقوب النبى. إذ ليس لهم مُلْك.

وقال إرمياء النبى ـ عليه السلام ـ فى الطائفة الكافرة به، بكلام عبرانى هكذا: « ام يا عمود موشا، وشموال لقاناى ان نقسى الها عم هذا لاح معال فاناى ويا ساوها ياكى يمروا أناه ناسا وامرتا لاهيم هى لما باث، لما باث امى تشانى امى لا راعاب، لا راعاب، وخلاقى جاماتى بام » أ. هـ.

اسمع كلام الله على لسان إرمياء النبى. تفسيره : « إن وقف إلىّ موسى وشموال لا نرضى عن هذه الأمة، أرميهم من قدامى، يخرجوا ـ فإن قالوا : أين يخرجوا ؟ فتقل

لهم : من الموت إلى الموت، ومن النفى إلى النفى، ومن الجوع إلى الجوع، ويكمل غضبى فيهم»(٣) أ. هـ.

فهم فى غضب الله بكفرهم بالمسيح(٤) الذى قد جاء.

ثم قال الله تعالى على لسان يعقوب النبى الفاضل بلسان سريانى هكذا : «ألا يا عصا عاث غلطان مد أفاث يهودا، وصفوا متانا بانوهى عاض على ما عاث ذا ياتا ماشيحا داث لاه ملخوثا ولاه اشتماعون عاما مايا » وهذا تفسيره كما قاله الله على لسان نبيه يعقوب : « لا ينتقض قضيب الملك من يهودا، وراسم من أبنائه، حتى أن يأتى ماشيحا . الذى هو المسيح، الذى له الملك ـ وله تطوع الأمم».

وقال الله تعالى على لسان إرمياء النبى فى انقطاع مُلكهم بكلام عبرانى هكذا: «فأضاع أدوناى ياحور أف كل مكان ان اسرائيل » وهذا تفسيره « قطع الله بشدة غضبه : جميع دولة إسرائيل»(٥) فافهم فقد جاء المسيح، وانقطع ملكهم.

وقد قال الله على لسان إرمياء النبى فى إثبات شريعة المسيح، وإيمان الحواريين قائلا بلسان عبرانى : « هنا يا ميم نوم يهوه وأخارتى ات بت اسرائيل. وايت بت يهودا بريت حارشاه، لو اخبريت اشير بريت ات ابو ثام بيوم هو تزيكى بيرم لهو عاييم مى ارص مصريم امير همه هفرو ات بريت وانبى بعلتى بم نام يهوه»(٦)تفسيره : « يقول الله : وأثبت لبيت إسرائيل ويهوذا، عهدا جديدا ليس كالعهد الذى قلت لآبائهم فى اليوم الذى أخرجتهم من أرض مصر، من بيت العبودية».

فثبّت الله بهذا الكلام إيمان الحواريين، والتابعين لهم، كما قال الله فى موضع آخر على لسان إرمياء النبى بلسان عِبرانى، عن إيمان الحواريين. قال : «شوبوا بانيم شوبابيم نوم ادوناى(٧) أى انوخى با علتى با خيم والا كحتى اتخيم أحاد معير وشنايم مشتبان وهاباتى اتخيم سيون».

تفسيره : « ارجعوا أولاد اللجاجة. فإنى سُدتُ عليكم، وآخذكم واحدا من مدينة، واثنين من عشيرة، وأدخلكم إلى صهيون. وكذلك آخذ الحواريين، واحدا من مدينة واثنين

من عشيرة» [٨] ثم قال لضيق الآية : « وناتى لاخيم روعيم كلبى » تفسيره : « ونعطيكم رعاة كقلبى».

ثم قال : « وأراع أتخيم رعاه واهسكال » تفسيره : « ويرعوكم بالمعرفة والفهم »[٩] وكذلك جعل من الحواريين أئمة، ورعاة. يعلّمون الناس المعرفة والفهم. ثم قال لضيق الآية فى ألا يعمل بالعهد البالى : « واها ياكى تربوا افريتم بأريش بالبوميم هاهما نوم ادوناى[١٠]مروا غر داورن بريث ادوناى ولو يا عالا على لاب ولديز كا وابوا ولوا يفقوا ذوا ولو ياعا ساعود » تفسيره : « ويكون إذا كثرتم، وتنمو فى الأرض فى تلك الأيام. يقول الله : لا تقولوا أبدا بتابوت عهد الله، ولا يصعد على قلب، ولا يذكر به، ولا يعتقده، ولا يعمل به أبدا ». [١١]

فاعلم : أنه أمّن الحواريين والتابعين لهم من الأمم.

ثم قال سليمان الفاضل : « لم أتعلم علما وعرفت معرفة المقدسين ».[١٢]

فافهم أيها الإنسان، ما هى معرفة المقدسين، الذى لا يمكن لأحد أن يكون مقدسا، إلا أن عرفها، وآمن بها ؟

وفى حقيقة الإيمان قال : « مَنْ صَعِد إلى السماء وهبط ؟ من قبض الأرواح فى كفيه؟ من جمع الماء فى ثوب » ؟[١٣] ثم قال بكلام عِبرانى : « مى هاكيم كل افس أريس ماشموا وماشم بنوا».

فافهم. فسِّره. وكن عاقلا مدبرا؛ ترشد.

قال سليمان : « مى هاكيم كل افس أريس ماشموا وما شم بنوا » تفسيره : «من أقام جميع أقطار الأرض ؟ ما اسمه واسم ابنه؟» ثم قال لضيق الآية بالعبرانى: « كل أمرات ألواه صروفا ماغين هو لات سيم بو » تفسيره : « جميع كلام الله تُرس، منُير هو لجميع الواثقين به »[١٤] فافهم.

ثم قال الله على لسان إرمياء النبى بكلام عبرانى : « هنا يا ميم بايم نوم ادوناى[١٥] واكراتى ات بت اسرائيل، وات بت يهودا بريت هارشاه... زيرع آدام، وزيرع مهيما »

تفسيره : « هذا يوم يأتي يقول الله، ونزرع في بيت إسرائيل، وبيت يهوذا نسل آدمى، ونسل بهيمى ».(١٦)

فكان النسل الآدمى : الحواريون المؤمنون بالمسيح عند إقباله، والتابعين لهم. وكان النسل البهيمى : اليهود الجاحدين للمسيح. وكذلك الحوارى يوحنا، الذى اسمه (جوانش) قال : « من لم يؤمن، ولم يتمادى فى تعليم المسيح ؛ فلا إله له» فافهم ؛ ترشد.

اعلم : أنى كتبت لك بالعبرانى، والسريانى من شهادات الأنبياء عن الله من الكتب التى بأيديهم. وأن اليهود لا يقدرون على إنكار حرف منها إذا احتُج معهم بها بالعبرانى والسريانى، كما نطقت به الأنبياء - رضى الله عنهم - فى إثبات إقبال المسيح، وإيمان الحواريين، والتابعين لهم. وفى اطراح اليهود الملاعين الجاحدين للمسيح سيدنا. فافهم» اهـ.

●●●

رد المؤلـــــف

الجواب عما ذكر : يا هذا المخدوع. ظننتَ السّراب ماء، والأرض سماء، فاستسمنت ذا وَرَم، ونفخت فى غير ضرم. اعلم يا هذا أنه لا يُقبل منك فى هذا المقام الاستدلال بالظنون والأوهام. إذ المطلوب فيه تحصيل العلم القطعى، واليقين البرهانى. ولا يحصل لك شىء من ذلك حتى تعلم صحة ما استدللت به هنالك، ولا تعلم صحة شىء مما ادعيته دليلا قاطعا، مفيدا للعلم؛ إلا بعد معرفتك، أن هذه الكتب التى استدللت بها : أهى من عند الله، وأنها بلغتك عن الله على ألسنة الصادقين ؟ ولا تتوصل إلى معرفة شىء من ذلك إلا بعد معرفتك بالنبوات وحقيقتها، ودلائل صحتها العقلية.

ولا تتوصل إلى ذلك حتى تعلم حدوث العالم، وأنه موجود بعد عدم، وتعلم أن له مُحدِثا، وأن محدثه موجود حى عالم قادر مريد موصوف بصفات الكمال؛ حتى يصح منه إرسال الرسل وتأييدهم بالأدلة. وكل ذلك إنما يُعرف بأدلة قطعية، ولا يصح أن يعرف

بأدلة سمعية ؛ فإن السمع لا يثبتُ إلا بعد ثبوت هذه الأصول، فإذا وصلتَ إلى هذا المحل، وسلمتَ من التعثر بأذيال الزلل.

وكم دونها من مهمه ومفازة .·. وكم أرض جدب دونها ولصوص

فحينئذ يجب عليك أن تنظر فيما ألقى الصادقون إليك. فإن كنت ممن تسمع منهم كلامهم، وتشافه بنفسك خطابهم، فقد سقطتْ عنك معرفة طرق النقل، وشروط التحمل والحمل، ولزمتك معرفة اللغة التى يتكلم بها الصادقون، فتعرف مقاطع الكلمات وكيفية النطق من اختلاف بسكون أو حركات، وتعرف فرق ما بين الحقيقة والمجاز، والنص والظاهر، والمجمل والمؤول، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ(١٧). إلى أمور كثيرة تُعرف فى علم الأصول. وإن كنت ممن لم يسمع من الصادقين، فلا بد لك من أن تنظر فى الذى بلغك ذلك الدليل على يديه، إن كان يجوز عادة عليه : الغلط والسهو أو لا. فإن كان ممن يجوز عليه الغلط والسهو عادة ؛ فلا يلتفت إلى خبره فى هذا المقام. وهذا النوع هو الذى يُسمى عندنا أخبار الآحاد، ولها محل تقبل فيه بعد مراعاة شروط. ويُعرف كل ذلك فى موضعه.

وأما مثل هذا الذى تصديتَ له ؛ فلا يتوصل إليه بهذا الطريق، فإن المطلوب هنا حصول العلم. ولا يحصل العلم بقول من يجوز الخطأ والسهو عليه فى خبره. وإن كان مما لا يجوز عليه شىء مما ذكرناه عادة، فهو الذى يحصل العلم بقوله، وهو العدد الكثير الذين تحيل العادة عليهم الكذب. وهذا الخبر هو الذى يسمى المتواتر، والتواتر له شروط وأحكام تُعرف فى موضعه.

فإذا تقررت هذه المقدمة. فأنا أسألك سؤال مُنصف، لا مصنِّف. وأقسم عليك بدينك قسم متلطف، لا متعجرف : هل توفرت لديك هذه الشروط أم أكثرها عندك مطرح مسقوط ؟ فإن أنصفت واعترفت ؛ علمتُ أنك على العلم بها ما حصّلت. فينبغى لك أن تطلب حصول العلم من بابه، وأن تجتهد فى تحصيل أسبابه. وإن ادعيت علم ذلك، عُلم أنك مغالط معاند، جائر عن الحق وحائد.

وكفى بكلامك فى كتابك هذا على كذبك شاهد، ثم على قرب تُفتضح إذا خرست عن جواب ما عنه سُئلت. تعجّل بالجواب، ولا تتأنى فى الكتاب. وإن أبيت إلا تماديا فى غيك، واستمرارا على جهلك وبغيك ؛ أريناك اختلال هذه الشروط عندكم عيانا، وأقمنا على فساد كتبك حجة وبرهانا.

وذلك أنا نقول : إن من أعظم كتبكم التى ترجعون إليها، وتعوّلون فى أحكامكم عليها : التوراة والإنجيل، وكفى بهما شرفا وشهرة أنهما عندكم كلام الملك الجليل، وأنتم تدعون أنكم تناقلتموهما جيلا بعد جيل. وأنا أبين إن شاء الله: أن نقلهما إنما كان بطريق الآحاد، وأن الغلط والسهو يجوز على ناقليهما، وسآتى منهما ببطلان المراد.

أذكر إن شاء الله بعض ما وقع فيهما من التناقض والتحريف، والقلب والتصحيف، وأنبه على قبيح ما تنسبونه فيهما إلى الله من القول السفساف السخيف، وما تنتقصون به الأنبياء أُولى الفضل والتشريف. بحول الله تعالى وحسن عونه.

وأبدأ بالتوراة لكونها مقدمة فى الرتبة والزمان، ومعترفا بها عند أولى الأديان. والله المستعان.

■ ■ ■

الهوامش..

(١) فى كتاب المجتمع اليهودى لزكى شنوده - نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ما نصه :

«إن نبوءات أنبياء اليهود التى جاءت فى التوراة تدل كلها على أن الله اختار اليهود منذ البداية لغاية محددة هى أن يجىء منهم المسيح الذى كانوا ينتظرونه لخلاص البشر وإنقاذهم من الخطيئة والهلاك. وبهذا المعنى كان اليهود هم الشعب المختار من الله لهذه الغاية بالذات. وقد وضع الله منذ البداية أمام اليهود طريق الشر، موضحا لهم - كما رأينا فيما سلف - أنهم اذا سلكوا طريق الخير وظلوا على ولائهم لله، أسبغ عليهم نعمته وبركته وظلوا شعبا له. أما إذا سلكوا طريق الشر وعاندوا الله وكفروا به صب عليهم نقمته ولعنته ولم يعودوا شعبا مختارا له، وإنما شعبا منبوذا. وعلى الرغم من أن الله ظل يشمل اليهود برعايته زمنا طويلا، وظل يغفر لهم آثامهم وجرائمهم التى ارتكبوها فى حقه وفى حق تعاليمه ووصاياه عسى أن يجدى معهم الغفران. كما ظل يؤدبهم الحين بعد الحين بالنوائب والأرزاء عسى أن يجدى معهم التأديب، فإنهم تركوا طريق الخير وأبوا إلا أن يسلكوا طريق الشر، معاندين الله، رافضين شريعته، عابدين الأوثان من دونه، مرتكبين أبشع ما كانت الشعوب الوثنية ترتكبه من ألوان الوحشية والهمجية والعهارة والفجور. حتى إذا أرسل الله اليهم أنبياءه ينذرونهم ويحذرونهم من عواقب ما يقترفون من المعاصى والذنوب، صموا آذانهم عن إنذاراتهم وتحذيراتهم. بل قاموا عليهم ونكلوا بهم وقتلوهم. وأخيرا جاءهم المسيح الذى تنبأ كل أنبيائهم بمجيئه فتآمروا عليه هو أيضا ونكلوا به ففقدوا بذلك آخر فرصة لرضاء الله عنهم، ومن ثم استحقوا غضبه ونقمته ولعنته، ولم يعودوا الشعب الذى اختاره ورعاه، وإنما الشعب الذى نبذه وقضى بهلاكه. فلم تمض بضع سنوات على تنكيلهم بالمسيح حتى أرسل الله إليهم جيوش الرومان، فراحت تدك بلادهم دكا، وتشيع الخراب والدمار فى عاصمتهم أورشليم، وهدمت هيكلهم الذى كان موضع زهوهم وفخارهم، ثم أحرقته بالنار، وأبادت الأغلبية العظمى من اليهود وساقت الباقين عبيدا أذلاء فى كل أنحاء الأرض، تلاحقهم لعنة الله حيثما ذهبوا، ويحلّ بهم انتقامه أينما كانوا. وقد قضى الله باندثار أمتهم، وزوال دولتهم إلى الأبد» [انتهى بنصه].

ومنه يعلم: أن النبى المنتظر يأتى بعد زوال الملك من اليهود. ليبدأ به ملك جديد.

(٢) انظر المزمور ٨٤ عن (بكة) والحج إلى بيت الله. وفى التراجم الإنجليزية اسم بكة Baka وفى العربية : وادى البكاء.

(٣) فى تفسير سفر هوشع لمتى هنرى :
«سوف يطلبون « داود ملكهم ». وهو ليس إلاّ المَسِيًّا، ربنا يسوع المسيح، ابن داود، « أصل وذرية داود » [رؤ ٢٢ : ١٦] الذى دعاه داود نفسه رباً [مز ١١٠ : ١] والذى أعطاه الله « كرسى داود أبيه » [لو ١ : ٣٢].
وردت هذه العبارة فى تفسير الكلدانيين « يطلبون عبادة الرب إلههم، ويطيعون المسيا ابن داود ملكهم »
قارن هذا بما ورد فى [إر. ٣ : ٩، حز ٣٤ : ٢٣، ٢٧ : ٢٥].
كرسى داود أبيه » [لو ١ : ٣٢].
وردت هذه العبارة فى تفسير الكلدانيين « يطلبون عبادة الرب إلههم، ويطيعون المسيا ابن داود ملكهم »
قارن هذا بما ورد فى [إر. ٣ : ٩، حز ٣٤ : ٢٣، ٢٧ : ٢٥].
(٤) النص فى ترجمة ١٩٧٠ « لأن بنى إسرائيل سيقعدون أياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس » ﷺ هوشع ٣ : ٤ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والنص العبرى كامل.
(٥) النص العبرى كامل وتفسيره من ترجمة ١٩٧٠ بمصر : « لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون، وله يكون خضوع شعوب » [تكوين ٤٩ : ١٠] ومعنى شيلون نبى الأمان أو السلام.
(٦) فى سفر الأمثال ترجمة ١٩٧٠ : « منَ صعد إلى السموات ونزل ؟ من جمع الريح فى حفنتيه ؟ من صر المياه فى ثوب ؟ من ثبت جميع أطراف الأرض ؟ ما اسمه ؟ وما اسم ابنه إن عرفت ؟ » [أمثال ٣٠ : ٤].
(٧) « كل كلمة من الله نقية. ترس هو للمحتمين به » [أمثال ٣٠ : ٥].
بدل أدوناى، يهوه،والنص مختصر، وليس فيه: زيرع آدام وزيرع مهيما. أى نسل آدمى وبهيمى.
(٨) النص العربى مختصر وهو بتمامه هكذا : « ها أيام تأتى يقول الرب، وأقطع مع بيت إسرائيل، ومع بيت يهوذا، عهدا جديدا ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم. بل هذا هو العهد الجديد الذى قطعته مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام.
يقول الرب. اجعل شريعتى فى داخلهم، وأكتبها على قلوبهم.. لأنى أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد » [إرمياء ٣١ : ٣١ ـ ٣٤].
(٩) رسالة يوحنا الثانية : ٩.
(١٠) فى التوراة العبرانية الحديثة « يَهْوه » بدل « أَدُوناى » [illegible] : الله. وأدوناى : الله أو السيد. والنص العبرى كامل.
(١١) النص العربى من ترجمة ١٩٧٠ هكذا : « ارجعوا أيها البنون العصاة. يقول الرب ؛ لأنى سدتُ عليكم، فآخذكم واحدا من المدينة، واثنين من العشيرة » [إرمياء ٣ : ١٤] .
(١٢) نص الآية : « وأعطيكم رعاة حسب قلبى، فيرعونكم بالمعرفة والفهم » [إرمياء ٣ : ١٥] .
(١٣) فى الترجمة العبرية بدل « أدوناى » اسم « أهوه ».
(١٤) إرمياء ٣ : ١٦.
(١٥) النص فى ترجمة ١٩٧٠ : « لم أتعلم الحكمة، ولم أعرف معرفة القدوس » [أمثال ٣٠ : ٣] .
(١٦) هذا النص فى الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية.
(١٧) تثنية ٣٤ : ٦.

بيان بعض ما طرأ فى التوراة من الخلل، وأنها لم تُنقل نقلا متواترا فتسلم لأجله من الخطأ والزلل

فأول دليل: أنها لم تُترك على ما كانت عليه فى الألواح التى كتبها الله تعالى لموسى، ولا على ما انتسخها لهم موسى، بل زيد فيها، ولا بد، ما ليس منها، ولا كان فى الألواح التى كتبها الله لموسى. ويدل على ذلك : أن فى آخر السِّفر الخامس أن « موسى توفى فى أرض موآب بإزاء بيت فَغُور، ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم. وكان قد أتى على موسى إذ توفى مائة وعشرون سنة، ولم يضعف بصره، ولم يتشيخ وجهه. وبكى بنو إسرائيل على موسى ثلاثون يوما فى عريب موآب. فلما تمت أيام حزنهم على موسى؛ امتلأ يَشُوع بن نون من روح الحكمة ؛ لأن موسى كان وضع يده على رأسه فى حياته. وكان بنو إسرائيل يطيعونه، ويعملون كما أمر الرب موسى »[1] أ. هـ.

ولا يشك الواقف على هذا التاريخ، وهذه الوفاة : أنها ليست مما أنزل الله على موسى، ولا مما كتبها موسى عن نفسه. وإنما هى من إثبات من أراد أن يثبتها بعد وفاة موسى بزمان. ويدلك على ذلك قوله : « ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم »[2] يريد به : اليوم الذى كتب فيه هذا. وهذا بيّن عند المنصف. ومع بيانه، فليس أحد من اليهود والنصارى فيما أعلم يقول : إن التوراة زيد فيها شىء بعد موسى، ولا يفرق بين هذا الكلام وغيره، بل هى كلها عندهم كلام الله. وهذا جهل عظيم، وخطب جسيم. فهم بين أمرين : إما أن يقولوا : إن هذا الكلام هو مما كتبه الله لموسى، وأخبر به موسى. أو يقولوا : إنه ليس مما أخبر الله به موسى، ولم يخبر به موسى. فإن قالوا : الأول. كذبهم مساق الكلام، فإن المفهوم منه على القطع : أنه كتب بعد وفاة موسى بزمان[3]. وإن قالوا : بالقول الآخر. قيل لهم : فلأى شىء خلطتم كلام الله بكلام

غيره، وأجريتموها فى نسق واحد، وزدتم على كلام الله، ولم تُشعروا بذلك، بل نسبتم كل ذلك إلى أن الله أنزله؟

وإذا جاز زيادة مثل هذا، ولم يُتحرز منه، جاز أن يكون كل حكاية فيها لا يصح نسبتها إلى الله ؛ زائدة، ولا سيما الحكايات الركيكة التى تحكى فيها عن الأنبياء التى لا يليق ذكرها بسفلة الناس. وغالبُ الظن ـ ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى ـ : أن السفر الأول الذى هو سِفر البدء والأنساب ؛ مما زيد على كلام الله تعالى، ولم يشعروا بزيادته.

ومما يدل أيضا على هذا المعنى : أن كثيرا ما يجىء فيها : « وكلم الرب موسى وقال له اقبض حساب بنى جرشون »[٤] « وكلم الرب موسى، وقال له : كلم بنى إسرائيل ومثل هذا كثير. وهذا يدلك : أنه ليس مما قاله الرب جلّ ذكره لموسى، ولا مما قاله موسى لهم، أعنى لفظ « وكلم الرب موسى، وقال له»[٥] أشبهه من لفظ الحكاية عنه. وإنما هو شىء حُكى عنه بعد انقراضه، وأضيف إلى كلام الله. ثم لا يعرفون : من الحاكى؟ وإذا جاز مثل هذا، ولا يشعرون به، جاز أن يكون أكثرها مغيرا ومبدلا، وليس من كلام الله، ولا من كلام موسى، ولا يشعرون به. ومن وقف عليها متتبعا لهذا المعنى. قطع بأنها زيد فيها، ما ليس منها.

وعند انكشاف الغبار، تتبين : أفرس تحتك، أم حمار ؟ ماء ولا كصدى، ومرعى ولا كالسعدان.

ولقد حفظ الله القرآن العظيم. فقال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [٦] وكذلك علماؤنا رضى الله عنهم : كتْب التفاسير، وأسماء السور فى المصحف، وإن كانت بخط آخر، ولون آخر. وقد اتفقوا ـ فيما أحسب ـ على أنه: لا يجوز كتْب فواتح السور، يعنى : أسماءها، بخط المصحف، وبلون مداده، لئلا يختلط به ما ليس منه. فالحمد لله، الذى هدانا لهذا الدين القويم، والمنهج المستقيم.

وأما بيان أنها ليست متواترة : فهو أن اليهود على بكرة أبيهم يعرفون، ولا ينكرون أن التوراة إنما كانت طور مدة ملك بنى إسرائيل عند الكوهان الأكبر الهارونى وحده، وعنه تُلقيت، ولا ينكر ذلك منهم، ولا منكم : إلا مجاهر بالباطل، وكذلك ما يحكى من قتل

بخت نصّر جميع بنى إسرائيل، وإحراقه كتب التوراة، حيث وجدت، وإتلاف ما كان بأيديهم حتى لم يترك منهم إلا عددا يسيرا، لا يحصل بخبرهم العلم. وكان قد أجلاهم إلى بابل، وهدم البيت، أو لعله كان الباقى منهم عددا كثيرا إلا أنهم لم يكونوا كلهم يحفظونها، بل كانوا عددا يسيرا، لا يحصل العلم بقولهم. وكان هذا كله قبل المسيح بخمسمائة سنة تقريبا.

وكذلك واقعة طيطش بن شبشان(٧) التى كانت بعد المسيح إلى أربعين سنة، إذ فُرقوا التفرقة التى هى اليوم عليها. وهذا أيضا من المعروف عند الجميع بحيث لا ينكره إلا مكابر مجاهر. وهذه الأمور كلها مما تقدح فى النقل الذى يدعونه متواترا.

ثم نقول: هذه الأمور المذكورة إن وافقوا على وقوعها، فقد اعترفوا بعدم التواتر. فإن من شرط خبر التواتر: أن ينقله العدد الكثير الذى تحيل العادة عليهم التواطؤ على الكذب والغلط عن عدد مثله هكذا، ولا ينقطع. فإن رجع الخبر إلى عدد تحيل العادة عليهم الكذب، لم يحصل بذلك الخبر: العلم. إذ لا يكون متواترا. وإن لم يوافقوا على وقوع هذه الوقائع هكذا، لم يقدروا على جحد أصلها، وإذا اعترفوا بأصلها، لم يقدروا أن ينكروا إمكان وقوع ما يعترفون بأصله، وتجويز وقوع ذلك، كتحقيق وقوع ذلك فى عدم حصول العلم بالخبر الذى يدعون أنه متواتر.

وأما بيان التحريف فيها: فهو أن اليهود تعترف بأن السبعين كوهانا، اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة. وذلك قبل المسيحى(٨) زمان القياصرة. ومن اجترأ على تبديل حرف من كتاب الله وتحريفه، فلا يوثق بالذى فى يده، مما يدعى أنه كتاب الله، لعدم الثقة به، ولقلة مبالاته بالدين.

وأيضا: فلعله قد حرفه كله، أو أكثره.

وكذلك يقرون ولا ينكرون: أن طائفة منهم يقال لهم: السّامرية حرفوا التوراة، تحريفا بينا كثيرا. والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك التحريف.

وكذلك النصارى أيضا يدعون على اليهود: أنهم حرفوا فى التوراة: التاريخ. ويزعمون أنهم نقصوا من تاريخ آدم «عليه السلام»: ألف سنة، ونحو المائتين. وهذه

احتمالات توجب على العاقل : التوقف، فلا يدعى حصول العلم بنقل التوراة مع انقداح هذه الممكنات، إلا مجاهر متعسف.

فإن قيل : كيف يصح أن يقال هذا. وقد كان الأنبياء بعد موسى عليه السلام يحكمون بالتوراة ويرجعون إليها واحدا بعد واحد. إلى زمن يحيى وعيسى. ثم بعد ذلك تناقلها النصارى، كما تناقلها اليهود، خلفا عن سلف إلى اليوم. وإن جاز تطرق التحريف إلى ما هذا سبيله، فليلزم عليه : أن يحكم الأنبياء بالباطل. ويلزم عليه أيضا : أن يقروا على الباطل غيرهم. وهذا كله باطل على الأنبياء، ويلزم عليه أيضا : أن لا يحصل العلم بخبر متواتر، ولا يوثق بكتاب يدعى أنه جاء عن نبى ؟

فنقول ـ وبالله التوفيق ـ :

إنا لم نعين لوقوع التحريف فيها زمانا،[٩] ولا عينا من حرف منها شيئا، ولا من ألحق بها شيئا، فيحتمل أن يقع التحريف فيها قبلهم أو بعدهم. وإنما أبدينا تلك الاحتمالات ؛ ليُعلم أن الذى فى نفوسكم من الثقة بها : إنما هو اعتقاد جزم. وليس بعلم.

ومما يدل على قبول تلك الاحتمالات وأنها قادحة فى دعوى العلم بسلامتها : أنها لم تقر على ما تلقيت من موسى، بل زيد فيها ما لم يتلق عن موسى. مثل الذى حكيناه من ذكر وفاته، وحزن بنى إسرائيل، وحكاية قول « كلم الله موسى » وهذا يعلم منه على القطع : أن الله لم يقله لموسى، ولا موسى قاله عن نفسه. يعلم ذلك من وقف عليه، وتتبعه بضرورة مساق الكلام، ولابد.

فالذى أزاد ذلك، لعله الذى وقع الخلل من جهته.

وأما ما ذكرتم من حكم الأنبياء بها ؛ فليس فيه حجة ؛ لإمكان أن تنازعوا فى قولكم : كانوا يحكمون بها، بل لعلهم كانوا يحكمون بما كان الله يعلمهم بما يوافق شريعة موسى، ولا يخالفها. ولو سلمنا أنهم كانوا يحكمون بها. فنقول : كل شىء حكم به الأنبياء من التوراة ؛ فليس بمحرف، وأما ما لم يحكموا به منها ؛ فلعله الذى حرف، مثل الأخبار التى حكيناها، ونحكيها إن شاء الله تعالى.

فإن قيل : فيلزم منه : أن يقر الأنبياء على الخطأ، ويتحدثوا بالكذب. فإنهم كانوا يتحدثون بها. قلنا : ليس بكاذب من حكى شيئا يعتقد صحته، لا يتعلق به حكم الله تعالى. وإن كان ذلك الخبر فى نفسه مخالفا لما فى الوجود. فإنما يحكى عن اعتقاده، وهو حق. وإنما الكاذب الذى يخبر عن الشىء بخلاف ما هو عليه مع العلم بذلك. وهذا حد الكذب عندنا، وحقيقته. وهذا. إنما يجوز فى حكاية الأخبار التى لا يتعلق بها حكم. وأما ما تعلق به حكم منها ؛ فلا يجوز ذلك. إذ الأنبياء معصومون فيما يبلغونه من الأحكام عن الله تعالى. وإنما قلنا هذا، حذرا من أن ننسب إلى الله تعالى ما لا يليق بجلاله أن ينزله فى كتابه، ولا أن يناجى به صفوة أحبابه من الفواحش والفجور التى حكوها فى التوراة وادعوا أنه فيها مسطور، مع أنه ليس فى ذكرها فائدة، بل هى بكل ضلالة عائدة.

وكذلك تنزه موسى والأنبياء بعده - صلوات الله عليهم - عن ذلك الكلام الغث الركيك، الذى لو حكى مثله عن بعض السفلة، لأنف منه، واستحى منه، ولما كان ينبغى لعاقل أن يلتفت ويصغى إليه، ولكان يجب عليه أن يعرض عنه وينكره إذا سمعه. هذا إذا كان محكيا عن السفلة فكيف إذا حكاه الله عن نفسه. أو عن خيرته من خلقه. الذين برأهم الله عن الكبائر والنقائص التى تناقض نبوتهم، فهم أكرم الخلق عليه، وأحظاهم لديه.

وأيضا : فإن الله تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها، وما بطن، والغيبة والبهتان والإحن، ثم يتعامل بها مع أكرم الخلق عليه ؛ فى نفوسهم، وذراريهم، وبناتهم، وينسبها إليهم، ويشيعها. أبد الآبدين عليهم. هذا مما لا يليق بجلال الله تعالى. والقائل بوقوع هذا مستهزئ مفتر على الله. وسننقل عن بعض ما حكوا فى التوراة من هذه القبائح إثر هذا إن شاء الله تعالى.

ثم نقول : لو سلمنا أنها لم تُحرف فى زمان الأنبياء ؛ لأمكن أن نقول : فلعله حرف بعدهم. وذلك بعد وقعة (طيطش) حيث أفناهم، والذين تنصروا منهم عدد يسير لا تقوم الحجة بقولهم. وإن قلنا : إنهم كانوا عددا كبيرا فلم يكن كل واحد منهم ممن يحفظها ولا يضبطها.

●●●

ثم نقول للنصارى : إن أنكرتم أن يكون شىء من التوراة حُرّف. فلأى شىء تقولون : إن اليهود حرفوا فى التوراة فى نسب آدم. وأنقصوا منه ؟ وإذا جاز ذلك فى نسب آدم، جاز فى غيره، وهذا بين. وأما قولهم : يلزم أن لا نقبل خبرا متواترا، ولا يوثق بكتاب نبى. فلا يلزم شىء من ذلك. فإن الخبر إذا تطرقت إليه أمثال تلك الاحتمالات ؛ فلا يوثق بنقله، ولا يعول عليه، لإمكان تلك الآفات.

أو لعل أشرافكم تتخلب نين كتابنا. فيقولون : فكتابكم لا يلتفت إليه، ولا يعول عليه. فنقول: هيهات إنما قلنا: كل كتاب تطرق إليه شىء من تلك الاحتمالات. وكتابنا منزه عن أمثال تلك الآفات. فإن الله تعالى تولى حفظه، وأجزل من كل صيانة حظّه ؛ فصانه. بنظمه الذى لا يقدر الجن والإنس على آية منه، فلا يختلط به كلام متكلم، ولا يقبل وهم متوهم. إذ ليس من جنس كلام البشر، وهو معدود الآى والسور، ثم صانه بأن يسره للحفظ والاستظهار، فيستوى فى نقله الكبار والصغار، لا يختص بحفظه أحد، والوالد إذ نقّص منه حرفا واحدا، أو غيّر حركة منه، ردّه وأصلحها عليه الولد.

ومع هذا فحروفه وكلماته وآياته وسوره فى الدواوين معددة، وأشكال كتب حروفه فيها مقيدة. ومع هذا. فنقل الأمم التى لا تحصى عن الأمم التى لا تُحصى، حتى يصل ذلك إلى النبى ﷺ المصطفى، مع قرب العهد والتشمير فى صيانته والجد، واستعمال القانون النحوى، وتثقيف اللسان العربى. فبهما كمّل الله له الصون. وحصل له بهما على فهمه أكبر العون. فلله الحمد على ما أوّلى، والشكر له على نعمه التى لا تُحصى، فأين اللؤلؤ من الخزف، والياقوت من الصدف.

●●●

وبعد هذا. فالآن. حان أن نذكر بعض ما وقع فى التوراة مما تطرق إليها من التهم:

من ذلك. ما ذكروه فيها فى المصحف الأول منها :

« ورأى الله أن قد كثر فساد الآدميين فى الأرض، فندم على خلقهم. وقال: سأُذهب الآدمى الذى خلقتُ على الأرض والخشاش،وطيور السماء، لأنى نادم على خلقتها جداً » (١٠) وهذا فى حق الله تعالى محال. إذ الندم إنما يلحق من لا يعلم

مصير المندوم عليه، ومآله واعتقاد هذا فى حق الله كفر. إذ ينبئ عن أن الله تعالى جاهل، وأنه متغير. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. ولفظ « الندم » [١١] هنا نص، لا يقبل التأويل، فهو كذب وباطل قطعاً.

ومن ذلك ما ظهر فى الوجود خلافه. وذلك أنهم حكوا فيها : أن بنى إسرائيل يسكنون تلك الأرض إلى الانقراض،[١٢] من يلبثوا أن رأيناهم أخرجوا منها رأى العين.فقد ظهر أن ذلك باطل وكذب.

ومن ذلك أيضا : أنه حكى فيها : أن الله تعالى كالإنسان، شخص ذو جوارح[١٣] وهذا على الله بالضرورة محال. ولا للتأويل فى هذا اللفظ مجال. ثم إن هذا من قوله : ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾.[١٤]

ومن ذلك أيضا .أن الله تعالى حين أمر بنى إسرائيل إلى التوجه إلى الشام، وعدهم أن يتوجه معهم وأمرهم أن يعملوا له قبة على صفة كذا. ينزل فيها فى سيره معهم. ثم إن موسى قال له : «يارب. إن هذه الأمة القاسية رقابها، لا تمضى إليك إلى الشام، حتى تمضى معها كما وعدتها. فقال الله: نعم. اعملوا لى القبة فعمل موسى القبة، وسماها : قبة العهد، ونزل الله من عرشه، وسار معهم فى داخل القبة، ينزل بنزولهم، ويرحل برحيلهم » هذا نص التوراة.[١٥]

ومما يذكرونه من بقية هذا . وليس فى التوراة .: أنهم حين جمعوا المال لعمل هذه القبة ؛ أجروا الإنفاق على يد موسى عليه السلام. فلما كمل عملها، ادعوا عليه : أنه قد أنقصهم من المال ألف رطل، وسبعمائة رطل، وخمسة وسبعين رطلا. وقالوا لموسى تهكما به : أين نقص هذا المال وإنما جرى الإنفاق على يديك؟ فسمعوا صوتا من السماء يقول لهم: إن هذا العدد دخل فى رءوس الأعمدة، وفى التغشية، فحينئذ كفوا عنه.[١٦] فهؤلاء لم يعرفوا الله حق معرفته، ولا قدروه حق قدره ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾. [١٧]

ومن ذلك أيضا. أنهم ذكروا فيها : أن الله قال لهم : أن يضربوا القرن فى عسكرهم قليلا قليلا، حتى يلقوا عدوهم، فحينئذ يضربونه بأشد ما يقدرون عليه ليسمعهم الله

فيؤيدهم على عدوهم (١٨)؛فإنه سبحانه وتعالى لا يسمع إلا الأصوات العالية. فأين هذا من وصف الله تعالى فى كتابه على لسان نبيه ورسوله حيث قال:﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾. (١٩)

وفيها من هذا النوع كثير، لو ذهبت أنقله لطال الكتاب، ولخرجنا من مقصود الباب.

وينبغى أن نذكر الآن ما جاء فيها مما يتنزه عنه الأنبياء عليهم السلام :

من ذلك : ما حكوا فى السفر الأول عن لوط أنه طلع من صاغار، فسكن الجبل هو وابنتاه معه، فجلس فى مغارة هو وابنتاه، فقالت الكبرى للصغرى : قد شاخ أبونا، وليس على الأرض رجل يدخل علينا، هلم نسقى أبانا الخمر، ونضطجع معه فى مضطجعه، ففعلتا وحملتا منه بولدين : موآب، وعمون.(٢٠)

هذا لوط من رسل الله الأكرمين.أوقعه الله فى فاحشة،كما يوقع الأرذلين، ثم خلد ذكرها فى الآخرين. وهل هذا إلا عين الإهانة؟ وأى نسبة بين هذا وبين النبوة و الكرامة؟

وكذلك أيضا ما حكوا فيها : أن إسحق لما شاخ، وعمى بصره،دعا بعيسو ابنه الأكبر ؛ ليبارك عليه، وليدعو له بالنبوة، فتحيل يعقوب عليه. فقال له إسحق أبوه : من أنت ؟ فقال له : بكرك عيسو. فقال له : ادن منى حتى أجسّك. فدنا منه، وقد كان وضع على يديه شعرا بمكيدة أمه، فقال له: الصوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو، فبارك عليه، ودعا له بالنبوة، وبشره بها، وهو على غلط فيه، ثم بعد ذلك جاء عيسو وقال له : باركنى أيضا يا أبى. فقال له: دخل أخوك بمكر، فقبل بركاتك أيضا. فقال عيسو - بعد بكاء وحزن -: أما تركت من البركات شيئا ؟ أبركة واحدة لك يا أبت؟ (٢١)فما أعظم هذه الآية، التى تشبه حديث خرافة.

ومن ذلك : ما ذكروه فيها أيضا : أن يعقوب بينما هو يصلح خيمته ويبسطها، مشى ابنه رأوبين وهو أكبر أولاده فضاجع سرية أبيه (٢٢): بلهة. ولما علم بذلك يعقوب. قال لابنه رأوبين : « فضل العز. فائرا كالماء.فلذلك لم أفضّلك بالسهم الزائد حيث امتهنت فراشى»(٢٣) وتفسير هذا : أن سنّة الميراث كانت عندهم: أن يرث الولد الأكبر

سهمين[٢٤] وسائر الولد سهما واحد، فعاتب يعقوب ابنه رأوبين على فعله بسريته بأن لم يفضله بالميراث على أنه كان أكبر ولده.

وفى بعض التراجم : أن يعقوب قال « يا رأوبين أنت بكرى وقوتى، ورأس حراثى، وعونى، طائقة العز و المنعة، عدّيت مثل الماء ؛ فلا تمكث. إذ صعدت إلى مضطجع أبيك. حقا لقد نجست مضطجعى، وتناولته ».

ومن ذلك. ما ذكروه فيها أيضا : أن يهوذا بن يعقوب زنى بكنّته ثامار امرأة ولديه. ولقد كانا هلكا عنها واحدا بعد واحد. فردها يهوذا إلى بيت أبيها ووعدها بتزويج ولده الثالث المسمى بشيلا إذا كبر. ثم إنها قعدت ليهوذا فى طريق غنمه، وتسترت جهدها ؛ فظنها بغيا، فعدل إليها، ودعاها إلى نفسه، فسألته أجرا، فوعدها بجدى من غنمه، فطلبت منه رهنا، فأعطاها خاتمه ومنديله وعصاه وواقعها - بزعمهم - فحملت منه، ثم إن يهوذا أرسل بالجدى ليطلب رهنه، فلم توجد المرأة. فجاء بنفسه إلى أهل القرية، وقال لهم : أين قحباكم المتبلطة على الطريق ؟ فقالوا : ما كان منّا على الطريق قحبة. ثم قيل له بعد حين : إن كنّتك ثامار حُبلى. فقال : تحرق بالنار[٢٥] فأخرجت لتحرق بالنار، فقالت : إن ما أنا حامل منه، هذه رهنه بيدى، حين زنى بى، ليفكه بجدى من غنمه، فعرف ذلك يهوذا، وقال : هى أصدق منى.

وحكى فيها أيضا : أن دينة بنت يعقوب خرجت لبعض شأنها فنظر إليها شخيم بن حمور الزناتى.[٢٦] فعشقها واحتملها، فواقعها، وافتضها. ثم إن شخيم قال لأبيه حمور : اخطب لى هذه الجارية لتكون لى امرأة. فبلغ ذلك يعقوب، وأنهم قد نجسوا دينة ابنته فصمت يعقوب، وأطرق حتى أتاه بنوه، فلما بلغهم ذلك ؛ اغتموا، وساءهم ذلك واشتد عليهم ذلك جدا ؛ لأنهم ارتكبوا النجاسة فى إسرائيل، ثم إن بنى يعقوب عاقدوا شخيم، وحمورا أباه، وقومه : أنهم إذا اختتنوا أنكحوه أختهم دينة، فإنهم قالوا لشخيم : لا نقدر أن نزوج أختنا من رجل له غُرلة، ولكن إذا اختتنتم زوجناكم أختنا وبناتنا، ونتزوج بناتكم.

ففعل القوم ذلك، فلما اشتدت بهم أوجاعهم، تناول شمعون ولاوى. كل واحد منهما حربة، ودخلا على القرية بغتة، فقتلا كل ذكر فيها[٢٧]. ومثل هذا كثير مما يخرج استقصاؤه إلى التطويل.

وكذلك حكوا فيها أيضا من وعيد الله لبنى إسرائيل بالفاحشة والقبيح، ما لا يقبله ذو عقل صحيح.

مثل ما حكوا أن موسى قال لبنى إسرائيل فى الوصية التى وصاهم بها حيث قال لهم: «إن كفرت بربك، وحُدت عن سبيله، وعبدت الآلهة الأجنبية، يضربك الرب بقرحة مصر، وبالبواسير والجرب والحكّة، حتى لا تستطيع الشفاء. تخطبُ امرأة ورجل آخر يضطجع معها»(٢٨) وهذا الكلام تضمن : أن الله تعالى توعد بنى إسرائيل، مَن عَبَد غير الله منهم بثلاثة أنواع من الفواحش، لا ينبغى لذوى المروءات أن يتلفظوا بها . ولو أسقطوا مروءتهم، فتلفظوا بها، لما كان ينبغى لهم أن يتوعدوا بها، ولا أن ينفذوا ذلك الوعيد ؛ لفحشه، ثم إنهم يلزمهم على هذا أحد ثلاثة أمور : أن يكون هذا الكلام باطلا أو كذبا على الله - تعالى عن ذلك - أو يكون بنى إسرائيل كل من أشرك منهم وعبد غير الله أن يبتلى بهذه الأدواء الثلاثة، وأن يكونوا بنى زنى. ولا يقدرون على أن ينكروا : أنهم قد أشركوا بالله، وأنهم عبدوا الأوثان بعد موسى، فيلزم من ذلك - إن لم يكن ذلك الكلام محرفا - أن يكونوا كلهم بنى زنى، وقرحانين، وموصوفين بالفاحشة الكبرى.

وحكوا فى سفر(٢٩) صَمُوئيل الثانى : أن داوود عليه السلام اطلع من قصره، فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل فى دارها،فعشقها، وبعث فيها، فحبسها أياما حتى حبلت - تعالى الله أن يجرى ذلك على رسله - ثم ردها، وكان زوجها يسمى أورِيّا، غائبا فى العسكر، ولما علمت المرأة بالحمل، أرسلت به إلى داوود . فبعث داوود إلى يوأب بن صُورِيّا، قائده على العسكر يأمره أن يبعث إليه بأوريا زوج المرأة فجاء فصنع له طعاما وخمرا حتى سكر، وأمره بالانصراف إلى أهله ليواقعها فينسب الحمل إليه، ففهم الأمر أوريا وتخابث، فلم يمش إلى أهله، وقال : حاشى لله أن يكون الملك هنا دون أهله، وأمشى أنا إلى أهلى . فلما يئس داوود منه، رده إلى العسكر، وكتب إلى القائد أن يصدّر به فى القتال مستقتلا له،فقتل أوريا، وقتل معه من المؤمنين : سبعة آلاف، وفزع القائد من داوود لقتل العدد العظيم من المؤمنين. وقال للرسول : إذا أنت أخبرت الملك داوود

بقتل الناس ورأيته قد غضب، قل له سريعا : إن أوريا قُتل فيهم. ففعل الرسول، وسكن داوود من بعد الغضب، وسرّ بموت أوريا، وهانت عليه من أجل موته دماء المؤمنين!!

فاعتبر، هذه الفواحش المنكرة، وهذه الصفات المذمومة المستقذرة. هل تليق بأولى الديانات ؟ فكيف بمعدن النبوات ؟ وهل يحمد ذكرها عند ذوى المروءات؟ فكيف عند الحى الكريم إله المخلوقات ؟ تبا لهم، ولمصدقهم، وخسرا براحنة وجذعا وعقرا، فو الله لقد افتروا على رسل الله، وكذبوا على كتب الله ﴿افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾.(٣٠)

وكتبوا فى هذا المصحف (٣١) أن أمنون بن داوود عشق أخته ثامار بنت داوود، وتمارض ؛ فعاده أبوه، فتمنى عليه طعاما تطعمه ثامار أخته، فبعث بها داوود إليه، فلما قرّبت إليه الطعام وضع يده على فيها، وافتضها، فخرجت باكية فلقيها أخوها الآخر، شقيقها أبشالوم، فأخبرته، فهّون عليها، ثم بعد أيام وثب على أمنون فقتله من أجل ذلك وكتبوا فى هذا المصحف (٣٢)أن أبشالوم بن داوود، نافق على أبيه، وأخرجه عن قصره ودخل على نسائه، فوطئهن كلهن على أعين بنى إسرائيل، استبلاغا فى الانتقام من أبيه.

ومن أفضح ما كتبوا فى هذا المصحف (٣٣)عن سليمان بن داوود : أنه ختم عمره بعبادة الأصنام والسحر، وسَيَّبته نساؤه دينه. كذبوا. ﴿قاتلهم الله، أنى يؤفكون﴾(٣٤) إذ بالأباطل والفواحش يتقولون ويتخرّصون، فلقد صدق الله العظيم ورسوله الكريم حيث قال سبحانه وتعالى فى محكم كتابه الحكيم : ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾ (٣٥)فغضبُ الله عليهم وعلى من يصدقهم إلى يوم الدين ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

فهذه الحكايات الوخيمة، والأقوال غير المستقيمة : تضمنت الإخبار عن لوط بأنه زنى بابنتيه وأنهما حملتا منه من الزنى، وأن نبوة يعقوب إنما حصلت له بأن خدع إسحق ومكر به،وإنما كانت لعيسو، وأن داوود زنى بامرأة مؤمنة، زوجة مؤمن . وأن داوود تحيل على زوجها حتى قتل،وقتل لقتله جماعة من المؤمنين، فسر بذلك، وأن رأوبين زنى بسرية

أبيه يعقوب، وكذلك يهوذا زنى بكنته ثامار، وولدت له من الزنى توأمين، وأن ابنة يعقوب زنى بها شخيم بن حمور، وأن أولاد يعقوب بعد أن أمّنوه وعقدوا معه ؛ غدروا به، وقتلوه، وأباه، وأهل القرية. وأن أمنون بن داوود زنى بأخته ثامار بنت داوود، وأن أخاها أبشالوم قتله غيلة وغدرا، وأن أبشالوم زنى بنساء داوود أبيه، وأن سليمان ارتد عن نبوته، وعبد الأصنام.

فإن ثبت هذا الذى ذكروه فى كتبهم - تعالى الله والأنبياء عن قولهم - فهذا الشعب الذى ذكروا فيه هذه الفواحش، ليس هو شعب النبى إسحق، بل هو شعب غدر ونفاق وزنى وكفر، وكيف يصح أن تكون هذه الأفعال القبيحة أفعال أهل نبوة صحيحة ؟ بل كل ذلك ناقض للنبوات، لا سيما مع دعاء إبرهيم وإسحق لذريتهما بالبر، والبركات، فإن كان هذا شعبهما الذى دعوا له بالبر، والبركة. فدعاؤهما غير مسموع، وقولهما مردود مدفوع.

ثم هذه الحكايات الوخيمة، الفاحشة غير المستقيمة فى التوراة. لها أمور تعارضها، بل وأدلة العقل تناقضها.

من ذلك : ما حكى فيها من مدح لوط على لسان إبراهيم، وشهادته له بالبر، وذلك أن الله تعالى لما أعلم إبراهيم بأنه يريد أن يُهلك سدوم وعمورا، وهما مسكنا قوم لوط، قال : «يا رب أتُهلك الأبرار مع الفجار» ؟ (٣٦)يعنى بالأبرار : لوطا وابنتيه. فسماهم : أبرارا. وشهد له بذلك بين يدى الله تعالى. وكيف يصح أن تكون ابنتا لوط من الأبرار، ويوقعان أنفسهما فى أن يزنى بهما أبوهما نبى الله ؟ ثم لم يعصمه الله تعالى من مثل هذه الرذيلة. ثم إن الله شهد عنه هذه الفضيحة التى يتحدث بها على مدى الدهر، مع أنه لم يسمع قط من المتشرعين من أجاز نكاح البنات، وهل هذا من ناقله وناسبه إلى الله، إلا جراة وتواقح على الله؟!!!

وكذلك ما كتبوه فيها من الحكايات التى ذكرناها فى ذرية إسحق، يعارضه ما حكوا فيها عن الله أنه قال لإبراهيم، فى غير موضع مّا منها : «لأباركك بركة تامة، ولأكثر نسلك، ويتبارك بنسلك جميع الشعوب ؛ لأنك أطعتنى».(٣٧)

وكذلك قال الله لإسحق بعد موت إبراهيم : «أنا معك أكون، وأباركك، لأنى أعطيك ونسلك، جميع هذه المتملكات، ويتبارك بنسلك جميع الشعوب».(٣٨)

وكذلك قال إسحق ليعقوب حيث مكر به يعقوب بزعمهم قاتلهم الله. قال: «به يؤتيك الله من طلّ السماء، وخصب الأرض، تعبدك الأمم، وتسجد لك الشعوب، كن رئيسا لإخوتك، تسجد لك بنو أمك، مباركوك مباركون، ولاعنوك ملعونون» (٣٩) تأمل بعقلك هذه المخازى البادية، وما نسبوا فى كتبهم إلى أكرم الخلق من المناكر الفاشية. فإذا أنت أمعنت النظر، واشتدت منك العبر، علمتَ أن هذه الحكايات بواطل، وأن ملحقها فى التوراة وناسبها إلى الله متزندق جاهل. وإنما ألحقها عدو للأديان، أراد أن يقول فى صفوة الله: البهتان، فحصل له مراده، حيث أفسد على المتشرعين الإيمان.

ثم نقول للنصارى بعد ذلك : العجب منكم، ومن جهلكم حيث صدقتم بوقوع هذه الفواحش من الأنبياء، واعترفتم مع ذلك بنبوتهم، ثم لم تجوزوا على الحواريين وقوع الغلط منهم فيما حكوا لكم. إن صحت الحكايات عنهم من اتحاد العلم باللحمة(٤٠)، فإن العقل يدل بضرورته على أن ظاهر ذلك فاسد محال. فهلا عليكم تأوّلتم ذلك، أو قلتم : إنه يجوز عليهم الغلط، ولا يدل ذلك على نقصهم، كما قلتم فى الأنبياء الذين حكيت عنهم تلك الفواحش، ولو فعلتم ذلك كان الأولى عند العقلاء.

■■■

الهوامش..

(١) الصحيح فى أمر التوراة : هو أنها كانت تشبه القرآن الكريم فى كونها كتاب يشتمل على عقائد. وشرائع وحكم وقصص. وهذا الكتاب سلّمه موسى عليه السلام لهارون أخيه. وأمر سبط لاوى الذى منه هرون وموسى أن يتفرغوا للتوراة يعرفوها. ويعرفوها للناس ! ولا يزرعوا ولا يتاجروا ولا يصنعوا. وأن يسكنوا بين الأسباط فى مدنهم لتعليمهم. وأن يسكنوا بين الأمم فى مدنهم لتعليمهم، ويعيشوا على النذور والتبرعات والهبات وما شابه ذلك. وقد بنى بنو إسرائيل المساجد ووضعوا فيها نسخ من التوراة، وبنو المدارس للتعليم الدينى فى كل قرية ومدينة. وانتشرت التوراة فى العالم بهذه الطريقة، وآمن بموسى كثيرون من الأمم فى مصر واليمن والحجاز وإيران وفلسطين وسائر مدن العالم.

ثم تغير الحال. فائتمرت الأمم على بنى إسرائيل. وملكوا أرضهم وديارهم. وحرموا عليهم الجهاد فى سبيل الله. وعندئذ اتفق علماء بنى إسرائيل على تحريف التوراة عمدا. فى مدينة «بابل» سنة ٥٨٦ ق.م وحرفوها وجعلوها شريعة خاصة لبنى إسرائيل بعدما كانت عامة من أيام موسى إلى زمن سبى بابل. وأعادوا كتابتها ولبسوا فيها الحق بالباطل، وحرفوا فيها الكلم من بعد مواضعه. وجعلوها خمسة أسفار هى التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية. ثم اختلفوا على عاصمة الدولة بعد رجوعهم من بابل. فالسامريون يريدون « نابلس » التى هى « شكيم » والعبرانيون يريدون « أورشليم » التى هى « القدس » ولما لم يتفقوا. اتهم كل فريق الفريق الآخر بتحريف التوراة عمدا. وهم يعلمون أن المحرف هو « عَزْرا » والتوراة التى معهم هى توراة عزرا. مع اختلاف يسير، به تتميز توراة عن الأخرى. ففى السامرية تقديس جبل جرزّيم. وعليه يحجون وينحرون الأضاحى. وفى العبرانية تقديس جبل صهيون. ثم إن التوراة العبرانية ترجمت إلى اليونانية على يد سبعين شيخا فى القرن الثالث قبل الميلاد. وفيها زيادات عن العبرانية والنص المتداول إلى هذا اليوم هو الذى كتبه عزرا فى بابل. وأخفوا التوراة الأصلية. وساعدهم الفرس على إخفائها، واضطهاد من يظهرها.

أما أسفار الأنبياء : مثل سفر إشعياء وإرمياء وحزقيال وغيرهم. فهذه الأسفار ملحقة بالتوراة، ويطلق عليها اسم التوراة مجازا. وهى تطبع الآن مع الأسفار الخمسة. وبعدها تطبع كتب الأناجيل. ويُطلق على الجميع اسم الكتاب المقدس أو البايْبَل.

وقد أشار إلى ذلك حِزقيال فى سِفره. فقال : « أما أنتَ فارفع مرثاة على رؤساء إسرائيل. وقل : ماهى أُمُّكَ ؟ لبوة ربضتْ بين الأسود، وربّت جراءها بين الأشبال. ربّت واحدا من جرائها ؛ فصار شبلا، وتعلّم افتراس الفريسة. أكل الناس. فلما سمعت به الأُمم ؛ أُخذ فى حُفرتهم ؛ فأتوا به بخزائم إلى أرض مصر. فلما رأتْ أنها قد انتظرتْ، وهلك رجاؤها ؛ أخذتْ آخر من جرائها، وصيّرته شِبلا. فتمشى بين الأسود. صار شبلا وتعلم افتراس الفريسة. أكل الناس، وعرف قصورهم، وخرّب مدنهم ؛ فأقفرتِ الأرضُ وملؤها من صوت زمجرته. فاتفق عليه الأُمم من كل جهة من البلدان، وبسطوا عليه شبكتهم ؛ فأُخذ فى حُفرتهم. فوضعوه فى قفص، بخزائم، وأحضروه إلى ملك بابل، وأتوا به إلى القلاع ؛ لكيلا يسْمع صوته بعدُ على جبال إسرائيل.

أملكَ ككرمة مثلكَ غُرست على المياه. كانت مثمرة مفرحَة من كثرة المياه. وكان لها فروع قوية لقضبان المتسلّطين، وارتفع ساقُها بين الأغصيان الغَبْياء، وظهرت فى ارتفاعها بكثرة زراجينها ؛ لكنها اقتُلعت بغيظ، وطُرحت على الأرض. وقد ييَّست ريح شرقية ثمرها. قُصِفت وييستْ فُروعها القوية. أكلتها النار. والآن غُرست فى القفر فى أرض يابسة عطشانة، وخرجت نار من فرع عصيها ؛ أكلت ثمرها. وليس لها الآن فرع قوى ؛ لقضيب تسلط. هى رِثاء، وتكون لمرثاة » [حزقيال ١٩].

وقال مؤلف الإعلام : إن هذا النص نبوءة عن محمد ﷺ ولكنى ذكرته ههنا ؛ ليعلم منه : أن الأمم ائتمرت على بنى إسرائيل، وحرمت عليهم الجهاد فى سبيل الله. وعرف قصورهم، وخرّب مدنهم ؛
فأقفرتِ الأرضُ وملؤها من صوت زمجرته. فاتفق عليه الأُمم من كل جهة من البلدان، وبسطوا عليه شبكتهم ؛ فأُخذ فى حُفرتهم. فوضعوه فى قفص، بخزائم، وأحضروه إلى ملك بابل، وأتوا به إلى القلاع ؛ لكيلا يسْمع صوته بعدُ على جبال إسرائيل.

أملكَ ككرمة مثلكَ غُرست على المياه. كانت مثمرة مفرحَة من كثرة المياه. وكان لها فروع قوية لقضبان المتسلّطين، وارتفع ساقُها بين الأغصيان الغَبْياء، وظهرت فى ارتفاعها بكثرة زراجينها ؛ لكنها اقتُلعت بغيظ، وطُرحت على الأرض. وقد ييَّست ريح شرقية ثمرها. قُصِفت وييستْ فُروعها القوية. أكلتها النار. والآن غُرست فى القفر فى أرض يابسة عطشانة، وخرجت نار من فرع عصيها ؛ أكلت ثمرها. وليس لها الآن فرع قوى ؛ لقضيب تسلط. هى رِثاء، وتكون لمرثاة » [حزقيال ١٩] .

وقال مؤلف الإعلام : إن هذا النص نبوءة عن محمد ﷺ ولكنى ذكرته ههنا ؛ ليعلم منه : أن الأمم ائتمرت على بنى إسرائيل، وحرمت عليهم الجهاد فى سبيل الله.

(٢) عدد ٤ : ٢١.

(٣) عدد ١٥ : ١ ـ ٢.

(٤) عدد ١٨ : ٢٥.

(٥) الحجر : ٩.

(٦) طيطوس بن سبسان، وواقعته كانت سنة ٧٠ م.

(٧) انظر فى كل ما يتعلق بالتوراة كتابنا : التوراة أسفار موسى الخمسة ومقدمتنا للتوراة السامرية. وهو يخالف ما قاله المؤلف.

(٨) عينا زمن التحريف فى بابل سنة ٥٨٦ ق.م والمحرف لها : عَزْرا. الذى جاء فى القرآن أن اسمه عُزير.

(٩) التكوين ٦ : ٦ ـ ٧.

(١٠) فى ترجمة ١٩٧٠ « فحزن الرب » بدل « فندم...».

(١١) يشير إلى وعد الله لإبراهيم عن فلسطين « لأن جميع الأرض التى أنت ترى ؛لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد » [تكوين ١٣ : ١٥] واليهود خرجوا من فلسطين.

(١٢) أمثلة هذا فى التوراة كثيرة ولليهود تأويل فى تلك الأمثلة نقلناه عنهم فى كتابنا : الله وصفاته فى اليهودية و النصرانية والإسلام.

(١٣) الشورى : ١١.

(١٤) خروج ٢٥ إلى الآخر.

(١٥) هذا الخبر ليس فى التوراة.

(١٦) البقرة : ٧٩.

(١٧) الأصحاح العاشر من سفر العدد.

(١٨) طه : ٧، ٨.

(١٩) التكوين ١٩ : ٣٠ ـ ٣٨ .

(٢٠) التكوين الأصحاح السابع و العشرون.

(٢١) تكوين ٣٥ : ٢١ ـ ٢٢.

(٢٢) تكوين ٤٩ : ٣ ـ ٤.

(٢٣) تثنية ٢١ : ١٧.

(٢٤) لاويين ٢١ : ٩.

(٢٥) فى ترجمته ١٩٧٠ «شكيم بن حمور الحوى» .

(٢٦) هذه القصة فى الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التكوين.

(٢٧) النص فى الأصحاح الثامن والعشرين من التثنية. والمراء: يتزوجها رجل آخر.

(٢٨) عبارة المخطوطة : سفر ملاخيم، وفى ترجمة الكاثوليك اسمه سفر الملوك الثانى، وقصة زنا داوود التى ذكرها المؤلف فى الأصحاح الحادى عشر.

(٢٩) الأنعام : ١٤٠.

(٣٠) الأصحاح الثالث عشر من سفر صموئيل الثانى.

(٣١) الأصحاح السادس عشر من سفر صموئيل الثانى.

(٣٢) سفر الملوك الأول الأصحاح الحادى عشر - واسمه سفر الملوك الثالث فى ترجمة الكاثوليك (الآباء اليسيوعيين).

(٣٣) التوبة : ٣٠.

(٣٤) البقرة : ١٠٢ والمراد بالشياطين : العلماء.

(٣٥) تكوين الأصحاح الثامن عشر : ٢٣.

(٣٦) تكوين ٢٢ : ١٧ - ١٨.

(٣٧) تكوين ٢٦ : ٣ - ٤.

(٣٨) تكوين ٢٧ : ٢٨ - ٢٩.

(٣٩) يشير إلى ما فى أول إنجيل يوحنا وهو «والكلمة صار جسدا» راجع كتابنا «اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة».

(٤٠) آل عمران : ٣، ٤.

بيان أن الإنجيل ليس بمتواتر وبيان بعض ما وقع فيه من الخلل

فنقول وبالله التوفيق :

إن هذا الكتاب الذى بين النصارى اليوم الذى يسمونه الإنجيل. ليس هو الإنجيل الذى قال الله فيه على لسان رسوله ﷺ : ﴿ وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ﴾(١)

وإنما قلنا هذا فى الإنجيل، دون التوراة، لأن التوراة قد ثبت عندنا وعندهم أن الله تعالى كتبها فى الألواح لموسى عليه السلام. وتدعى اليهود أن موسى عليه السلام نسخ لهم التوراة من تلك الألواح فحصل من هذا أن التوراة بُلّغت بجملتها عن موسى عليه السلام. ثم إنه حدث فيها من التغيير بعده ؛ ما قدمنا ذكره.

وأما هذا الكتاب الذى يدعى النصارى أنه الإنجيل : فقد توافق هؤلاء على أنه إنما تُلقى عن اثنين من الحواريين وهما : متاؤوش(٢) ويوحنا. وعن اثنين من تلاميذ الحواريين وهما : ماركش ولوقا. وأن عيسى عليه السلام لم يشافههم بكتاب مكتوب عن الله كما فعل موسى. ولكن لما رفع الله عيسى عليه السلام إليه، تفرق الحواريون فى البلاد والأقاليم، كما أمرهم عيسى. فكان منهم من كتب بعض سيرة عيسى، وبعض معجزاته، وبعض أحواله، حسب ما تذكّر. وما يسر الله عليه فيه(٣). فربما توارد الأربعة على شىء واحد ؛ فحدثوا به،وربما انفرد بعضهم بزيادة معنى ولذلك كثيرا ما يُوجد بينهم من اختلاف مساق،وتناقض بين قولين وزيادة ونقصان، وسترى بعض ذلك إن شاء الله تعالى. فعلى هذا لايسمى الإنجيل كتاب الله المنزل حقيقة. فإن حقيقة

الكتــاب المنزل بحكم العــرف إنما هو : عبــارة عن جـملة من كـلام الله المبلغ على لسـان رسول من رسله يحكيها ذلك الرسول عن الله تعالى.

وليس شىء من هذا موجودا فى الإنجيل . فإن سماه مسلم كتابا منزلا،ولم يرد هذا المعنى. فلا بد من أن نسـأله عن المعنى الذى يريده بذلك الإطلاق. فلا شك أنه يقول : إنما سميته كتابا منزلا، لأن عيسى جاء من عند الله، وبلغنا شرع الله. وفى ذلك الكتاب وصف سيرته، وحكايات وأخبار عن الله. فكيف لا يقال عليه هو كتاب الله، ومنزل من الله ؟ فنقول له : تسمية هذا كتاب الله بالمجاز، أو بالحقيقة ؟ فإن قال :بالحقيقة. فكلامه باطل. فإن حقيقة كتاب الله المنزل، هو ماقدمناه،وإن قال : بالمجاز. قنعنا بهذا. ثم ألزمناه عليه : أن يكون كل كتاب يحكى عن نبى من أنبياء الله. إن ألفه أى مؤلف، كان كتاب الله، ولا فرق.

وإذ انتهينا إلى هذا، فقد حصل غرضنا . وهو : أن هذا الإنجيل الذى بأيديهم ليس منزلا . ولا يُقال عليه كتاب الله المنزل، كما يقال على التوراة، والقرآن. وذلك ما كنا نبغى.

فقد حصل من هذا الكلام : أنه ليس منزلا من الله حقيقة، وأن نقله ليس متواترا ؛ فإنه راجع إلى الأربعة الذين ذكرناهم. والعادة تجوّز عليهم الغلط، والسهو، والكذب. فإن قالوا : هم معصومون فيما نقلوا عن عيسى عليه السلام. قلنا : ما دليل عصمتهم ؟ فإن قالوا : دليل عصمتهم : أنهم كانوا أنبياء، ودليل نبوتهم : ما ظهر على أيديهم من خوارق العادات. وشهادة عيسى عليه السلام لهم حيث قال لهم :«كل ما سألتموه، إذا حسن إيمانكم، ستُجابون» (٤) وقال لهم : «ستُوقفون على الملوك. ويسألونكم، فلا تفكروا فيما تقولون. فإنكم ستُهدون ذلك الوقت، لما تقولونه، ولستم تنطقون أنتم.لكن روح القدس ينطق على ألسنتكم»(٥) وقد جاء عن عيسى عليه السلام أنه دعا الاثنى عشر حواريا، وأعطاهم من القدرة والسلطان. ما يتقون به جميع الجنّ. ويُبرءون به الأسقام(٦). وكذلك قال لبطرس :«ما عقدته أنت فى الأرض، فمعقود فى السماء، وما حللته فى الأرض

فمحلول فى السماء»[٧]وأما خوارق العادات. فقد كانوا يحيون الموتى، ويبرءون المرضى، كما كان يفعله عيسى عليه السلام وذلك معروف من حالهم.[٨]

قلنا : ما ذكرتموه عن عيسى عليه السلام من الشهادة ؛ فلا يصح لكم الاستدلال بشىء مما ذكرتموه. لوجوه :

أحدها : أنكم أسندتم ذلك إلى الإنجيل، واستدللتم على صدقهم بما جاء عنهم فيه . وما جاء عنهم فيه، لا يثبتُ حتى تثبت عصمتهم، فلا يثبت بما ذكرتموه، لا الإنجيل، ولا عصمتهم.

الوجه الثانى :أنا لو سلمنا ذلك لكم. لما كان فيما ذكرتموه حجة ؛ لأنه ليس شىء منها ينص على أنهم معصومون فيما أخبروا به على الإطلاق، وغاية ما ذكرتموه:أن يدل على أنهم يُعانون ويُؤيدون مما يبلّغون عن عيسى فى بعض الأوقات، أو فى بعض الأخبار والأحوال.

والوجه الثالث : أن ما ذكروه معارض بما نقلوه أيضا. وذلك أنهم نقلوا فى الإنجيل أنه قال للحواريين :«يا نسل التشكيك والكفر. إلى متى أكون معكم ؟ وإلى متى أحتملكم؟»[٩] وأما ما قال لبطرس فهو أيضا معارض بما حكيتم عنه أنه قال له :«تأخر يا شيطان. فإنك جاهل بمرضاة الله».[١٠]

وأما ما ادعوه من معجزاتهم : فلم يُنقل منها شىء على التواتر. وإنما هى أخبار آحاد غير صحيحة. ولو سلمنا أنها صحت ؛ لما دلت على صدقهم فى كل الأحوال. وعلى أنهم أنبياء. فإن القوم لم يدّعوا النبوة لأنفسهم، وإنما ادعوا التبليغ عن عيسى عليه السلام.

فظهر من هذا البحث : أن الإنجيل المدعى لم ينقل تواترا، ولم يقم دليل على عصمة ناقليه. فإذاً يجوز الغلط والسهو على ناقليه، فلا يحصل العلم بشى منه. بل ولا غلبة الظن. فلا يلتفت إليه. ولا يُعوّل فى الاحتجاج عليهم.

وهذا كاف فى رده. وبيان قبول تحريفه، وعدم الثقة بمضمونه. ولكنا مع ذلك نعمد منه إلى مواضع يتبين فيها تهافت نقلته، ووقوع الغلط فى نقله بحول الله تعالى:

فـأول ذلك : أنهم ذكـروا فى أول ورقـة من إنجيل يوحنا حـيث ذكـر المسيح، فـقـال: «وُلد[11] المسيح الذى هو بدء الاشياء وعلتها الأولى . علة جميع الأشياء، وكل زمان، ورأس كل نظام، وأولوية جميع المراتب» ثم قال بعد ذلك فى معرض مدحه :«المكلوم فى لحمه، المعلق فى الخشبة» كيف يجترئ عاقل : أن يتحدث بمثل هذا العار ؟ أو كيف تصح نسبة هذا التناقض البيّن إلى أحد من الأخيار؟

وذكروا فيه أيضا : أن عيسى عليه السلام قال :«أنا الباب. فمن دخل علىّ يسلم. ويجد مرعى أبداً» ثم عرّض بمن قبله من الأنبياء ؛ فجعلهم لصوصا وسراقا. فقال«آمين، آمين. أقول لكم : إنى باب الضأن، والقادمون عليكم كانوا لصوصا وسراقا، ولا يُقبل اللص إلا ليسرق شيئا ويقتل. وأنا قَدمتُ لتحيوا، وتزدادوا خيراً».[12]

وفى الإنجيل أيضا أنه قال :«إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى غير مقبولة، ولكن غيرى يشهد»[13]ثم فى موضع آخر من الإنجيل أنه قال : «إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق ؛ لأنى أعلم من حيث جئت. وإلى أين أذهب»[14] فكيف تكون شهادته حقا وباطلا، ومقبولة وغير مقبولة ؟ وكيف يجمع بين هذين فى كتاب ينسب إلى الله ؟

وفى الإنجيل أيضا : أنه حين استشعر بوثوب «يَهُوذا» عليه. قال : «قد جزعت نفسى الآن. فماذا أقول يا أبتاه ؟ فسلّمنى فى هذا الوقت»[15] وأنه حين رفع فى الخشبة صاح صياحا عظيما وقال : «آلى. آلى. لم عد بتاى» ؟ وترجمته : «إلهى. إلهى. لم أسلمتنى»[16] ؟ ثم فى أول ورقة منه :«إنما أسلم نفسه لتظهر قدرته بسلطانه على الموت، وظفرته على جميع الآلام والمحن التى تستقبحها أوهام الآدميين»[17] فكيف يصيح ويجزع مما تظهر به قدرته وقهرته ؟ وهل سمع قط أسخف من هذا القول أو أظهر تناقضا منه ؟

ثم فى موضع آخر منه : أنه قال قبل ذلك : «من أحب أن يقفو أثرى، فليُذهب نفسه»[18] فحرض على إتلاف النفوس. فكيف يجزع مما يحرض عليه قبل؟ أم كيف يكون إلها ويجزع نفسه ؟ أم كيف يكون «ابن الله» ثم يدعوه أن يخلصه فى ذلك الوقت فلم يستجب له ؟

ومن أظهر الدلائل على وقوع الغلط فيه : أن فى إنجيل متاؤوش الحوارى حين ذكر نسب عيسى عليه السلام حيث نزل خطيب مريم أبا لعيسى. فقال :«ابن يوسف بن يعقوب بن متان بن أليعازر بن أليود بن أخيم»[١٩] وعدّ إلى إبراهيم الخليل تسعة وثلاثين أبا، ثم فى إنجيل لوقا يقول :«يوسف بن هالى بن متثات بن لاوى بن ملكى. بن ينّا»[٢٠] وعد إلى إبراهيم نيفا وخمسين أبا. فيا ليت شعرى. كيف يجوز مثل هذا على الله ؟ أو كيف ينقل هذا فى كتاب معلوم عن الله ؟ وقد أراد بعض أساقفتهم أن يرقع هذا الخرق المتسع بأن قال : أحد النسبين طبيعى، نسب التوليد، والآخر نسب شرعى، نسب الولاء والكفالة. والتناقض باق عليه بعد اختراع هذا الهذيان . ثم انظر هذه الشناعة التى ارتكبوها. حيث نسبوا عيسى عليه السلام إلى رجل زعموا أنه خطب أمه مريم. وأى نسبة تثبت بينهما. بأن أراد أن يتزوج إنسان أمه ؟ ثم إنهم يبلغون نسب يوسف إلى آدم. ثم يقولون : إلى الله. فهلا عليهم يستغنون عن ذكر نسب من لا ينتسب فى عيسى، ويقولون فى عيسى : ما يقولون فى آدم ؟ لولا الجهل والتحكم.

وفى الإنجيل عنه:أنه كان يوما قد نهاهم عن التجارة فى بيت المقدس. وأن اليهود قالت له حينئذ:«أى علامة تظهر لنا ؟ قال : تهدمون هذا البيت وأبنيه لكم فى ثلاثة أيام، فقالت اليهود : بيت بنى فى ستة وأربعين سنة تبنيه أنت فى ثلاثة أيام»؟[٢١]

ثم فى موضع آخر منه : أنه لما ظفرت به اليهود . بظنهم . وحمل إلى بلاط قيصر، واستدعيت عليه بينة. أن شاهدى زور. جاءا إليه. وقالا : سمعنا هذا يقول : أنا قادر على بُنيان البيت فى ثلاثة[٢٢]. وهذه شهادة موافقة لما قال عيسى لليهود. فهذا الشاهد قال عليه الحق لما يقتضيه كلامه. ومن شهد بما سمع . كيف يقال عليه : شاهد الزور ؟ أو كيف يسميه الله شاهد زور ؟ ومن أعجب الأشياء : أن اليهود لا تعرف شيئا من هذا. ولا سمعت أن أسلافها جرى بينهم وبين عيسى هذا المجلس ولا سوى ذلك مما تصفون من خرافات كتبكم.

وفى الإنجيل أيضا للوقا : أن عيسى قال لرجلين من تلاميذه : «اذهبا إلى الحصن الذى يقابلكما، فإذا دخلتماه فستجدان فلواً مربوطا لم يركبه أحد. فحلاّه واقبلا به

إلىّ»[٢٣] وفى الإنجيل لمتاؤوش[٢٤] يصف هذا الخبر بعينه، ويذكر أنها كانت «حمارة» فحسبك بهذا خللا وتناقضا.

وفى الإنجيل أيضا للوقا[٢٥] : يخبر عن المرأة التى صبَّتِ الطيب على رجلىْ المسيح، وشق ذلك على التلاميذ، وقالوا لها : هلا تصدقت به ؟ وفى الإنجيل لمتاؤوش[٢٦] : أنها إنما صبت الطيب على رأس المسيح. فما أبعد اليقين، عن خبر فيه مثل هذا الاختلاف المبين.

وفى الإنجيل[٢٧]أيضا : أن أم ابنى زبدى جاءت إلى عيسى، ومعها ابناها. فقال : ما تريدين ؟ فقالت : أريد أن تُجلس ولداى أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، إذا جلستَ فى مُلكك. فقال : تجهلين السؤال. أيصبران على الكأس التى أشرب بها ؟ فقالا : نصبر. فقال : ستشربان بكأسى، وليس إلىّ تجليسكما عن يمينى، ولا عن شمالى، إلا لمن وُهب ذلك لى. فقد أخبر هنا : أنه لا يقدر على تجليسهما عن يمينه، ولا عن شماله.

وفى أول ورقة[٢٨]منه : أنه بدء الأشياء وعلّتها، وعلة كل زمان. فكيف يصح أن يكون بدء الأشياء كلها وعلتها، ولا يقدر أن يجلسهما عن يمينه، ولا عن يساره. ثم يتبرأ عن ذلك بقوله :«إلا لمن وُهب ذلك لى» ولا مزيد فى التناقض والفساد على هذا.

وفى الإنجيل أيضا أنه قال : «لا تحسبوا أنى قدمت لأصلح بين أهل الأرض، لم آت لصلاحهم، لكن لألقى المحاربة بينهم. إنما قدمت لأفرق بين المرء وابنه والمرأة وابنتها، حتى يصيروا أعداء . وأعداء المرء أهل بيته»[٢٩]. وفيه أيضا عنه: «إنما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيرا، وأصلح بين الناس»[٣٠] وأنه قال :«من لطم خدك اليمنى، فانصب له اليسرى»[٣١] ولا مزيد فى التناقض والفساد على هذا.

وفى الإنجيل أيضا أنه قال : «لم آت لأنقض شريعة من قبلى، إنما جئت لأتمم»[٣٢] وكلاما من معناه. ثم فيه بعد أحرف قليلة : كلام آخر ينقض فيه شريعة من قبله . وذلك أنه قال : «أما علمتم أنه قيل للقدماء : لا تقتلوا. ومن قتل فقد استوجب النفى من الجماعة» ؟ ثم قال بعد ذلك : «أما علمتم أنه قيل للقدماء : من فارق امرأته فليكتب لها

كتاب طلاق ؟ وأنا أقول لكم : من فارق امرأته منكم فقد جعل لها سبيلا إلى الزنى. ومن تزوج مطلقة فهو فاسق» ثم قال : «أما بلغكم أنه قيل للقدماء : العين بالعين، والسن بالسن ؟ وأنا أقول لكم: لا تكافئوا أحدا بسيئة، ولكن من لطم خدك اليمنى، فانصب له اليسرى. ومن أراد مغالبتك «انتزاعك قميصك ؛ فزده أيضا رداءك».(٣٣)

كيف يصح أن يقول : «لم آت لأنقض شريعة مَن قبلى» ثم ينقضها حكما حكما؟ ثم قوله: «جئت متمما» لا يصح أيضا. فإن شريعة موسى كانت تامة كاملة. والتام لا يتمم، والكامل لا يكمل. فهذا تناقض وفساد. وعيسى عليه السلام منزه مبرأ عن كل تناقض وفساد. وليس هذا ولا شيء منه من قبله، بل هو منزه عن ذلك كله.

وفى الإنجيل أيضا لمتاؤوش : أن المسيح قال لبطرس : «طوبى لك يا شمعون ابن الحمامة. وأنا أقول : إنك الحَجَر، وعلى هذا الحجر أبتنى بيتى. فكل ما حللته على الأرض ؛ يكونُ محلولا فى السماء، وما عقدته على الأرض يكون معقودا فى السماء»(٣٤) ثم بعد أحرف يسيرة قال بعينه : «اذهب يا شيطان، ولا تعارض ، فإنك جاهل بكونى»(٣٥) فكيف يكون شيطان جاهل يطيعه صاحب السماء ؟ وهذا غاية التناقض.

وفى الإنجيل أيضا لمتاؤوش : أن عيسى قال : «لم تلد النساء مثل يحيى»(٣٦) ثم فى إنجيل يوحنا : أن يحيى بعثت إليه اليهود من يكشف لهم أمره فسألوه :«من هو ؟ أهو المسيح؟ قال : لا. قالوا :أتراك إلياس(٣٧) ؟ قال : لا. قالوا : أنت النبى (٣٨) قال : لا. قالوا : أخبرنا من أنت ؟ قال: أنا صوت مناد، فى المفاز» فنفى عن نفسه كونه «النبى» ولا يجوز لنبى أن ينكر نبوته ؛ فإنه يكون كاذبا. والنبى الصادق لا يكذب. فليزمهم أحد أمرين : إما أن يكون يحيى ليس بنبى(٣٩) هو باطل أو يكون إنجيلهم محرفا. وهو الحق. ولو تتبع ما فيه من هذا القبيل لاحتاج إلى التكثير والتطويل. وبموضع واحد من هذه المواضع يحصل : أن كتابهم قابل للتحريف والتغيير. فكيف بالتزيد والتكثير ؟ فقد حصل من هذا البحث الصحيح :

أن التوراة والإنجيل لا تحصل الثقة بهما، فلا يصح الاستدلال بهما ؛ لكونهما غير متواترين وقابلين للتغيير.

وقد دللنا على بعض ما وقع فيهما من ذلك. وإذا جاز مثل ذلك فى هذين الكتابين مع كونهما أشهر ما عندهم، وأعظم عمدهم ومستند ديانتهم. فما ظنك بغير ذينك من سائر كتبهم التى يستدلون بها مما ليس مشهورا مثلهما، ولا منسوبا إلى الله نسبتهما؟

فعلى هذا، هما أوّلى بعدم التواتر، وبقبول التحريف فيهما. فإذا ادعوا تواتر شىء من ذلك فلينظر. هل كملت فيه شروط التواتر أم لا ؟ فإن كملت ؛ قبلنا وآمنا. وإن لم تكمل ؛ توقفنا وطالبناهم بالطريق الموصل إلى العلم.

فإذا ثبتت هذه المقدمة. قلنا بعدها للمستدل على إثبات نبوة عيسى بالأدلة المتقدمة : لا تظن أننا نرد نبوة عيسى، أو أنا نشك فيها. حاشا لله. بل نحن أحق وأوّلى بعيسى ابن مريم منكم. فإنكم قلتم فيه ما لا ينبغى له، ونسبتموه إلى ما يتبرأ هو منه. بل أنتم لعمرى - والله - أبعد منه، وأبغض له ممن أنكر نبوته. وكفر به. فإن من أنكر نبوته، وكفر به. لم يشرك بالله - كما فعلتم أنتم حيث جعلتموه إلها آخر - ولم يعرّض عيسى عليه السلام للموقف المخجل الذى يسأله الله فيه عن غلوّكم فيه وعبادتكم له. حيث يقول الله له :

﴿ يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله﴾ ؟ فيقول خجلا، فزعا،متبرأ من قبيح ما نسبتموه إليه : ﴿ سبحانك. ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق، إن كنت قلته فقد علمته ﴾. (٤٠)

وأما نحن فإنما نقول فيه، ما قاله الله على لسان رسوله المصطفى :﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ﴾ (٤١) وما قاله الله أيضا فيه على لسان إشعياء حيث بشّر به، وأخبر بقدومه: «هذا غلامى المصطفى وحبيبى الذى ارتضت به نفسى»(٤٢) وما قاله هو عن نفسه حين تكلم فى مهده: ﴿ إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾(٤٣) فنحن نعرفه حق معرفته، ونؤمن بنبوته وشريعته، ونحيل عليه الإلهية، إذ ليست من صفته ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم

والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾.(٤٤)

ثم إنا نعرف ما ذكرناه من وصفه بأدلة كثيرة قاطعة، وبراهين صادقة تخضع لها رقاب الجاحدين، وتستضىء بنورها بصائر المبصرين. وإذا كان كذلك. فما استدللتَ به أنت على نبوة عيسى من كلام النبيين - إن صح - فهو زيادة فى أنواع الأدلة، لا فى نفس اليقين. فلذلك لا نباحثك فيها، ولا نبالى بك. أتجهلها أم تدريها ؟ على أنا لو ناقشناك فى تلك الأدلة لأظهرنا لك فيها الفساد والعلة. ولكن ما لا يخالف غرضنا ولا يقتضيه. فما بالنا نطول أنفاسنا فيه.

■■■

الهوامش..

(١) متاؤوش هو : متى فى التراجم الحديثة. وماركش هو : مرقس.
(٢) الصحيح فى أمر الإنجيل : هو أن الله تعالى بين فى التوراة لموسى عليه السلام أنه سيبعث لبنى إسرائيل نبيا مثله. له يسمعون فى كل ما يكلمهم به. ذلك قوله : «يُقيم لك الرب إلهك : نبيا من وسطك من إخوتك مثلى. له تسمعون» [تث ١٨ : ١٥-٢٢] وظل بنو إسرائيل ينتظرون هذا النبى إلى زمن يحيى وعيسى - عليهما السلام - وكان علماء بنى إسرائيل يُشيعون كذبا أنه سيكون من بنى إسرائيل ؛ فأرسل الله يحيى وعيسى ليبينا أنه سيأتى من نسل إسماعيل، وسيأتى من بعدهما ويُعتبر كلام موسى عنه «خبرا» ويعتبر كلام عيسى عنه «بُشرى» والبشرى بلغة اليونان هى «الإنجيل» وكان عيسى عليه السلام يذكر أمام الناس نصوص التوراة عنه، ويفسرها التفسير الذى ينطبق على محمد ﷺ، فيكتب التلاميذ والكتبة ما سمعوه منه . وهو:

١- نص التوراة.
٢- والتفسير.

وبعد زمان جمع التلاميذ كل المأثورات عن عيسى عليه السلام ووضعوها فى كتاب، وسموه الإنجيل.

وإذا أراد تلميذ من تلاميذه أن يذهب إلى مدينة مّا ؛ ليبشر بمحمد ﷺ بكلام المسيح ؛ كان ينقُل من الكتاب الرئيسى كتابا، ويُسلّمه إلى المؤمنين به فى هذه المدينة ويُنسب هذا الكتاب إلى التلميذ. أى كلام المسيح برواية هذا التلميذ. ثم جمعوا كتابا فى سيرته ومعجزاته ومحاوراته للعلماء. ثم وضعوا ١- السيرة ٢- والأقوال المأثورة فى كتاب. نقل منه الناقلون كمتى ومرقس ولوقا ويوحنا. يدلك على ذلك : ١- ما جاء فى إنجيل يوحنا فى الأصحاح السادس. من أن المسيح فسر نبوءة العاقر فى الأصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء على أمة محمد ﷺ وذلك فى قوله : «إنه مكتوب فى الأنبياء :" ويكون الجميع متعلمين من الله»».

٢ - ما جاء فى إنجيل يوحنا فى الأصحاح الخامس عشر من أنه استدل بالزبور على محمد ﷺ فى قوله : «لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم : إنهم أبغضونى بلا سبب» وهى فى المزمور ٦٩ وغيره.

٣ـ تطبيقه نبوءة النبى الأمى وهى «يقيم لك الرب إلهك نبيا..» [تث ١٨ :١٥ـ ٢٢].
(٢) متى الأصحاح السابع عشر والحادى والعشرون.
(٣) الأصحاح العاشر من إنجيل متى.
(٤) الأصحاح السادس عشر من إنجيل متى.
(٥) لوقا : الأصحاح التاسع.
(٦) الأصحاح التاسع من إنجيل لوقا.
(٧) الأصحاح السادس عشر من إنجيل متى.
(٨) يشير إلى بدء إنجيل يوحنا : «فى البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله..»الخ.
(٩) الأصحاح العاشر من يوحنا.
(١٠) يوحنا ٥ : ٣١.
(١١) يوحنا ١٤:٨.
(١٢) متى ٢٦ : ٣٨.
(١٣) «ايلى. ايلى. لما شبقتنى. أى إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟» [متى ٢٧ : ٤٦].
(١٤) الآية بالمعنى فى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا. والأصحاح الثانى من سفر أعمال الرسل.
(١٥) الأصحاح العاشر من إنجيل متى.
(١٦) الأصحاح الأول من إنجيل متى.
(١٧) الأصحاح الثالث من إنجيل لوقا.
(١٨) الأصحاح الثانى من إنجيل يوحنا
(١٩) الأصحاح السادس والعشرون من إنجيل متى.
(٢٠) الأصحاح التاسع عشر من إنجيل لوقا.
(٢١) الأصحاح الحادى والعشرون من إنجيل متى.
(٢٢) الأصحاح السابع من إنجيل لوقا.
(٢٣) الأصحاح السادس والعشرون من إنجيل متى.
(٢٤) الأصحاح الحادى والعشرون من إنجيل متى.
(٢٥) يشير إلى إنجيل يوحنا الأصحاح الأول.
(٢٦) متى ١٠ : ٣٤ ـ ٣٦.
(٢٧) متى ٢٠ : ٢٨.
(٢٨) متى ٥ : ٣٩.
(٢٩) متى ٥ : ١٧ وإن المؤلف لا يفهم مراد المسيح فى هذا الموضع . ومراده هو : أن المسيح ما جاء للنقض . وإنما جاء لإتمام التوراة بمعنى أن فيها حكم فقهى لم يعمل به اليهود وهو الإيمان بمحمد إذا

جاء والسماع منه [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢] وإذا جاء وآمنوا به وسمعوا منه ؛ فإنهم يكونون قد أتموا الدين كله . هذا هو ما يقصده المسيح . ولذلك لما ظهر محمد قال الله : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وقول المسيح قيل لكم لا تقتلوا وأنا أقول لا تفكروا فى القتل، فهذا ليس تشريعا منه، وإنما هو مبالغة فى نفى أسباب القتل، وهكذا سائر نصائحه.

(٣٠) متى ٥ : ٤١.

(٣١) متى ١٦ : ١٨ ـ ١٩.

(٣٢) متى ١٦ : ٢٣.

(٣٣) متى ١١ : ١١.

(٣٤) إلياس فى التراجم الحديثة : إيلياء.

(٣٥) المؤلف قرأ النص «أنت نبى» والصحيح كما فى جميع التراجم «أنت النبى ؟» لأنهم يسألون عن نبى معهود تحدث عنه موسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية. فنفى يحيى أنه النبى المسئول عنه، لا أنه ينفى نبوته . كما فهم المؤلف . وهذا النبى المسئول عنه هو محمد ﷺ وهذا النص فى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا.

(٣٦) يحيى ؛ نبى، ولكن ليس هو النبى المنتظر المسئول عنه.

(٣٧) المائدة : ١١٦.

(٣٨) المائدة : ٧٥.

(٣٩) الأصحاح الثانى والأربعون من سفر إشعياء وهذه البشارة لمحمد وتعرف بنبوءة العبد المسالم.

(٤٠) مريم : ٣٠، ٣١.

(٤١) آل عمران : ٧٩

(٤٢) آل عمران : ٣ ـ ٤.

وقال المسيحى:
أيها المسلمون
اثبتوا دينكم من التوراة

قال:«وأنت أيها الإنسان، تجدوا فى كتابكم، فى آل عمران : ﴿وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس﴾.(١)

فأنت مقر بالتوراة والإنجيل، فاثبتوا دينكم من التوراة، كما أثبتنا نحن ديننا من كتب الأنبياء. واعلم أنه لا نقبل لكم من كتبكم شيئا. فإن قلت من كتابك شيئا. قلت لك : كما قال رسولك : (البينة لمن ادعى، واليمين على من أنكر) فوجب عليك أن تثبت دينك من التوراة والإنجيل التى أنت مقر بهم، وأنت تدعى أن كتابكم من الله. فاثبتوه من التوراة بالعِبرانى، ومن الإنجيل بالعَجَمى، كما أنتم مقرون.

وقولكم :﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾(٢)فإنى أطالبك من الكتب التى جاءت به الرسل، كما قلتم. فائت بما ادعيت، وإلا «يمينى» لأنى أنكر لك، ولا نقبل لك من النبوات والروايات المرويات عن «مُسلِم» فى كتابه الذى قال : «حدّثنا سُفيان عن الزّهرى، عن قتادة، عن عائشة، قالت: جاءت امرأة رفاعة إلى الرسول. فقالت له : كنتُ لرفاعة، فطلقنى، فتزوجتُ عبد الرحمن بن الزبير، فتبسّم الرسول ضاحكا. وقال : (أتريدين أن ترجعى إلى رفاعة ؟ لا. حتى تذوقى عسيلته، ويذوق عبد الرحمن بن الزبير عسيلتك) وفى رواية أخرى عن عائشة قالت : «طلق رجل امرأته ثلاثة. فتزوجها رجل، ثم طلقها قبل أن يدخل بها، وأراد زوجها الأول أن يتزوجها. فسئل الرسول عن ذلك. قال : (لا. حتى يذوق الآخر من عسيلتها ما ذاق الأول).

فافهم. فمثل هذه النبوات لا نقبلها منكم ؛ لأن المسيح يقول : «لا ينبغى لرجل طلاق زوجته إلا أن تزنى. وإن زنت فلا يحل له مراجعتها. ومن طلق امرأته فقد جعل لها سبيلا إلى الزنى» أعنى من طلقها دون سبب «ومن تزوج مطلقة فهو فاسق بها» [٣] وأنتم تقولوا : لا يحل لزوجها مراجعتها إلا أن تزنى. بدل أن تنهوا عن الزنى تأمرونا بالزنى. وهو عندكم فريضة التُّياس . وأنا أريد قطع ذنب التَّيس، وأن نجعله فى ذقنه، ليلوح استُه لمعرة صرصر الشمال، وحمارة قيظ هجير الجنوب.

وهذا جواب كلامك، انتصافا منك، كما يقول قرآنك. ومن انتصف من بعد ظلمه، فلا جناح عليه[٤]. فافهم.

ثم قلت فى شعرك :

أراد النصارى ينصرون محالهم..

فانصر أنت محالك. لأنك قلت بالسَّفه، والطعن فى ديننا. وقلت الكذب على مسيحنا. كيف قلت ما لم تعلم ؟ وكيف تجرأت أن تتكلم ؟ واعلم أنك إن أرسلتَ بعد هذا بالشتم فإنى أبعث إلى كل بلد كتابا بنص شريعتكم، وبكل ما نعرف فيها من الأقاويل التى لا تقدرون على إنكارها. فافهم. لأنك قلت فى المسيح : غث وأوطار، وأنك سبّيت الحاكم عليك وعلى جميع الأمم يوم القيامة. لكن سوف تلقاه حاكما ليس يطلب عليك بينة. فإن أرسلت بعد هذا بالشتم، فإنى أعرفك بشجرتك ما هى ؟ حتى تعلم من أنت ؟ واعلم أنى لم أريد فى الأول شتم أحد. لكن لما بعث إلى [illegible] كِتاب بالسفه والسب. رددت له الجواب بأمه هاجر، ولم نقل فيها عُشر ما قال الله فيها فى التوراة. وعن ابنها. فاسمع قول الله عنها، وعن ابنها :

«رأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدت لإبراهيم، وهو يلعب. فقالت لإبراهيم : ارم هذه الأمة، وابنها إذ ليس ترث هذه الأمة وابنها مع ابنى إسحق. فصعب على إبراهيم ما قالت له عن ابنه. فقال الله لإبراهيم : لا يصعب عليك بكلام سارة عن الصبى، وعن أمتك. وجميع ما تقول لك سارة اسمع من قولها. فقال إبراهيم :هذا كلام الله إلى قائلا

: لا يرثك هذا. إن الذى يخرج من صلبك هو يرثك. ثم قال الله لإبراهيم : بإسحق يتسمّى نسلك».(٥)

فافهم ترشد. واعلم كيف قطع الله ورث إسماعيل وأمه فى قوله : «لا يرثك هذا» ثم قال عن إسحق : «الذى يخرج من صلبك» وكيف قال الله لإبراهيم : «بإسحق يتسمّى نسلك » ولم يقل : «بإسماعيل يتسمى نسلك»

«فأخذ إبراهيم خبزا، وجرة ماء، وجعل على أكتاف الأمة، وجعل إسماعيل على عنقها(٦) بالليل، وأخرجها بولدها عن العمران. فتناسلت منه الأمة، التى قال فيها قرآنكم:﴿ أشد كفرا ونفاقا ﴾.(٧)

فافهم. والسلام على من اتبع الهدى، وآمن بشريعة المسيح. حقيقة الإيمان، ورحمة الله وبركاته» [كمل كلامه]

●●●

الجواب عما ذكر : اعلم يا هذا المخدوع، المصروف عن المعارف، الممنوع. الشاهد عليه جهله، بأنه ليس بتابع، ولا متبوع : أنا نؤمن بالله وكتبه، ولا نفرق بين أحد من رسله. فنؤمن بالتوراة والإنجيل، اللذين أنزلهما على رسوليه، الملك الجليل. ولكن قبل أن يعتريهما التغيير والتبديل. وقد نبهنا على أن الكتاب الذى بأيديكم المسمى : بالإنجيل عندكم، لا يقال عليه : منزل بالحقيقة، كما تقدم من تلك الطريقة. ثم إنا نسلم جدلا صحة ما تدعونه من تلك النبوة، ونبين صحة نبوة نبينا منها عن كثب.

فأما قولك :«واعلم أنا لا نقبل من كتبكم شيئا» فليس ذلك بأول عنادكم، فكم لكم منها. وكم «شنشنة أعرفها فى أخزم» لكنكم لستم عند العقلاء أهلا لقبول حق. ولا لرد باطل. فليس ردكم بأوّلى من قبولكم. وهكذا فعل الرعاع الغثر، الغثاء الغبر. يقبلون بغير دليل، ويردون بغير حجة، ولا سبيل. وإلا فما الدليل الذى أوجب عندكم. ألا تقبلوا نبوة نبينا محمد ﷺ مع وضوح معجزاته، وعدالة بيناته. على ما نبينه إن شاء الله تعالى ؟

فظهر من هذا أن ردكم لديننا ليس بدليل. وإنما هو لأجل اتباع قول كل جهول دخيل. يحكم على عقله هواه، ويطيح معه حيثما رماه. ولأجل ذلك صار دينكم ضحكة العقلاء، مشتملا علي كل مقالة شنعاء. ومن كان هذا منهج سبيله ؛ فرده لغير معنى، بمثابة قبوله.

ولقد كان ينبغى لك، لو كنت على سنن النظّار، أهل البحث عن الحق والاعتبار أن تحكى ديننا، وتستدل بزعمك على فساده، كما قد فعلنا نحن بدينكم. إذ بينا تناقضه، وعدم سداده. على أنه قد تبين الصبح لذى عينين. ووضحت الشمس لسليم الحاستين.

ما ضر شمس الضحى فى الجو مشرقة

الا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

ثم قلت متواقحا فى قولك، مستهزئا برسل ربك «فإن قلت من كتابك شيئا قلت لك كما قال رسولك :«البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر» أما قولك «رسولك» فنعم هو رسول إلينا وإليك، فآمنا وكفرت، وصدقنا وكذبت ﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾(٨) فنحن نقول : «رضينا بالله ربا. وبمحمد رسول الله رسولا. وبالإسلام دينا» وأما أنت. فإن مت مصرا على تكذيبك ؛ فليدخلنك الله النار، وليدخلنك فى دار البوار، فلا تتفع بشفاعة ملك مقرب، ولا نبى مختار. وأما طلبك البينة على صدقه، فكفاك شهادة الأنبياء العارفين بحقه، المخبر عنه بلزوم تصديقه وصدقه، وسنبين ذلك بأبلغ بيان. وأوضحه بأوضح برهان.

وعلى سبيل الاستعجال يكفيك بينة عدله ما وقع فى صحف النبى دانيال حيث وصف الكذابين، وقال : «لا تمتد دعوتهم، ولا يتم قربانهم. وأقسم الرب بساعده أن لا يظهر الباطل. ولا تقوم لمدع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة»(٩) وهذا دين محمد رسولنا ﷺ قائم منذ ستمائة سنة ونيف. فكيف ترى هذه البينة المصححة ؟ أمعدلة عندك أم مجرحة ؟

وكذلك فى صحف النبى حَبَقُّوق، وهو الشاهد المعظم الموثوق. قال:«جاء الله من التيمن، والقدوس من جبال فاران، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد(١٠)، وتقديسه،

وملك الأرض بهيبته» وقال أيضا : «تضىء له الأرض، وستزع فى قسيك إغراقا، وترتوى السهام بأمورك. يا محمد»[11] فهذا النبى الصادق المصدق قد أفصح بنعته، وصرح باسم بلده، وشهد بصدقه. ومن كان الأنبياء شهوده، فقد استحق مكذبه عذاب النار وخلوده. فلعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من تبين له الحق. ثم صار عنه من المعرضين، وسنعقد فى النبوات فصلا مفردا، ونأتى فيه بالعجائب حتى يتبين فيه تواقح كل طاعن عائب.

وأما قولك «وأنت تدعى أن كتابكم من الله» فإن كنت تنكر ذلك فادع عصابتك البلغاء من نصارى نجران، المتكلمين بلغة القرآن، ليعارضوا بسورة من مثله. فإن فعلوا ذلك، دحضت حجته، وانقطع عظيم قوله. لكنهم لما سمعوا منه القرآن ؛ تحققوا على القطع : أنه ليس يقدر عليه أحد من الإنس والجان. وعلموا أنه كلام الملك الديان. فآمنوا وصدقوا، لما عرفوا وحققوا، فحصلوا على فضل الملتين، وآتاهم الله أجرهم مرتين.

وأما قولك «فاثبتوه من التوراة بالعبرانى، ومن الإنجيل بالعجمى» فلتعلم أنا لولا كره منا أن نتكلم برطانة العجم، لكان ذلك علينا أيسر شىء يلتزم. ولكنا إن شاء الله تعالى نذكر كلام الأنبياء من كتبكم كما قد ترجمها المترجمون من أهل ملتكم مثل «يرونم» و «حفص بن البرقى» وغيرهما من المترجمين، الذين تثقون بقولهم، وتعوّلون على نقلهم، ولست أفعل مثل ما أنت فعلت، ولا أصنع شيئا مما صنعت . حيث نقلت كلام الأنبياء بالعبرانى والعجمى، ثم إنك شرعت فى ترجمته، وفى تفسيره من غير أن تنسب التفسير إلى أحد المترجمين العالمين بالمعانى. وباللغات، ومواقع الألفاظ. وأما أنت فلست بموثوق بنقلك، ولا مصدق فى قولك؛ لجهلك بالشروط التى يحتاج إليها المترجمون.وإذا ادعيت أنك لست جاهلا. فما حد الترجمة ؟ وحقيقتها ؟ وما شروطها ؟ وكم أقسامها ؟ وما المحل الذى تجوز فيه من الذى لا تجوز ؟ وبهذا السؤال يظهر جهلك وتبلدك، وحصرك وتوددك.

ثم قلت «فائت بما ادعيت، وإلا يمينى لأنى أنكر» ها أنا قد أقمت البينات العدول، الذين ليس لقائل فى عدالتهم ما يقول. ولقد أعلم مع ذلك أنك تبادر باليمين، وتباهت

المسلمين. إذ قد تقولت بالكذب والزور، على رب العالمين. ثم ذكرت على جهة الاستهزاء والتنقيص والازدراء والتخريص، حديث امرأة رفاعة، لتقبح بذلك ديننا، وتنسب إليه شناعة، وأنت مع ذلك لم تعرف معناه، ولا فهمت فحواه.

ثم قلتَ بعد أن أخللت بمساقه، ولم تقمه على ساقه : «فمثل هذه النبوات لا نقبلها منكم. لأن المسيح يقول : «لا ينبغى لرجل طلاق زوجته إلا أن تزنى» فلتعلم أن هذا كلام جاهل بأحكام الأنبياء، ظانا أن أحكام الشرع صفات لأعيان الأشياء. ثم تستمد من إنكار الناسخ والمنسوخ، وكلام كل جاهل مردود مفسوخ.

فنقول لهذا المنكر الجاهل، الذى ليس بمتشرع ولا عاقل : مَنْعك طلاق الرجل زوجته ورده إياها بعد طلاقها. لا يخلو إما أن يكون منعا من جهة العقل أو من جهة الشرع. فإذا ادعيت أنه من جهة العقل كانت دعواك باطلة . بالضرورة. فإن صور هذه المسائل ووجودها معلوم بالضروة، فإذا بطل أن يكون امتناعها من جهة العقل ؛ فيجوز أن توجد، وإذا جاز أن توجد ؛ فكيف ينبغى لمن ينتسب إلى العقل أن ينكر نبوة من قامت الأدلة القاطعة على صدقه من حيث إنه حكم بشىء يصح فى العقل أن يوجد ؟

ثم من العجب العجاب الذى يستعظمه أولو الألباب : أنكم التزمتم فى شرعكم بما يشهد العقل الأول بفساده مثل قولكم فى الأقانيم : «إنها آلهة ثلاثة. إله واحد» وقلتم فى الاتحاد والحلول، ما يعلم فساده بضرورة العقول. ثم لم ينفّركم ذلك عن اتباع شرعكم. بل يقول من يميز استحالة ذلك القول منكم : هذا مما ليس يدرك بالعقول، بل يتبع فيه الكتاب المنقول. ثم بعد التزام هذه المحالات، والمدافعة عنها بالترهات والخرافات ؛ تنكرون علينا فعل شىء تجوزه العقول، ولم تصر إليه إلا بعد ثبوت الشرع المنقول، الذى دل على صحته البرهان المعقول. فأنتم من الجهل والزلل،كما جرى من كلام النبوة مجرى المثل : «يبصر أحدكم القذاة فى عين أخيه ولا يبصر الجذع فى عينه»[١٢] وإنما كان ذلك كله للمعنى الذى نبه الشاعر عليه هنالك :

عيون الرضا، عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

فلو وفقتم لطريق الإنصاف، لتركتم طريق التعصب والاعتساف. ولو كنتم تطلبون الحق بدليله لأوشك أن يرشدكم إلى سبيله، ولكن من حُرم التوفيق استدبر الطريق، ونكل عن التحقيق.وإن ادعيت أن ذلك ممنوع من جهة الشرع. فنقول لك : إما أن يكون ممنوعا من جهة الشرائع كلها، أو من بعضها. فإن قلت: إنه ممنوع من جهة الشرائع كلها، كان ذلك باطلا. إذ الشرائع فى ذلك مختلفة. فإن المعلوم من شرع التوراة فى ذلك خلاف شرعكم. وكفى دليلا على أن التوراة تخالفكم فى ذلك أول الكلام الذى حكيته عن المسيح أنه قال : «أما علمتم أنه قيل للقدماء من طلق امرأته ؛ فليكتب لها كتاب طلاق. وأنا أقول: من طلق امرأته. فقد جعل لها سبيلا إلى الزنا» فهذا تصريح بيّن ما أنكرته علينا، وتنقصت به شرعنا. وكما جاز أن يخالف عيسى عليه السلام بعض أحكام التوراة، ولا يدل ذلك على كذبه، ولا على فساد شرعه كذلك يجوز أن يخالف شرعنا شرع عيسى وموسى فى بعض الأحكام، ولا يدل ذلك على فساده.إذ كل واحد منهم إنما يبلغ حكم الله،وليس مخترعا حكما من قبله، ثم قد تختلف الأحكام والأوضاع بحسب ما يريده الله تعالى، وبحسب ما يعلمه من اختلاف الأحوال، والمصالح.

والأصل فى ذلك : أن الله تعالى لا حجر عليه فى أفعاله. ولا راد لشىء من أحكامه، فيحل لعباده ما شاء، ويحرم عليهم ما شاء ﴿ لا يسأل عما يفعل،وهم يسألون ﴾[١٣] وهذا بين بنفسه، لا يجهله إلا من كان عديم حسه.[١٤]

ثم قلت «وأنتم تقولون لا يحل لزوجها مراجعتها إلا أن تزنى . بدل أن تنهوا عن الزنا تأمروا بالزنا» اسكت. فضّ الله فاك. فما أكذبك وما أجفاك. تتقول علينا بما لا نقول. وتتصرف فى شرائع الأنبياء تصرف متواقح جهول، كما فعل أشياعكم من قبل.

اسمع يا لكع، على أنك لا تحسن أن تستمع. اعلم : أن هذا الذى ظننته بجهلك زنا ليس بزنا. لأن الزنا حقيقته : إيلاج فرج فى فرج محرم شرعا، مشتهى طبعا. وهذه الحقيقة معدومة فى الذى توهمتَ أنه زنا. فإن قلت : إن كانت هذه الحقيقة معدومة عندكم، فليست معدومة عندنا. فإن هذا الإيلاج محرم عندنا. فهو زنا. قلنا لك : إن كان

قد ثبت تحريم ذلك عندكم، فقد ثبت تحليله عندنا. فإن الله تعالى يحل لعبيده ما يشاء ويحرم عليهم ما يشاء.

وهذا كما أحل الله لموسى من الطلاق ما حرمه على عيسى[١٥]. ثم كيف يمكن لعاقل أن ينكر مثل ذلك. وقد ثبت أنه أحلت فى بعض الشرائع فروج، وحرمت فى شرع آخر. فقد ثبت : أن البطن الأول من أولاد آدم أحلت لهم نكاح الأخوات، ثم حرمت على من بعدهم من الشرائع. وقد جاء فى التوراة أن يعقوب نكح أختين : «راحيل»، و«ليِّئة» وجمع بينهما، وحرمهما على غيره. والجمع بينهما فى النكاح محرم عندكم. وقد فعل الله ذلك فى أحكام أخرى على ما يعرف من أحوال الشرائع واختلافها فى بعض الأحكام . وإنما يتحقق هذا المعنى على اليقين من يعلم أن حقيقة الحكم الشرعى هى : خطاب الشرع المتعلق بأفعال المكلفين على جهة الاقتضاء أو التخيير. فعلى هذا لا معنى للحكم إلا قول الشارع: افعلوا. أو : لا تفعلوا. أو : إن شئتم فافعلوا. وإن شئتم فاتركوا. على ما يُعرف فى موضعه.

ثم هذا الذى عبته علينا - أيها الجهول - له معنى صحيح فى العقول، جار على منهاج المصالح والمعقول. وذلك أن الله تعالى إنما شرع الطلاق ليتخلص الرجل من نكد المرأة وأسرها، رفقا بنا، ورحمة منه علينا. فقد تكون غلا قملا، تضر بالرجل ضررا حقيقيا، لا يمكن أن يطلع عليه أحد، فلا تجبر على إزالته، لكونه لا يتحقق من جهتها،فجعل للرجل أنه متى شاء أن يتخلص منها، ومن ضررها . فعل.

وأيضا. فلكون النساء فى الغالب ناقصات عقل. فلو علمت أن الرجل لم يجعل له سبيل إلى مفارقتها، لما كانت تحترمه، وبادرت إلى ضرره. فأراد الشارع أن يجعل للرجل سببا يحترم لأجله وهو الطلاق. فإن المرأة إذا علمت أنها إن بالغت فى ضرر زوجها ؛ طلقها ؛ امتنعت من ضرره فى الأكثر.

فإن عورضنا. وقيل لنا : فيلزم على ذلك : أن تطلق المرأة نفسها متى شاءت، فإن الرجل قد يضر بها ضررا لا يطلع عليه أحد. فإن راعيتم وجود الضرر، وتوقعه فى حق

الزوج ؛ فلم لم ترعوه فى حق الزوجة كذلك ؟ فنقول : إنما لم نرعه فى حق المرأة ؛ لأنا لو جعلنا للمرأة أن تطلق نفسها متى شاءت، لما استقرت امرأة عند زوجها فى غالب الأمر. لأنهن ناقصات عقل، فلا يؤمن عليهن غلبة شهواتهن على عقولهن(١٦). وإن فتح هذا الباب طرأ منه من الضرر مالا ينسد، ولا يتدارك. فسدّ هذا الباب فى حق النساء لهذه الحكمة، وفتحه فى حق الرجال ليزول عن أعناقهم غلّ الضر والنقمة. والله أعلم.

وأما ما عابه أيضا : من أن المطلقة ثلاثا لا تحل إلا بعد زوج. فذاك أيضا له معنى معقول مناسب. وذلك أن الطلاق - وإن كان الله قد أباحه لنا - فهو من قبيل المكروه من غير سبب، من حيث التقاطع والتدابر المنهى عنهما. ولأجل هذا قال نبينا عليه السلام: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» فأطلق عليه لفظ «البغض» مشعرا بالكراهة، وأطلق لفظ «الحلال» مشعرا بجوازه. فحصل لنا من مفهومه : أنه يجوز على كراهة.

فإذا تقرر أنه مكروه من الوجه الذى ذكرناه، فينبغى ألا يفعل. ثم إن فعل - ولابد منه - فلا يكثر منه. ثم إن كثر منه فلا يزاد على المرتين. فإن تعداهما، عُوقب بأنه لا تحل له إلا بعد زوج. فكانت الحكمة فى ذلك : أن الزوج إذا علم أنه إذا أكثر من هذا المكروه الذى هو الطلاق عوقب بتفويت زوجته عليه، وتملكها غيره، امتنع من تكثير المكروه الذى هو الطلاق، ثم لا يظن الجاهل بنا : أننا نجبر الزوج الثانى على طلاقها، حتى يرجع إليها الأول، حاشى لله. وإنما الزوج الثانى يملك منها ما يملكه الأول، فإن شاء طلقها، وإن شاء أمسكها.

ثم إن طلقها اعتدّت منه، وجاز للأول أن يتزوجها تزويجا مستأنفا إن شاء، ولا يجوز عندنا أن يتزوجها الثانى ليحلّلها للزوج الأول. فإن فعل، كان نكاحه فاسدا، وهو الذى نُسميه المحلل، وهو الذى قال فيه النبى ﷺ : «لعن الله المحلل، والمحلل له» فإن سماه مسمٍ «تَيْسا» فعلى جهة الذم، لفعله.

فإذا تقرر هذا المعنى، الذى لا يمنعه العقل، ولا تنافيه مكارم الأخلاق، بل هو على منهاجها وعلى سنتها. فكيف ينبغى لعاقل منصف غير متواقح، ولا متعسف أن يتقوّل

علينا : أنا نقول : لا يحل لزوجها مراجعتها إلا أن تزنى ؟ ولو كنت يا هذا من أهل العقل الذين تبرأوا عن السفه والجهل، لما كنت تشبِّه نكاحا على وفق شريعة صحيحة، بحسب دلالة أدلتها القاطعة - مع أن هذا النكاح، وقع بولىّ ومهر وشهود وإعلان - بنكاح الزنا الذى ليس فيه ولىّ، ولا مهر، ولا شهود، ولا إعلان، وإنما يقع الزنا مخالفا للشرائع، عريًا عن الشهود والولى، مستورا. فهذا تشبيه. يدل على عناد وتمويه.

ثم قلت «بدل أن تنهوا عن الزنا ؛ تأمروا به، وهو عندكم فريضة التياس» هذا التشنيع باطل، وقول غبى جاهل، وتهويل ليس وراءه حاصل. وقول الزور والأباطل، قصد به قائله، استزلال العوام. وليكره لهم دين الإسلام ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾(١٧)ولقد صدق الله عبده، وأنجز وعده ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾.(١٨)

اعلم يا هذا المفترى الكذاب، والمشنع المرتاب : أن العقلاء لا يرضون بما فعلت، ولا يأتون بمثل ما به أتيت، وذلك أنك جهلت شرعنا، وكذبت عليه، وعميت عليك مقاصده فنسبت الزور والفحش إليه. وإنما كان ينبغى لك - لو كنت على سنن العقلاء، أهل السياسة الفضلاء - أن تبحث عن أدلة صحة هذه الشريعة، وعن صدق الذى جاء بها. فإن كانت أدلتها صحيحة وجب عليك أن تقبلها جملة ولا ترد منها شيئاً، وتكون واحدا، ممن التزمها، وإن لم تظهر لك صحة أدلتها فناظر أهلها فى تلك الأدلة، ولا تتعداها إلى غيرها وباحثهم فيها مشافهة. فإن المخبر ليس كالمعاين، فلو لم يقدروا على أن يحتجوا لدينهم ولا أن يقيموا دليلا على صحة شرعهم ؛ وجب عليك رد تلك الشريعة من أولها. وهذا دأب الموفقين، لا الكذابين المشنعين.

ثم قلت : «وأنا أريد قطع ذنب التّيس، أن نجعله فى ذقنه ليلوح استه، لمعرة صرصر الشمال، وحمارة قيظ هجير الجنوب».

يا هذا التيس. وأى ذَنَب ساتر للتيس ؟ أتظن أنك تتفصّح وتستعير، وأنت لا فى العير، ولا فى النفير ؟ وكيف تظن السلامة من الحمق والبؤس، بمن يجهل كيفية أذناب التيوس؟

أم كيف يبالى بتفصحه وجعاجعه ؟ وهل هو فى ذلك إلا بمنزلة من جهل عدد أصابعه ؟ ولولا أن شرعنا منع من السباب، ولا يليق ذلك بأولى المروءات والآداب، لأقذعتك سبا. ولأوجعتك عتبا. ومع هذا :

نجا بك لومك منجى الذباب حمته مقاديره ان يُنالا

لا اسبينكمُ. فلستم بسبى إن سبى من الرجال: الكريم

ثم قلت : «وهذا جواب كلامك، انتصافا منك، كما يقول قرآنك. ومن انتصف من بعد ظلمه، فلا جناح عليه»

يا هذا شأنك يحار فيه النحرير، وجهلك يتعجب منه الصغير، والكبير. كيف لا. وكلامك هذا يشهد عليك بجهلك بإنجيلك، وبمخالفتك حكمه، وشرع رسولك. كيف يحل لك فى شرعك، أن تنتصف ممن ظلمك، وتشتم من شتمك. وإنجيلك يقول لك : «لا تكافئوا أحدا بسيئة، ولكن من لطم خدك اليمنى، فانصب له اليسرى. ومن أراد مغالبتك، وانتزاعك قميصك ؛ فزده أيضا رداءك»؟[١٩] فهذا إنجيلك يشهد عليك بأنك لست على شرعه، بل رددت حكمه. وعملت على رفضه.

وإذا كان شأنك هذا مع كتابك. فكيف يرتجى فلاحك، من ليس من أحبابك؟ ثم العجب العجاب أنك تركت كتابك، والعمل به، ثم أخذت تعمل بكتاب لا تصدق بأصله. فهذا يعلم من حالك أنك لست تريد أن تتبع الحق، ولا أن تبحث عنه. ولكنك اتبعت هواك فأضلك. وأطعت الشيطان فأزلك. ثم أدل دليل على جهلك ومغالطتك : أنك أوهمت أنك تعرف القرآن، وأنك تحتج علينا به. ثم ذكرت ما ليس بقرآن حيث قلت: «ومن انتصف من بعد ظلمه فلا جناح عليه» وهذا ليس بقرآن. وإن كان يشهد بمعناه القرآن. وليس القرآن عندنا بمجرد معناه فقط. بل بلفظه المخصوص، ومعناه وأسلوبه الذى أعجز الأولين والآخرين، فعلى هذا المعنى إن يترجم بلسان آخر، أو يُعبّر عن معناه بغير لفظه وأسلوبه ؛ خرج عن كونه قرآنا. فافهم، وما أدراك تحسن.

ثم قلت «فانصر أنت محالك، لأنك قلت بالسفه والطعن فى ديننا، وقلت الكذب على مسيحنا».

انظر هذا الكلام الفصيح. الذى الجهالة على قائله تلوح. فلقد عدم هذا الكلام : الانتظام والارتباط ؛ فوجب له لأجل ذلك الإلغاء والإسقاط. وأما ما ذكرت من تسفيه دينك، والطعن عليه. فذلك واجب على العقلاء. إذ قد تبين بدليل العقل الذى لا يشك فيه : أنكم قد تمذهبتم بكل مقالة شنعاء. وقد بينا ذلك فيما تقدم. ثم إن الطعن على دينكم ليس طعنا على دين المسيح. فإنكم لم تتدينوا بدينه، ولا عرفتم حقيقة يقينه. بل تخرصتم عليه بالأباطيل، وقبلتم عليه قول كل متواقح جاهل. فما لكم وللانتساب للمسيح، وهو مبرأ عن كل قبيح، بل هو ساخط عليكم، وبراء إلى الله منكم. وقد بينا ذلك فيما تقدم، وسيأتى إن شاء الله تعالى بمزيد يبطل قولكم فيه ويهدم.

وأما ما نسبت إلينا من الكذب على المسيح، والسب له. فذلك والله شيء لا نفعله، ولا يرضى بذلك متدين ولا عاقل. وكيف يجوز هذا علينا ونحن نُكفر من سبّه، أو سب أمه عليهما الصلاة والسلام وهذا عندنا أصل من أصول عقائدنا؟ وذلك أن الله تعالى أخذ علينا من الميثاق : أن نؤمن بجميع الأنبياء والرسل، ولا نفرق بين أحد منهم، وهو عندنا من أكرم الرسل. فكيف نسبه أو نكذب عليه ؟ وفى فعل ذلك خروج عن دين الإسلام، وتمسك بفعل الجهّال الطغام. بل أنتم الذين كذبتم عليه، ونسبتم ما تحيله العقول إليه. وهو يتبرأ من ذلك. ويتنصل مما افتريتم عليه هنالك. ثم أضفتم مع ذلك من العيب والتنقيص على الله تعالى ما يُعلم على الضرورة والقطع أنه محال. فنحن وإياك على المثل السائر :«رمتنى بدائها، وانسلت».

ثم قلت: «واعلم أنك إن أرسلت بعد هذا بالشتم. فإنى أبعث إلى كل بلد كتابا بنص شريعتكم، وبكل ما نعرف من الأقاويل التى لا تقدرون على إنكارها».

لولا أن السب منهى عنه على الإطلاق، وليس من مكارم الأخلاق، لأكثرتُ من سبك، ولأوغلت فى لومك وعتبك، ولو كان ذلك لما كذبت، ولا افتريت. وإنما كنت أفعل ذلك لأظهر بذلك باطل تمويهك، ومغالطة تهويلك. ومن أين لك أن تعرف ديننا ؟ وأى طريق يوصلك إليه ؟ وبأى لسان تتمكن منه ؟ وبأى فهم تتوصل إلى معناه ؟

ها أنت لا تعرف دينك، الذى نشأت عليه. فكيف بك أن تعرف ما لم تفهم منه حرفا، ولا سمعته على وجهه. اللهم إلا أن تقوّلت بما ليس لك به علم، كما قد فعلت فى فريضة «التياس» فلا يعدم أحمق ممخرق ؛ أن يقول ما تقول.

وأما إن ذكر شريعتنا من يعرفها، فالعقول السليمة تقبلها بنفس ما تسمعها، لشدة ارتباطها وحسن نظامها، وليست كشريعة من يعتقد إلها آخر مع الله، ويعتقد فى الله ما يستحيل عليه وينسب إلى الأنبياء ما يتبرأون منه، ويحكمون بأهواء جهالهم فى دين الله.

وسنعقد إثر هذا إن شاء الله بابا نبين فيه : جملا من أحكامهم، وفيها يتبين أنكم لا تستندون فيها إلى مستند، وأنكم اخترعتم فيها من الجهالات ما لم يقل به أحد.

ثم قلت «لأنك قلت فى المسيح غث وأوضار، وأنك سبّيت الحاكم عليك، وعلى جميع الأمم يوم القيامة، لكن سوف تلقاه حاكما، ليس يطلب عليك بينة»

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته : من الفهم السقيم

لتعلم يا هذا أنى وقفتُ على الكتاب، الذى جاوبك به بعض أصحابنا، وتأملتُ هذا الموضع الذى لم تفهمه، فعلمتُ أن الخطأ من قِبل فهمك،لا من قبل الكاتب. وذلك أن لفظ ما كُتب به إليك فى هذا الموضع «شجرتنا نبوية، فروعها قرشية، ثمرتها هاشمية، شجرتك غثاء، وأوضار ﴿ اجتثت من فوق الأرض، ما لها من قرار ﴾(٢٠)... هذا نصه.

كان ينبغى لك أن تفهمه لو كنتَ منصفا. فإن هذا الكلام إنما جرى مجرى المثل. وإنما أراد بشجرتنا نبوية : أن أصل اعتقادنا : أن محمدا نبى ورسول، ليس بإله، وأصل اعتقادكم أنتم : أن عيسى إله، وليس بنبى. وهذا قول باطل، واعتقاد فاسد. ولذلك عبر عن أصل هذا الاعتقاد بالشجرة. ثم قال : إنها غثاء وأوضار. فالمسبوب المذموم، إنما هو اعتقادكم فى عيسى، لا عيسى. حاشا وكلا. فهكذا ينبغى أن تفهم الكلام، ولا تبادر لأجل الجهل بالملام. فالملوم على كل حال هو الجاهل. الذى ليس بفهيم، ولا عاقل. وحين وقفتُ على كلامك هذا. هممت ألا أكاتبك، لكونك قليل الإنصاف كثير الجهل والانحراف.

ولقد أعرف أنك إذا وقفت على كتابى هذا : لا تفهمه. ومع ذلك تبادر إلى رده، مكابرة ومجاهرة. وتتناوله بالرد والقبيح، وبكل قول ليس بصحيح. وقد حكّمت بينى وبينك

العقلاء المتدينين الفضلاء، الذين يعترفون بالحق حيث كان، ولا يعرّجون فى قبوله على إنسان.

وأما قولك «الحاكم عليك، وعلى جميع الأمم» فقول ليس بصحيح، ولا أمم. وإنما الحاكم على كل الأمم، وكل المخلوقات هو الذى أوجدها بعد أن لم تكن، ثم يعدمها، كأن لم تكن ثم يعيدها. كأنها ما برحت ﴿ قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يُهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما﴾[٢١].... الآية.

وأما قولك:«ستلقاه حاكما، ليس يطلب عليك بينة» فقد نسبتموه إلى الجور. فإنه إذا لم تقم بينة على المحكوم عليه عندنا وعندكم،ونفذ الحاكم الحكم؛ نسب إلى الجَوْر.فإذا قامت البينة زال عنه توهم الجور.وظهر معيار العدل. وعند سماع هذا يتحقق معنى المثل المعروف «عدو عاقل خير من صديق جاهل» فإن العدو العاقل يزعه عنك عقله، والصديق الجاهل يريد نفعك فيضرك. وأنت بجهلك أردت أن تعظّم المسيح ؛ فنقصته، وأن تمدحه فذممته، فِعل السفيه الأحمق الجاهل.

وأنا أقول : ستلقونه بين يدى الله تعالى. فإن اعترفتم بقولكم فيه ؛ جُوزيتم على ذلك بجزاء سترونه عيانا. وإن أنكرتم قولكم فيه. يقول الله لجوارحكم : انطقى. فتشهد عليكم بأقوالكم وأفعالكم.فهكذا يظهر العدل، ويعلم كل مكلف أنه محاسب بما عمل من خير أو شر ومجزى عليه.ومما يدل على أن الله تعالى إنما يأخذ بالبينات يوم القيامة : أنه قد ثبت على لسان من دلت المعجزة على صدقه : أن الله وكّل بنا كراما كاتبين، يكتبون ما نفعل، فهم الشهود العدول، الذين ليس لطاعن عليهم ما يقول. وستقدم ؛ فتعلم.ثم العجب من جرأتك أنك سببت خليل ربك، حيث قلت: «رشح الجلد المدبوغ فى قصرية هاجر»[٢٢] هذا لإبراهيم ذم صريح، صدر من جاهل وقبيح. وهنا يدينك قولك : كيف قلت ما لا تعلم ؟ وكيف تجرمت فى خليل الرحمن أن تتكلم ؟ وستلقاه.

●●●

سبّ إسحق، وأمه سارة. فأنت فى هذه الفعلة بمنزلة من سبه رجل فى وجهه، فأخذ المسبوب ينكل بالساب بأن يسب أبا نفسه، أعنى نفس المسبوب. وهذا ما لا يرضى به عاقل، ولا متدين جاهل.

ثم قلت بعد ذلك عهدا لغدرك القبيح مـ قلت هنالك : «ولم تقل فيها عُشر ما قال الله فى التوراة، وعن ابنها» وهذا القول منك يوهم أن الله تعالى ذمها وابنها فى التوراة، وهذا على الله، وعلى كتابه : كذب صراح وكفر بواح(٢٢)، ثم ذكرت بعض قصة هاجر مع إبراهيم، ولم تسقها بكمالها لئلا تفتضح ويظهر كذبك وخزيك.

وها أنا أذكر قصة هاجر مع سارة كما حكاها كتاب التوراة حتى يتبين للواقف على هذا الكتاب : أن الله تعالى أثنى على هاجر وابنها ومدحها وما ذمها، بل أخبر بنبوتها أو صديقيتها، ونبوة ابنها إسماعيل بحول الله.

قال فى التوراة(٢٣) : «إن سارة امرأة إبراهيم لم تكن تلد له. وكانت له أَمَة مصرية يقال : اسمها هاجر. فقالت سارة لإبراهيم : إن الرب قد حرمنى الولد، فادخل على أمتى، وابن بها، لعلىّ أرزق بولد منها، فسمع إبراهيم قول سارة وأطاعها ؛ فانطلقت سارة امرأة إبراهيم بهاجر أمتها المصرية. وذلك بعدما سكن إبراهيم أرض كنعان عشر سنين، فأدخلتها على إبراهيم زوجها. فدخل إبراهيم على هاجر ؛ فحبلتْ، فلما رأت أنها قد حبلت، استسفهت وزرت بسيدتها، وهانت فى عينيها. فقالت سارة : يا إبراهيم : أنت صاحب ظلامتى. أنا وضعت أمتى فى حضنك، فلما حملت هنت عليها، يحكم الرب بينى وبينك. فقال إبراهيم لسارة امرأته : هذه أمتك فى يديك فاصنعى فيها ما أحببتِ، وحسن فى عينيك، وسرك، ووافقك.

فأهانتها سارة سيدتها، فهربت منها، فلقيها ملاك الرب على عين ماء، فى البرية، فى طريق جرار، فقال لها : يا هاجر أمة سارة : من أين أقبلت ؟ وأين تريدين ؟ فقالت : أنا هاربة من سارة سيدتى. فقال لها ملاك الرب : انطلقى إلى سيدتك، وتعّبدى لها. ثم قال لها ملاك الرب عن قول الرب : أنا مكثر زرعك ومنميه حتى لا يحصوا من كثرتهم. ثم

قال ملاك الرب : إنك حبلى، وستلدين ابنا، وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد عرف ذلتك وخضوعك ويكون ابن ابنك هذا وحشيّا من الناس. يده على كلٍّ. ويد كل به. وسيحل على جميع حدود إخوته. فدعت اسم الرب الذى كلمها. فقالت : أنت الله ذو الوحى والرؤيا» أ. هـ

هذا ذكر الله لهاجر وابنها فى السِّفر الأول فى التوراة فى الأصحاح السادس عشر(٢٤) منها. وذكرها أيضا فى الأصحاح الحادى والعشرين.(٢٥)

وقالت التوراة : «أبصرت سارة ابن هاجر المصرية المولود لإبراهيم يستهزئ. فقالت لإبراهيم : أخرج هذه الأمة وابنها. لأن هذا ابن الأمة لا يرث مع ابنى إسحق، فشق هذا الأمر على إبراهيم لمكان ابنه. فقال الله لإبراهيم : لا تشقن لحال الصبى وأمتك. أطع سارة فى جميع ما تقول لك. لأن نسلك إنما يذكر بإسحق. وابن الأمة أجعله أبا لشعب كثير. لأنه ذريتك. فغدا إبراهيم باكرا. فأخذ خبزا وإداوة فأعطاهما هاجر وحمّلها الصبى والطعام. وأرسلها. فانطلقت وتاهت فى برية بير شبع، ونفد الماء من الإداوة، فألقت الصبى تحت شجرة من شجر الشِّيح، وانطلقت فجلست قبالته، تباعدت عنه كرمية سهم. لأنها قالت : لا أعاين موت الصبى، فجلست إزاءه، ورفعت صوتها وبكت. فسمع الرب صوت الصبى. فدعا ملاك الرب من السماء هاجر، وقال لها : مالك يا هاجر. لا تخافى ؛ لأن الرب قد سمع صوت الصبى حيث هو. قومى، فاحملى الصبى وشدى به يديك. لأنى أجعله رئيسا لشعب عظيم. فأجلى الله عن بصرها، فرأت بير ماء. فانطلقت فملأت الإداوة، وأسقت الغلام. فكان الله مع الغلام، فشبّ الغلام، وسكن برية فاران» أ. هـ

فأخبرنا يا أيها الكاذب على كتاب الله، المفترى على رسل الله : من أين استجزت سب الأنبياء، والكذب على الله ذى الآلاء ؟

أفى إنجيلك قرأته ؟ أم عن الحواريين بلغته ؟ حاشا. وكلا. بل بتواقحك اختلقته. ثم من أعظم مباهتتك، وأفحش جرأتك، ومغالطتك أنك أوهمت بقولك، ولم تقل فيها، تعنى

فى هاجر عُشر ما قال الله فيها فى التوراة، وفى ابنها. تشعر بأن الله ذمها وابنها فى التوراة، فى عدة مواضع.

وهذه التوراة قد تلوتها عليك، وأنهيتها إليك. فإذا بالتوراة تخبر بأن هاجر نبى(٢٦) وصديقة مباركة، أوحى الله إليها، وكلمها وبشرها بنبوة ولدها إسماعيل. بل قد مدح الله إسماعيل وأخبر عنه بما لم يخبر به عن إسحق حيث قال فيه : «يده على كل. ويد كل به، وسيحل على جميع حدود إخوته»

وهذا الكلام يبشر، بل يفصح ويخبر بنبوة نبينا محمد ﷺ. فإن إسماعيل لم يقل الله تعالى فيه «يده على كل يد، ويد كل به، وسيحل على جميع حدود إخوته» إلا لأجل حفيده محمد ﷺ. فإن الله تعالى قد بعثه بدعوة جميع الخلق إلى الله : بنى إسرائيل، ومن دونهم، ومن فوقهم. فكل من بلغته دعوته ؛ وجب عليه الدخول فى دينه.

ثم إن الله تعالى قد أظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون. وهذا كله وفاء بوعد الله تعالى لنبيه إبراهيم، حيث قال فى التوراة : «وقد استجبتُ لك فى إسماعيل، وباركته. وكثرته، وأنميته جدا جدا، يولد له اثنى عشر عظيما، وأجعله رئيسا عظيما، بشعب عظيم»

فانظر أيها العاقل كيف قال الله فى إسماعيل: «يده على كل. ويد كل به. وسيحل على جميع حدود إخوته» ولم يقل مثل هذا فى إسحق. وإنما قال فيه: «يكون رئيسا على شعوب كثيرة، وملوك الشعوب من نسله» وبين الكلامين فرق ظاهر عند العاقل، الفهم المنصف. وكذلك قال فى إسماعيل: «باركته، وكثرته، وأنميه، جدا جدا(٢٧)» ولم يقل مثل هذا القول فى إسحق. وإن كان قد قال فيه: «أباركه، وأثبت عهدى له» وهذا الذى وعد الله به إسحق، وعد به إسماعيل، وزاد زيادة عظيمة، يعرفها من مساق كلام التوراة: من كان عارفا بمجارى كلام الله تعالى فيها. وكان مع ذلك عاقلا منصفا.

وسننبه على سرّ، تحت قوله «جدا جدا» فى القسم الثانى من هذا الباب.

فأما هاجر، فقد جاء فى التوراة فى حقها، ما لم يجىء فى حق سارة. وذلك أن ملاك الرب كلمها عن الله، وأبلغها أمره : مرتين. أو أكثر، فإذاً هى نبية، أو صديقة. وفى أى

موضع من التوراة جاء أن سارة نبية، وأن الله أرسل إليها ملكا ليبلغها أمره ونهيه، كما فعل بهاجر ؟ ولا شك أن من آتاه الله النبوة هو أفضل ممن لم يؤته إياها. ولا يظن الجاهل أن هذا الكلام غض من منصب سارة رضى الله عنها. بل هى صديقة مباركة. وكل له مقام معلوم. والحق أحق أن يتبع.

ثم الذى يقضى منه العجب : أنكم تعتقدون النبوة لمريم عليها السلام، وليس لنبوتها فى التوراة، ولا فى الإنجيل ذكر، يدل على نبوتها، ولا فى كتب الأنبياء المتقدمين على زمان المسيح. ثم تنكرون نبوة هاجر وتذمونها، مع أنه قد جاءت نبوتها ومدحها فى التوراة صريحا. وهذا كله مما يدل على جهلكم، وقلة توفيقكم، وأنكم تتحكمون فى الشرائع الإلهية بأوهامكم.

وأما قولك : «واعلم كيف قطع الله ورث إسماعيل وأمه فى قوله : «لا يرثك هذا» اسكت يا جهول. فلست تعرف ما تقول. فما كان أجمل بك أن لو سترت عارك، ولم تبد عوارك. كيف تتحكم بما لا تعرف، ولا تفهم ؟ ها أنت قد حرفت لفظ التوراة وغيرته، وليس كما ذكرته.

كذبتك من أم الحويرث قبلها ...

وإنما لفظ التوراة : أن سارة قالت لإبراهيم : «أخرج هذه الأمة وابنها، لأن هذا ابن الأمة، لا يرث مع ابنى إسحق، فشق هذا الأمر على إبراهيم لمكان ابنه» فأين هذا من النص الذى ذكرت ؟ ويظهر لى أنك له اختلقت.

وهذا الذى ذكره الله فى التوراة بزعمكم إنما هو حكاية عن قول سارة، وليس حكاية عن الله. ولو سلمنا أنه حكاية عن الله، لما كان فيه دليل على ما زعمت، وهو : أن الله تعالى لم يجعل النبوة فى نسل إسماعيل، وأن الله قطعها عنه. بل مفهومه وظاهره : أن الذى منعه الله لإسماعيل إنما هو ميراث فى إبراهيم، وهو حظّه فى ماله(٢٨)، وأعطاه إسحق. وهذا السر عجيب، يعز من يتنبه لأمثاله، ولو كنتَ له محلا، وأهلا ؛ لذكرناه لك، فلسنا ممن يعلق الدرّ فى أعناق الخنازير(٢٩). وكذلك فى كون إسماعيل مخلوقا من

نطفة إبراهيم فى رحم هاجر مع كونها أمة. وقد كان الله تعالى قادرا على أن يخلقه فى رحم حرة.

وكذلك لأى معنى أخرجت هاجر على تلك الحال حتى استقرت هاجر مع إسماعيل بمكة ؟ وهذه كلها أسرار معلومة عند من نور الله بصيرته، وحسّن سريرته، وأصلح عقيدته ونيته. فإن كنت تريد أن تظفر بأمثال هذه الأسرار، فعجل إلى الله الفرار، ولا تلهينك الدعة والقرار، وإلا فأنت أسوأ حالا من الثور والحمار. ومع ذلك فأجل الله آت. وكل ما هو آت قريب ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾.(٣٠)

وأما قولك حاكيا عن الله : أنه قال لإبراهيم «بإسحق يتسمّى نسلك» ولم يقل بإسماعيل يتسمى، فلم يقل فى التوراة «يتسمى» وإنما قال «يُذكر».(٣١) ثم قطعت الكلام عنا، وسكت عما بعده. ولو ذكرته لتبين أنك مبطل فى كلامك. وذلك أنه ذكر بعد هذا الكلام : «وابن الأمة فإنى أجعله أبا لشعب كثير ؛ لأنه ذريتك» وقد تقدم ما قال الله فيه، وأنه مفضل على إسحق، وإن كانت أمه أمة. وإنما قال الله لإبراهيم : «لأن نسلك إنما يذكر بإسحق» بقرب زمان الأنبياء المنتسبين إليه، ولكثرة عددهم(٣٢). والله أعلم.

ثم لو سلمنا أنه جاء فى التوراة «يتسمى» كما ذكرت. لكان معنى ذلك : أن الله يسمى ذرية إسحق باسم ابنه يعقوب، الذى سماه الله إسرائيل. ثم غلب عرف الاستعمال على ذرية إسحق، فقيل عليهم «بنو إسرائيل» وغاية ما فى هذا : إعلام الله تعالى بأنهم يسمون باسمه، أو باسم ولده. وهذا أمر قريب، وخطب يسير. وإنما كان يكون لك فى هذا متمسك لغرضك الفاسد. لو قال: النبوة فى ولد إسحق، وليست فى ولد إسماعيل. ولم يقل هكذا. وإنما قال: ما قد أسمعتك، والذى به أخبرتك.

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيا ... ولكن لا حياة لمن تنادى

وأما قولك : «فتناسلت منه الأمّة الذى قال فيها قرآنكم :﴿ أشد كفرا ونفاقا ﴾(٣٣)

يا هذا : قد أغيبت فى جهلك، وسخفت فى قولك، حيث تركت ما قالته التوراة فى نسله، وعظيم حرمته وطوله، وذكرت ما يدل على جهلك، وكثرة تواقحك، وقلة فضلك. ولأى شىء

لم تذكر فى نسله. ما قال الله فيه فى كتاب التوراة حيث قال فيه وفى نسله : «باركته، وكثرته، وأنميته، جدا جدا، يولد له اثنى عشر عظيما، وأجعله رئيسا عظيما لشعب عظيم» فأنت يا جاهل قد صغّرت ما عظّم الله، وذممت ما مدح الله، فحاق عليك لذلك غضب الله. فبادر لإنقاذ نفسك قبل حلول رمسك وندمك على ما فرط لك فى أمسك. فها أنا قد نصحتك، ورسولنا يقول لك (كما قد أبلغتك) ثم الذين قال فيهم قرآننا : ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا﴾[٣٤] إنما أراد بهم قوما معينين،وطائفة مخصوصين من أعراب البادية، أهل جفاء وغلظة، ردوا الحق بعد ظهوره، وعاندوه حين وضوحه، كما فعل أشياعكم من قبل.

ثم لا تظن أن قول الله تعالى : ﴿ الأعراب أشد كفرا ونفاقا ﴾ أنه أراد «منكم» لأنكم أشد الناس كفرا وأعظم العقلاء عنادا ـ وقد بينا ذلك فيما تقدم ـ وإنما أراد الله بهذا المعنى ـ وهو أعلم ـ : أن أعراب البادية أشد كفرا ممن كفر من عرب الحاضرة، فلا تدخلون أنتم معهم تحت «أَفْعل» إلا كما يقال : «العسل أحلى من الخَلّ»

ثم إن جاز ذم شعب أو قبيلة ؛ لأن بعضهم كفر أو فسق. فأشد الناس كفرا ونفاقا : بنو إسرائيل، لكونهم عبدوا العجل والأصنام[٣٥] ـ على ما هو المعروف من أحوالهم ـ فالكافرون من أجدادكم على الحقيقة أشد الكافرين كفرا، وأسوأهم طريقة.

وأما قولك : «والسلام على من اتبع الهدى وآمن بشريعة المسيح» حقيقة الإيمان : نحن ـ والحمد لله ـ أهل الهداية والهدى، المؤمنين بشريعة المسيح المصطفى، المحققون أنك لستم على شىء منها، بل على الضلالة والردى.

وقد بينا ذلك فيما تقدم بالبراهين القاطعة.

وبعد هذا. نعقبها بالدلالات الصادعة، بحول الله وقوته. وقد نُجز ما أردنا تتبعه على هذا السائل، الجاهل بدينه الغافل. ولو ذكرنا كل ما فيه من الفساد لخرج الكلام عن الضبط.

وبعد الفراغ منه ؛ نتكلمُ على ما وعدنا به من الكلام فى النبوات. ونذكر ما فيها من المباحثات بعون الله وتوفيقه.[٣٦]

■■■

الهوامش..

(١) آل عمران : ١٤٤.

(٢) إنجيل متى الأصحاح الخامس والأصحاح التاسع عشر.

(٣) يشير إلى قوله :﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ الشورى : ٤١.

(٤) تكوين الأصحاح الحادى والعشرون. والقسيس ذكر النص إلى إسحق، ولم يذكر بقية النص عن إسماعيل وهو :«وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك» [تك ٢١:١٣] إسماعيل وهو :«وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك» [تك ٢١:١٣].

(٥) وقال القسيس: وجعل إسماعيل على عنقها بالليل . وقوله باطل لأن النص: «وبكّر إبراهيم صباحا»[تك ٢١ : ١٤].

(٦) الأشد كفرا ونفاقا هم الأعراب [التوبة ٩٧] والأعراب هم اليهود ؛ وعنهم سورة فى القرآن هى سورة المنافقون. وفى التفسير : أن الأعراب هم سكان البوادى. وهم فى كتب التفسير من أهل الفصاحة والبلاغة. والصحيح أنهم هم اليهود.

(٧) الشعراء : ٢٢٧.

(٨) ليس فى سفر دانيال بل فى الزبور بما معناه

(٩) «وامتلأت الأرض من تسبيحه» فى ترجمة ١٩٧٠ والمسيح المنتظر هو محمد بلسانهم.

(١٠) بدل يا محمد : مسيحك. فى ترجمة ١٩٧٠.

(١١) متى الأصحاح السابع.

(١٢) الأنبياء : ٢٣

(١٣) لم يفطن المؤلف إلى أن كلام المسيح للإرشاد وليس للإلزام بدليل : أنه قال فى نهاية الحديث: «من استطاع أن يقبل فليقبل» [متى : ١٩] وأحكام الطلاق فى التوراة موجودة فى الأصحاح الرابع والعشرين من سفر التثنية . وهى لأى سبب والمسيح ينصح بأن يكون لسبب قوى كالزنا. لا أنه نسخ فالمسيح لم ينشئ ديانة، ولم ينسخ التوراة والذى نسخها هو بولس وشيعته..

(١٤) بحسب المكتوب وإلا فإن دين عيسى هو دين موسى ؛ لأنه ماجاء للنسخ بل للإصلاح.
(١٥) قد جعل الله للنساء الخُلْع. وبعض الفقهاء يرى أن المرأة تطلق الرجل إذا اشترطت العصمة بيدها وقت العقد عليها.
(١٦) الصف : ٨.
(١٧) التوبة : ١١١.
(١٨) الأصحاح الخامس من إنجيل متى.
(١٩) إبراهيم : ٢٦.
(٢٠) المائدة : ١٧.
(٢١) قوله هذا : لم يذكر فى صدر الفصل.
(٢٢) التكوين ١٢ : ٣.
(٢٣) اعلم : أن إسماعيل عليه السلام ابن لسارة بموجب النص الذى ذكره المؤلف من التوراة. وذلك لأن هاجر كانت جارية لسارة. وفى شريعتهم : أن الحرة إذا لم تنجب، تعطى جاريتها لرجلها. لينجب له منها بنين. وسارة أعطت هاجر لإبراهيم لينجب لها منها. فأنجبت هاجر إسماعيل. فصار إسماعيل ابنا لهاجر وابنا لسارة وابنا لإسماعيل فهو وحيد الثلاثة. والنص الذى ذكره المؤلف هو : «إن سارة امرأة إبراهيم لم تكن تلد له. وكانت له أمة مصرية يقال اسمها هاجر. فقالت سارة لإبراهيم : إن الرب قد حرمنى الولد. فادخل على أمتى وابن بها. لعلىّ أرزق بولد منها. فسمع إبراهيم قول سارة وأطاعها. فانطلقت سارة امرأة إبراهيم بهاجر أمتها المصرية. وذلك بعدما سكن إبراهيم أرض كنعان عشر سنين. فأدخلتها على إبراهيم زوجها فدخل إبراهيم على هاجر فحبلت».
(٢٤) أول الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين.
(٢٥) المخطوط : التاسع.
(٢٦) فى المخطوط : الثالث عشر.
(٢٧) لا نبوة فى النساء. والأصح : أنها صديقة.
(٢٨) تكوين ١٧ : ٢٠.
(٢٩) يقول المؤلف : إن الذى منعه إبراهيم عن إسماعيل هو حظه فى مال يرثه من إبراهيم. وهذا خطأ وذلك لأن الله تعالى لما صرح ببركة فى نسل إسماعيل فى قوله : «وأما إسماعيل فقد سمعتُ قولك فيه. ها أنا أباركه» والبركة تدل على مُلك نسله على الأمم لحكمهم بشريعة. أى أنه سيرث أراضى الأمم من محمد، كما يرث نسل إسحق من موسى. وإسحق هو ابنها. ولذلك طلبت عدم إرثه فى الملك والنبوة. لا فى حظه فى ماله. وقد ردّ الله بقوله : «بإسحق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضا سأجعله أمة ؛ لأنه نسلك» فقد جعله وارثا فى الملك النبوة.
(٣٠) يقول عيسى عليه السلام : «لا تطرحوا درركم قدام الخنازير، لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم» [متى ٧ : ٦] .

(٣١) الشعراء : ٢٢٧.

(٣٢) فى ترجمة ١٩٧٠ «بإسحق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك» [تكوين ٢١ : ١٢ ـ ١٣].

(٣٣) عبارة المؤلف موهمة. وذلك أنه يقول: «وإنما قال الله لإبراهيم: «لأن نسلك إنما يذكر بإسحق بقرب زمان الأنبياء المنتسبين إليه، ولكثرة عددهم» أى أن عبارته موهمة أن نسل إسحق هو القائم بالبركة على طول الزمان. وقال قبلا : إن إسماعيل شريك لإسحق فى إرث إبراهيم. وذلك فى رده على القسيس بقوله : «وذلك أنه ذكر بعد هذا الكلام : «وابن الأمة ؛ فإنى أجعله أبا لشعب كثير ؛ لأنه ذريتك» والصحيح : أن بركة إبراهيم مقسومة على إسماعيل وإسحق.

(٣٤) التوبة ٩٧.

(٣٥) التوبة : ٩٧.

(٣٦) فى سفر إشعياء أنهم عبدوا صنم مناة. وأنهم ذبحوا بنيهم وبناتهم للأصنام. وفى المزمور ١٠٦ أنهم أهرقوا ومازكيا. دم بنيهم وبناتهم للأوثان. وهذا قد سجله الله عليهم فى القرآن بقوله: ﴿وإذا الموءودة سئلت...﴾.

(٣٧) ليس للمسيح عيسى عليه السلام شريعة مستقلة عن شريعة موسى . فإنه كان مصدقا لها، ومبشرا بالنبى محمد الذى أخبرت التوراة عن مجيئه [تثنية ١٨ : ١٥ ـ ٢٢] وكان يحل لليهود ما حرمه العلماء عليهم مثل إباحته للأكل بأيد غير مغسولة . وكان يبين لهم بعض الذى يختلفون فيه فى المسائل الفقهية كاختلافهم فى القبلة وفى النبى الآتى من أى نسل سيأتى . والذى جعل للنصارى شريعة مستقلة عن شريعة التوراة هو «بولس» والنصارى يعلمون أنهم طائفة من اليهود وانشقوا عليهم. وهم من مجمع نيقية سنة ٣٢٥ وإلى أن تقوم القيامة لا شريعة لهم . فإنهم نبذوا التوراة، وأوصاهم بولس بأن يعملوا بقوانين البلاد التى يعيشون فيها . ويقولون : إن الإيمان إيمان بالمسيح ربا مصلوبا . والعمل الصالح ليس شرطا فى دخول الجنة . وسبب قولهم هذا هو نبذهم العمل بالتوراة.

فى النُبوات وإثبات نبوة محمد ﷺ

أولا : فى النبوات

المقدمـــة الأولـــى :

غرض هذه المقدمة : أن نبين فيها معنى النبوة والرسالة، والمعجزة وشروطها، ووجه دلالتها. فنقول : لفظ «النبى» و «النبوة» وما تصرف منه، راجع إلى «النبأ» وهو: «الخبر». تقول «نبأت» و «أنبأت» بمعنى «أخبرت» و «خبرت» وهذا مع لفظ «نبىء» بَيِّن.

وكذلك هو مع تسهيله على أصح الأقوال. فإنه قد يكون أصل شىء من الألفاظ : الهمز. ثم يخفف الاسم منه، كما قالوا : «خابية» وهو من «خبأت» هذا أصح ما قيل فى اشتقاق هذا اللفظ. فإذا تقرر هذا، فنبىء. على أصل الوضع وزنه «فعيل» يأتى فى الكلام بمعنيين : أحدهما : فعيل بمعنى فاعل ، كما قيل : رحيم، بمعنى راحم، وسميع بمعنى سامع. والثانى : فعيل بمعنى مفعول، كما قيل رجيم، بمعنى مرجوم، وخصيب بمعنى مخصوب. فعلى هذا يصح فى «نبى» أن يكون بمعنى «مخبِر» وبمعنى «مخبَر».(١)

فعلى أصل الاشتقاق، ووضع العرب : كل من أُخبر بشىء، أو أخبر بشىء فهو «نبى» وعلى المتعارف بين المتشرعين : أنهم إنما يُطلقون اسم النبى على من كان مخبرا عن الله. فإما أن يكلمه الله مشافهة(٢) ، وإما بواسطة ملاك.

هذا هو عرف المتشرعين فى النبوة. وإلى هذا يرجع معناها. فالنبىء عند عقلاء أهل الشرائع : إنما هو «حيوان ناطق مائت، كامل فى نوعه، مخبر عن الله تعالى بحكم. إما مشافهة وإما بواسطة ملك. أو ما تنزل منزلته».

فقولنا «حيوان ناطق» أردنا به: أنه إنسان باق على أصل إنسانيته، لا يمتاز عن غيره من نوع الإنسان بوصف حقيقى. وإن امتاز بأوصاف عَرَضية عن غيره. كالعلوم الخاصة بهم، وصفات الكمال التى خصهم الله بها. فذلك لا يُخرجه عن كونه إنسانا. ولأجل هذا المعنى كانت الرسل تقول لقومها : ﴿ إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ﴾(٣) قال الصادق المصدوق : ﴿ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى ﴾(٤) فجعل الفصل بينه وبين نوعه: ما خص به من الوحى.

وقولنا «مائت» تنبيه على مآله، لئلا يغلو فى بعضهم جاهلون، كما فعلت النصارى. فينسبونهم إلى ما لا يليق بمن يموت.

وقولنا «كامل» أعنى بذلك : أن الأنبياء مجبولون على أتم صفات نوع الإنسان. وذلك معلوم من أوصافهم. وإن كانوا متفاوتين فى ذلك.

وقولنا «مخبر عن الله» هذا القيد، هو خاصّته التى تفصله عن غيره من نوعه. فإن لم يكن كذلك، لم يقل عليه : إنه نبى.

وقولنا «إما مشافهة، وإما بواسطة ملاك» تحرّز ممن يبلغه خبر الله تعالى على ألسنة رسله. فإنه ليس بنبى، ولا يقال عليه بحكم العرف : إنه نبى. ولو جاز ذلك ؛ لجاز أن يقال «نبى» على كل متشرع، سمع من رسوله خبرا عن الله. وهذا لم يقله أحد.

وقلنا «أو ما تنزل منزلته» نريد به : أن الأنبياء قد يتلقون الوحى على وجوه. منها : أن يكلمه الله مشافهة (٥) . ومنها : أن يُرسل إليه مَلَكا، يخبره عن الله. ومنها : أنه يُلقى إليه الوحى فى النوم. ومنها : أن الله تعالى يقذف فى روعه، ويلهمه إلهاما، حتى لا يشك أن الأمر كذلك، ويقطع به.

فإذا تقرر أن حقيقة النبوة ما ذكرناه، وأن فضله الخاص به : هو ما تحصّل له من الإخبار عن الله. فذلك الخبر : إن أُمر النبى بتبليغه لغيره، فذلك النبىء، هو الذى يقال عليه : رسول. والرسالة : هو الكلام المبلغ عن الله . فلأجل هذا يصح أن يقال : كل رسول نبى. وليس كل نبى رسولا. إذ الرسالة نبوة وزيادة. وهذا بيّن بنفسه. فإذا تقرر

ذلك، فهذا البَشرىّ، الذى يدعى : أن الله أرسله إلينا، لا بد أن يكون صادقا. وذلك لا نعرفه بغير دليل، فلا بد من دليل.

والدليل المتحدى به : هو المعجزات. ولا بد من النظر فى حقيقتها، وفى شروطها، وفى وجه دلالتها .

فأما المعجزة : فلفظ مأخوذ من الإعجاز. وذلك أنك تقول : عجز فلان عن كذا. عجزا. إذا لم يقدر عليه، ولم يقم به. وأعجزته إعجازا إذا جعلته يعجز، وتقول : أعجزنى الشىء إذا فاتك ولم تقدر عليه.وكلها راجعة إلى أن العاجز عن الشىء هو الذى لا يتمكن من الشىء، ولا يقدر عليه، ثم فى تسمية هذه الأدلة التى تدل على صدق الأنبياء : معجزات : تجّوز. وذلك أن المعجز على التحقّيق : إنما هو خالق العجز، وهذه الأسباب التى يقع العجز عندها تسمى : معجزة. بالتوسع. وذلك من تسمية الشىء باسم غيره إذا جاوره، أو كان منه بسبب.

هذا شرح لفظ المعجزة.

فأما حقيقتها : فهو أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة.

إنما قلنا «أمر» ولم نقل «فعل» ليشتمل بذلك على الفعل الخارق للعادة، والمنع من الفعل المعتاد. فلو قال «نبى » : آيتى أنه لا يقدر أحد أن يتكلم اليوم، فكان ذلك. لكان ذلك دليلا على صدقه، ويكون ذلك معجزة له، مع أنه ليس إتيانا بفعل عُرفى. وإنما هو منع من فعل معتاد. وإنما قلنا «مقرون بالتحدى» لئلا يتخذ الكاذب معجزة من تقدمه، حجة لنفسه، ولتتميز عن الكرامة، وما فى معناها. وإنما قلنا «مع عدم المعارضة» لتتميز عن السحر والشعبذة.

وإذا حققت النظر فيما ذكرناه فى المعجزة ؛ علمتَ شروطها. لكن ينبغى لك أن تعرف : أن المعجزة لا تكون دليلا إلا فى حق من علم وجود البارى تعالى. وأنه قادر عالم مريد موصوف بصفات الكمال، حتى يتأتّى منه الإرسال، والتصديق والتكليف، وإذا لم يعرف الناظر هذه الأمور بأدلة عقلية، لم يعرف المعجزة، ولم يفده العلم بالتصديق للنبى.

وأما وجه دلالتها : فهو أن المشاهد للمعجزة المتحدى بها إذا علمها، وعلم شروطها ؛ علم على الضرورة : أن الله تعالى قصد بذلك المعجز : تصديق المدعى، ويتبين هذا بمثال. وذلك أنه : لو فرضنا(٦) مَلِكا عظيما، اجتمع له أهل مملكته فى مجلسه، وأهل المملكة مصغون لما يأمرهم به ذلك الملك. فنام رجل من بين يديه، وقال: إنى رسول هذا الملك إليكم. وقد أمرنى أن أبلغكم أمره ونهيه. وأنا صادق فى قولى هذا. ثم يقول : يا أيها الملك : إن كنتُ صادقا فيما أقوله عنك؛ فخالفْ عادتك. وقم عن سريرك قياما، تُخالف به المعتاد من فعلك، فإذا فعل الملك ذلك عند تحدى المدعى ؛ فإن أهل المجلس يضطرون إلى العلم بأن الملك قصد بذلك الفعل تصديقه، ولا يعتريهم فى ذلك ريب، ولا توقف، فتتنزلت إذاً تلك الأفعال بتلك الشروط منزلة قوله : «صدقَت أنا أرسلتُك» وهذا بين بنفسه عند كل موفَّق، معلوم على القطع.

فإذا تقرر ذلك ؛ فمهما ادعى شخص الرسالة، واستدل عليها بمثل ما ذكرناه، كان محقا فى دعواه، صادقا فى قوله، لا يجوز لعاقل أن يتخلف عن متابعته، سواء ادعى عموم رسالته، أو خصوصها، ورسولنا محمد ﷺ قد ادعى عموم رسالته، واستدل على صدقه بالمعجزات على الشروط التى ذكرناها ؛ فهو صادق ولا يجوز لعاقل بلغه أمره ؛ أن يتخلف عن متابعته، وتصديقه. وسنذكر إن شاء الله بعض ما ذكره من معجزاته، فإنه ﷺ قد أُيد بمعجزات كثيرة، حتى إذا جُمعت وتتبعت ؛ عُلم منها : أن الله تعالى، قد جمع له أكثر معجزات الأنبياء قبله،وخصّه بمعجزات لم يشاركه فيها غيره منهم، وستقف إن شاء الله على أكثر ذلك.

فهذه هى المقدمة الأولى.

وأما المقدمة الثانية :

فالغرض منها : أن تتبين فيها : أن عيسى عليه السلام ظهرت المعجزات على يديه، وتحدى بها الخلق ليؤمنوا أنه رسول الله. لا ليؤمنوا بأنه : إله. وأن النصارى غير عالمين بمعجزات عيسى عليه السلام. إذ لم تتوافر عندهم. فنقول . وبالله التوفيق.

إن النصارى غايتهم أن يسندوا معجزات عيسى عليه السلام، لما فى أيديهم من الإنجيل، وهو لم يتواتر نقله، ولا أُمن التحريف، والغلط فيه ـ على ما تقرر قبل ـ وإذا كان هذا، فكل ما فى أيديهم من الإخبار عنه فى الإنجيل ؛ لا تفيدُ العلم القطعى. وغاية ذلك: أن تفيد غلبة الظن. والظن فى الاعتقاد : بمنزلة الشك، بل هو شك. فإذاً هم من معجزات عيسى فى شك، وهم لا يشعرون بذلك الإفك.

ومما يدل على أنهم من كتابهم وشرعهم على غير علم: ما استفاض فى كتب التواريخ(٧) عندنا وعندهم. وذلك أن عيسى عليه السلام لما بعثه الله تعالى، دعا بنى إسرائيل للإيمان، فأجابه من شاء الله منهم، فلما رفعه الله تعالى استحلى الناس كلامه بعد ذلك حتى بلغ عدد بنى إسرائيل : سبع (٨) مائة رجل، فكانوا يجاهدون فى بنى إسرائيل ويدعون إلى الإيمان، فقام، «بُولُش اليهودى» وكان هو الملك فى بنى إسرائيل فحشد عليهم الأجناد، وخرج عليهم، وقاتلهم، فهزمهم وأخرجهم من بلاد الشام، حتى انتهى فلّهم إلى الدروب. فأعجزوه. فقال «بولش» الملك لجنوده : إن كلام هؤلاء لمستحلى. وقد قدموا على عدوكم، وسيرجعونهم فى ملتهم، فيكثرون علينا، فيخرجون إلينا، ويخرجوننا من بلاد الشام. ولكنى أرى لكم رأيا. قالوا : وما هو ؟ قال : تعاهدونى على كل شىء، كان خيرا، أو شرا. ففعلوا. فترك ملكه، ثم لبس لباسهم، وخرج إليهم ليضلّهم، حتى انتهى إلى عسكرهم، فأخذوه. وقالوا : الحمد لله الذى أخزاك، وأمكن منك. فقال لهم : اجمعوا رؤساءكم، فإنه لم يبلغ منى حمقى أن آتيكم إلا ومعى برهان. فأبلغوا رؤساءهم.

فقالوا : مالك ؟ فقال: إنى لقينى المسيح مُنصَرَفى عنكم، فأخذ سمعى وبصرى، وعقلى. فلم أسمع، ولم أبصر، ولم أعقل، ثم كُشف عنى. فأعطيتُ الله عهدا : أن أدخل فى أمركم. فأتيتُ لأقيم فيكم، وأعلمكم التوراة وأحكامها. فصدّقوه. فأمرهم أن يبنوا له بيتا، ويفرشوه رمادا، ليعبد الله فيه ـ بزعمه ـ ويعلمهم التوراة. ففعلوا، وعلمهم ما شاء الله، ثم أغلق الباب دونه. فأطافوا به. وقالوا : نخشى أن يكون رأى شيئا يكرهه. ثم فتحه بعد يوم. فقالوا: أرأيت شيئا تكرهه ؟ قال : لا. ولكنى رأيت رأيا، وأعرضه عليكم.

فإن كان صوابا فخذوه، وأن كان خطأ ؛ فردونى عنه. قالوا : هات. قال : هل رأيتم سارحة تسرح إلا من عند ربها، وتخرج إلا من حيث تؤمر به ؟ قالوا : لا. قال: فإنى رأيت الصبح والليل والشمس والقمر والبروج، إنما تجيء من ههنا. وما أوجب ذلك إلا وهو أحق الوجوه أن يصلًى إليه. قالوا : صدقت. فردهم عن قبلتهم.

ثم أغلق الباب بعد ذلك بيومين، ففزعوا أشد من الأول. وأطافوا به ففتحه. فقالوا : أرأيت شيئا تكرهه ؟ قال : لا. ولكنى رأيت رأيا. قالوا : هات. قال: ألستم تزعمون : أن الرجل إذا أهدى إلى الرجل الهدية، وأكرمه بالكرامة، فردّها؛ شق ذلك عليه ؟ وأن الله تعالى : سخر لكم ما فى الأرض، وجعل ما فى السماء لكم كرامة. فالله أحق ألا ترد عليه كرامته. فما بال بعض الأشياء حلال، وبعضها حرام. ما بين البقّة إلى الفيل : حلال. قالوا : صدقت. ثم أغلق بعد ذلك ثلاثا. ففزعوا أمثل من الثانية، فلما فتح لهم. قال لهم : إنى رأيت رأيا. قالوا : هات. قال : ليخرج كل من فى البيت إلا «يعقوب» و «نسطور» و «ملكون» و«المؤمن». ففعلوا. فقال : هل علمتم أحدا من الإنس خلق من الطين خلقا. فجعله، فصار نفسا ؟ قالوا : لا. قال : فهل علمتم أن أحدا من الإنس أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى ؟ قالوا : لا. قال:هل علمتم أن أحدا من الإنس ينبئ الناس بما يأكلون، وما يدخرون فى بيوتهم؟ قالوا : لا. قال : «فإنى أزعم أن الله تعالى تجلّى لنا، ثم احتجب».(٩)

فقال بعضهم : صدقت، وقال بعضهم : لا. ولكنه ثلاثة : والد، وولد. وروح القدس. وقال بعضهم : الله وولده. وقال بعضهم : هو الله تجسم لنا.(١٠)

فافترقوا على أربع فرق. فأما يعقوب : فأخذ بقول «بولش» : إن الله هو المسيح. وأنه كان ثم تجسّم. وبه أخذت شيعته. وهم اليعقوبية(١١). وأما نسطور(١٢) فقال : المسيح ابن الله على جهة الرحمة، وبه أخذت شيعته، وهم النسطورية، إلا أن شيعته لم تعتقد أنه سمى ابنا على جهة الرحمة، بل على ما تقدم. وأما ملكون : فقال: إن الله ثلاثة. وبه أخذت شيعته وهم : الملكية(١٣) الذين قالوا : إن الله ثلاثة أقانيم. فقام المؤمن(١٤) وقال لهم : عليكم لعنة الله. والله ما حاول هذا إلا إفسادكم، ونحن أصحاب المسيح قبله. وقد رأينا عيسى وسمعنا منه، ونقلنا عنه. والله ما حاول هذا إلا ضلالتكم وفسادكم.

فقال بولش للذين اتبعوه : قوموا بنا نقاتل هذا المؤمن ونقتله هو وأصحابه، وإلا أفسد عليكم دينكم. فخرج المؤمن إلى قومه. وقال : أليس تعلمون أن المسيح عبد الله ورسوله، وكذا قال لكم ؟ قالوا : بلى. قال : فإن هذا الملعون، قد أضل هؤلاء القوم. فركبوا فى إثرهم. فقاتلوهم. فَهُزِم المؤمن وأصحابه. وكان أقلهم تبعا. فخرج مع قومه إلى الشام، فأسرتهم اليهود فأخبروهم الخبر. وقالوا: إنما خرجنا إليكم لنأمن فى بلادكم، ومالنا فى الدنيا من حاجة. إنما نلزم الكهوف والصوامع، ونسيح فى الأرض. فخلّوا عنهم.

ثم إن قوما من أولئك الذين كفروا ؛ فعلوا مثل ما فعل قوم المؤمن، اتخذوا الصوامع، وساحوا، وأظهروا البدعة، فهو قول الله عز وجل : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾(١٥) يعنى التوحيد.(١٦) اختلفوا فيه، إلا فرقة «المؤمن» وفيهم نزلت : ﴿ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾(١٧) بالجهة، وظهور محمد ﷺ.

وكان هرب المؤمنين منهم إلى جزيرة العرب، فأدرك النبى ﷺ منهم : ثلاثون راهبا. فآمنوا به، وصدقوه، وتوفاهم الله على الإسلام.

كان هذا - والله أعلم - بعد المسيح بأربعين سنة، أو نحوها .ثم لم يزل أمر «المؤمن» وأصحابه خفيا، وغيرهم من الفرق مختلفون، ويتهارجون، ولم يستقر لهم قدم إلى مدة «قسطنطين» قيصر الملك ابن «هيلانة» وذلك بعد رفع المسيح بمائتين وثلاثة وثلاثين سنة.(١٨)

وذلك أنه كثر عدوه، وكاد ملكه يذهب باختلاف رعاياه عليه، وضعفهم، وكسلهم عن نصرته. فرام حملهم على شريعة يَنْظِم بها سلكهم، ويؤلف بها متفرقهم، فاستشار من لديه من أهل النظر ؛ فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم ؛ ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه، وأوكد لجدّهم فى نصره، فوجدوا اليهود يزعمون أن فى بعض تواريخهم خبرا عن رجل منهم، هَمَّ أن ينسخ حكم التوراة. وينفرد بالتأويل فيها. فعمدوا إليه وهو

فى نفر ممن اتبعه، وظفروا بواحد منهم، وشهد لديهم رجل واحد : أنه ذلك المطلوب، فصلبوه، وما عندهم تحقيق، لكونه ذلك المطلوب بعينه، إلا فقدهم إياه من حينئذ.

فعند ذلك عمد «قسطنطين» إلى من يُنسب إلى دين المسيح، فوجدهم قد اختلفت آراؤهم ومزجت أديانهم، فاستخرج ما بقى من رسم الشريعة المنسوبة للمسيح، وجمع عليها وزراءه، فأثبت ما شاء منها، وتحكم فيها باختياره[١٩]، حسب ما رآه موافقا له بالصلوبية ؛ لتعبد قومه بطلب دم، والقول بترك الختان، لأنه شأن قومه . ثم أكد ذلك وشده بمنامة اختلقها، وادعى أنه أوحى إليه فيها.

وذلك أول شيء أظهره من هذا الأمر، فجمع أنصاره، ورعاياه من الروم. وذلك على رأس سبع سنين من مدة ملكه. وقال لهم : إنه كان يرى فى منامه كأن آتيا أتاه. فقال له : بهذا «الرشم» تغلب، وعرض عليه هيئة «الصليب» فأعظمت ذلك العامة، وانفعلت لما سمعت منه، ثم بعث إلى امرأة فى ذلك الزمان يقال لها «هيلانة»[٢٠] كاهنة، وكانت ذات جأش وقوة، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى. فقوى تصديق العامة لذلك.

وفى هذا كله، لا يعلمون لذلك الرشم تأويلا. ولا كان «قسطنطين» كشف لهم شيئا من أمره. فخرج بهم إلى عدوه، ووعظ قومه، وهوّل عليهم أمر الرشم. فحصل له كل ما أراده من جد القوم واجتهادهم معه. فلما عادوا إلى أوطانهم بعد الظفر بعدوهم. سألوه عن تأويل ذلك «الرشم» وألحوا عليه فيه. فقال لهم : قد أوحى إلىَّ فى نومى : أنه كأن الله تبارك وتعالى هبط من السماء إلى الأرض فصلبته اليهود. فهالهم ذلك كثيرا، مع ما حصل عندهم من تصديقه، وعظّم عليهم الخطب فيه، فانقادوا إلى «قسطنطين» انقيادا حسنا، وصح له منهم ما أراده، وشرّع لهم هذه الشرائع التى بأيديهم اليوم، أو أكثرها.[٢١]

وقد ظهر لجماعة من أهل العلم بأحوال الأمم وبنوازل الأزمان : أن هذا الشخص الذى تعظمه النصارى ، وتصفه بالإلهية، لم يكن له وجود فى العالم. ولكن «قسطنطين» ابتدع ذلك كله واتفق مع نفر من اليهود من أحبارهم. على أن يبذل لهم من متاع الدنيا ما شاءوا،

ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود، فصلبته. ففعلوا. وكتبوا من أخباره شيئا. فتلقّت ذلك النصارى وقبلوه ودانوا به. ولعله أكثر الإنجيل الذى بأيديهم اليوم.

ولتعلم. أن هذه الأخبار التى ذكرناها. لا يمكنهم إنكار جملتها،وإن أنكروا بعض تفاصيلها لكون هذه القصص معروفة على الجملة عندهم. فإنهم لا يقدرون على جحد محاربة «بولش» اليهودى لهم وإجلائهم من الشام. ودخول «بُولُش» فى دينهم[٢٢]. وكذلك ملك «قسطنطين» مما لا ينكرون. لاشتهاره فى كتبهم. ثم لو قدرنا : أن هذه الوقائع لم تعلم صحتها، ولا كذبها، فشرعهم قابل لأمثالها. فإن معظم معتمدهم فى أمور دياناتهم: إنما هو الإنجيل، ونقله غير متواتر، لاسيما والأحداث عندهم فى أكثر الأحيان بمنامات[٢٣] يدعونها، يجعلونها أصولا. يعوّلون عليها، وبمحافل يجتمعون فيها، فيتحكمون بآرائهم، ولايستندون لشىء من كتبهم،ولا لشىء من كلام أنبيائهم. وإن شئت أن ترى هذا عيانا. فانظر كتب اجتماعاتهم ومحافلهم، فإنهم ينحشدون لمواضع مخصوصة، فى أحيان، ويخترعون فيها أحكاما، وأمورا، لا مستند لهم، ولا أصل. مثل التحريم فى المأكل، والتحكم فى العامة بفارغ الأقاويل. وسنبين ذلك إذا ذكرنا جملا من أحكامهم. وإذا كان هذا مبنى شريعتهم، فكيف يُوثق بشى من تُرهاتهم ؟

فإذا تقرر ذلك ؛ فلتعلم أن اتخاذهم المسيح إلها إنما سببه ما سبق ذكره، ولا يقدرون على أن ينسبوا شيئا من ذلك إلى عيسى عليه السلام. بل قد نقلوا عنه فى إنجيلهم : ما يدل دلاله قاطعة من حيث اللفظ على أنه إنما ادعى النبوة، وعليها استدل بمعجزاته. وفى دعواه النبوة ؛ كذبته اليهود.

●●●

ونحن الآن نسردُ بعض ما وقع فى إنجيلهم من دعواه الرسالة بحول الله سبحانه.

من ذلك :

ما جاء فى الإنجيل عنه أنه قال حين خرج من السامرية، ولحق بجلجال[٢٤]: «إنه لم يكرم أحدا من الأنبياء فى وطنه ».[٢٥]

وفى إنجيل لوقا «أنه لم يقبل أحد من الأنبياء فى وطنه،فكيف تقبلوننى؟»(٢٦) وهذا نص لا يقبل التأويل فى أنه إنما ادعى النبوة المعلومة.

وفى إنجيل ماركش : أن رجلا أقبل إلى المسيح. وقال له : « أيها المعلم الصالح : أى خير أعمل لأنال الحياة الدائمة ؟ فقال له المسيح : لم قلت لى صالحا؟ إنما الصالح : الله وحده. وقد عرفت الشروط. وذلك : ألا تسرق ولا تزنى، ولا تشهد بالزور، ولا تخون. وأكرم أباك وأمك».(٢٧)

وفى إنجيل يوحنا : أن اليهود لما أرادت القبض عليه، وعلم بذلك ؛ رفع بصره إلى السماء وقال : «قد دنا الوقت يا إلهى، فشرّفنى لديك، واجعل لى سبيلا إلى أن أملّك كل من ملكتنى : الحياة الباقية. وإنما الحياة الباقية : أن يؤمنوا بك إلها واحد. وبالمسيح الذى بعثتَ. فقد عظّمتك على أهل الأرض، واحتملتُ ما أمرتنى به ؛ فشرفنى لديك.(٢٨)

وفى إنجيل متى : أنه قال لتلاميذه «لاتنسبوا لكم أبا على الأرض. فإن أباكم الذى فى السماء وحده، ولا تدعوا معلمين، فإن معلمكم : المسيح وحده»(٢٩) فقوله «لا تنسبوا لكم أبا على الأرض» أى : لا تقولوا : إنه على الأرض، ولكنه فى السماء، ثم أنزل نفسه حيث أنزله الله تعالى فقال «ولا تُدعوا معلمين. فإن معلمكم المسيح وحده»(٣٠) فها هو قد سمى نفسه : معلما فى الأرض. وشهد أن إلههم فى السماء واحد، ونهاهم أن ينسبوه للإلهية.

وفى إنجيل لوقا : حين أحيا الميت بباب مدينة «نايين» حين أشفق لأمه، لشدة حزنها عليه. قالوا «إن هذا لنبى عظيم، وإن الله قد تفقّد أمته»(٣١) ولم يقولوا : إن هذا إله عظيم.

وفى إنجيل يوحنا : أن عيسى قال لليهود : «لستُ أقدر أن أفعل من ذاتى شيئا. لكنى أحكم بما أسمع ؛ لأنى لست أنفذ إرادتى، بل إرادة الذى بعثنى».(٣٢)

وفى إنجيله أيضا : إنه «أعلن صوته فى البيت، وقال لليهود : قد عرفتم موضعى، فلم آت من ذاتى، ولكن بعثنى الحق، وأنتم تجهلونه. فإن قلت : إنى أجهله كنت كاذبا مثلكم. وأنا أعلم أنى منه، وهو بعثنى».(٣٣)

فانظر. كيف أخبر عن نفسه، أنه معلوم عند اليهود. وأخبر عن الله : أن اليهود لا تعرفه، وقال : «إنه لم يأت من ذاته، ولكن الله بعثه» وهكذا كانت دعوة من قبله من الأنبياء - عليهم السلام - وحاشاهم أن ينتسبوا إلى ما ينفرد به ذو الجلال والإكرام.

وفى الإنجيل أيضا : أنه قال لليهود بعد خطاب طويل مذكور فى الإنجيل، حين قالوا له : «إنما أبونا إبراهيم فقال : إن كنتم بنى إبراهيم ؛ فاقفوا أثره، ولا تريدوا قتلى على أنى رجل أدَّيتُ إليكم الحق، الذى سمعه من الله. غير أنكم تقفون أثر آبائكم. قالوا : لسنا أولاد زنا. إنما نحن أبناء الله. فقال : لو كان الله أباكم لحفظتمونى ؛ لأنى رسول. منه خرجت مقبلا، ولم أُقبل من ذاتى. وهو بعثنى. لكنكم لا تقبلون وصيتى وتعجزون عن سماع كلامى. إنما أنتم أبناء الشيطان، وتريدون إتمام شهواته» (٣٤) إلى كلام كثير.

وفيه أيضا : أنه كان يمشى يوما فأحاطت به اليهود. وقالوا : «إلى متى تُخفى أمرك ؟ إن كنت المسيح المنتظر؛ فأعلمنا بذلك» (٣٥) ولم تقل له : إن كنت إلها لأنها لم تعلم من دعواه ذلك. ولا اختلاف عند اليهود : أن الذى ينتظرونه إنما هو إنسان نبى، ليس بإنسان إله كما تزعمون.

وفى الإنجيل أيضا عنه : أن اليهود أرادوا القبض عليه، فبعثوا لذلك الأعوان. وأن الأعوان رجعوا إلى قوّادهم. فقالوا لهم : «لِم لَم تأخذوه ؟ قالوا: ما سمعنا آدميا أنصف منه. فقالت اليهود : وأنتم أيضا مخدوعون. أترون: أنه آمن به أحد من القوّاد، أو من رؤساء أهل الكتاب ؟ إنما آمن به من الجماعة من يجهل الكتاب. فقال لهم نيقوديموس : أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه ؟ فقالوا له : اكشف الكتب ترى أنه لا يجئ نبى من جلجال».(٣٦)

فما قالت اليهود ذلك إلا وقد أنزل نفسه منزله «نبى» فقط. ولو علمت من دعواه الإلهية، لقاتلته يومئذ. ومثل هذا كثير فى إنجيلهم، لو ذهبتُ أذكره ؛ لطال أمره.

وقد تقدم من كلام إشعياء : أن الله تعالى قال فى المسيح : «هذا غلامى المصطفى، وحبيبى الذى ارتضت به نفسى».(٣٧)

ومن كلام عاموس النبى أن الله قال على لسانه : «ثلاثة ذنوب أُقيل لبنى إسرئيل والرابعة لا أقيلها : بيعهم الرجل الصالح».(٣٨)

ولم يقل بيعهم إياى. ولا قال : بيعهم إلهاً متساويا معى. فهذا المبيع لا يخلو إما أن يكون هو المسيح - كما تزعمون - فقولوا فيه، كما قال الله : إنه رجل صالح، ولا تقولوا : إنه إله معبود. وإما أن يكون المبيع غيره، فهو الذى شبه لليهود ؛ فابتاعوه وصلبوه. ويلزمكم إنكار صلوبية المسيح، وهو كفر عندكم. وقد كررنا هذا المعنى فى هذا الكتاب مرارا لكون النصارى على اختلاف فرقهم يعتقدون له الإلهية على اختلاف فى كيفية ذلك. كما تقدم.

حتى لقد ذهبت طائفة منهم إلى مقالة لم يُسمع قط فى أكناف العالم وأطرافه من اجترأ على التفوه بها، ونحن نستغفر الله قبل حكايتها، ونتبرأ إلى الله من مذاهبهم الفاسدة، ومن القائل بها، وذلك أنى وقفت على رسالة(٣٩) لبعض «الأقسة» كان بطليطلة، نسبه من «القوط» قال فيها : «هبط الله بذاته من السماء، والتحم ببطن مريم».

ثم قال : «وهو الإله التام. والإنسان التام. ومن تمام رحمته على الناس : أنه رضى بهرق دمه عليهم فى خشبة الصليب، فمكن اليهود أعداءه من نفسه، ليتم سخطه عليهم. فأخذوه وصلبوه، وغار دمه فى إصبعه، لأنه لو وقع منه شىء فى الأرض، ليبست : إلا شىء وقع فيها فيبست فى موضعه النوار.

لأنه لم يتمكن فى الحكمة الأزلية أن ينتقم الله من عبده العاصى : آدم، الذى ظلمه، واستهان بقدره، فلم يرد الله الانتقام منه، لاعتلاء منزلة «السيد» وسقوط منزلة «العبد» أراد أن ينتصف من الإنسان الذى هو إله مثله، فانتصف من خطيئة آدم، بصلب عيسى المسيح الذى هو إله، مساو معه».

فانظر تواقُح هذا القائل، واستخفافه بحق الله تعالى وجهله، وتناقضه وحمقه. فوالله لو حكى مثل هذا القول السخيف عن مجنون أو موسوس لما كان يعذر بقوله، ولبودر بضربه، وقتله، حتى لا يجترئ على مثله. ونحن نربأ بأكثر المجانين، والموسوسين أن

يتقوّلوا بهذا المذهب الغث الهجين، أو ينتحلوا ركاكة هذا الدين السقيم، إلا أن يكون متخفقا فى الوسوسة والجنون. فالحمق أنواع، والجنون فنون.

وعند الوقوف على هذه المذاهب القبيحة، والأوهام. يتبين فضل دين الإسلام، ويتحقق معنى قول النبى عليه السلام «إذا أراد الله إنفاذ قضائه، وقدره؛ سلب ذوى العقول عقولهم، حتى ينفذه فيهم».

وفى مثل هذا الضرب : المثل : «إذا جاء البين،صم الأذن، وعمى العين» والحمد لله الذى أعاذنا من هذه الرذائل، وتفضل علينا بدين الحنيفية الذى خص بكل الفضائل، التى يعقلها بفطرته الأولى كل عاقل، ويستحسنها كل ذكى فاضل.

فقد تحصل من هاتين المقدمتين: معنى النبوة، وبيان شروطها. وأن عيسى عليه السلام نبى ورسول. إذ قد كملت فيه شروط الرسالة، وأنه ليس بإله. وأن النصارى ليسوا عالمين بشىء من أحوال المسيح، ولا من معجزاته على اليقين والتفصيل.

وغايتهم : أن يعلموا أمورا جملية لكثرة تكرار هذا المعنى عليهم.

ثم تلك الأخبار التى يتحدثون بها عن المسيح، وتتكرر عليهم، لو كُلفوا أن يسندوا شيئا منها لغير الإنجيل كما يُنقل متواترا، لما استطاعوا شيئا من ذلك، ولا وجدوا إليه سبيلا.

ومما يؤيد هذا المعنى ويوضحه : أن اليهود كانوا رهطه وكفلته، وعندهم نشأ، وهم يخالفونكم فى كثير مما تنسبون إليه، ولا يوافقونكم على نقلها.

●●●

غير أنه طار يوما، وقد هموا بأخذه فطار على إثره أحد منهم . فعلاه فى طيرانه، وتولّه، فسقط إلى الأرض بزعمهم .

ومواضع كثيرة من إنجيلكم تدل على ما قالته اليهود من أنه لم يأت بآية فمن ذلك.(٤٠)

«أن اليهود قالت له: ما آيتك التى ترينا، ونؤمن بك وأنت تعلم أن آباءنا قد أكلوا المنّ والسلوى فى المفاز ؟ فقال: إن كان أطعمكم موسى خبزا بالمفاز. فأنا أطعمكم خبزا

سماويا» يريد نعيم الآخرة. فلو عرفت اليهود له معجزة، لما قالت ذلك[٤١] .ثم لم يجبهم على قولهم بمعجزة، ولا آية .

وفى إنجيلكم: «أن اليهود جاءوا يسألونه آية، فقذفهم . وقال: إن القبيلة الفاجرة الخبيثة تطلب آية، ولا تُعطى ذلك».[٤٢]

وفيه أيضا: أنهم كانوا يقولون له، وهو على الخشبة بظنكم: «إن كنت المسيح فأنزل نفسك ؛ نؤمن بك»[٤٣] يطلبون منه بذلك آية، فلم يفعل .

ومثل هذا كثير فيه .

ثم إن اليهود عندهم من الاختلاف فى أمره ما يدل على عدم يقينهم بشىء من أخباره. فمنهم من يقول: إنه كان رجلا منهم يعرفون أباه وأمه، وينسبونه لزانية، وحاشى لله .كذبوا. ويسمون أباه للزانية: «البندير[٤٤] الرومى » وأمه «مريم الماشطة» كذبوا - لعنهم الله - ويزعمون: أن زوجها يوسف لما رأى «البندير» عندها على فراشها، وتشعّر بذلك ؛ هجرها، وأنكر ابنها .ومنهم من يقول: إنه لم يتولّد من غير أب، وينكره، ويقول: إنما أبوه يوسف بن يهوذا، الذى كان زوجا لمريم .

ثم إن اليهود - لعنهم الله - أطبقت على إطلاق الذّم عليه، ثم اختلفوا فى سبه، فمنهم من قال ما تقدم .ومنهم من ذكر سببا آخر، وهو أنهم زعموا: أنه كان يوما مع معلمه «يهوشوّع» بن بَرَخِيا، وسائر التلاميذ فى سفَر، فنزلوا موضعا، وجاءت امرأة من أهله وجعلت تبالغ فى كرامتهم .فقال «يهوشوع»: ما أحسن هذه المرأة - يريد فعلها - فقال عيسى - بزعمهم لعنهم الله - لولا عَمَش فى عينيها .فصاح «يهوشوع» وقال له: يا ممزار - ترجمته: يا زنيم - أتزنى بالنظر ؟ وغضب عليه غضبا شديدا . وعاد إلى بيت المقدس[٤٥] وحرمه باسمه، ولعنه، فى أربع مائة قرن .قالوا: فحينئذ لحق بزعمهم ببعض قواد الروم، وداخله بصناعة الطب، فقوى لذلك بزعمهم على اليهود، وهم يومئذ فى ذمة قيصر «تباريوش» وجعل يخالف حكم التوراة، ويستدرك عليها، ويعرض عن بعضها .إلى أن كان من أمره ما كان .

ومنهم من يقول: إن ذلك إنما أُطلق عليه لأنه كان يوما يلاعب الصبيان فى صغره بالكرة فوقعت له بين جماعة من مشايخ اليهود، فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياء من المشايخ، فقوي عيسي، وتخطّى رقابهم، وأخذها فقالوا له: ما نظنك إلا زنيما ؟ فأمضيت عليه هذه الشتيمة .

وكذلك يُختلف في صنعة أبيه، الذى تقولون أنتم فيه، خطيب أمه فمنهم من يقول: يوسف النجار، وبعضهم يقول: إنما هو الحداد وكذلك تختلفون أنتم فى اسم أبيه، فبعضكم يقول: يوسف بن يعقوب، وبعضكم يقول:يوسف بن هالى .وكذلك اختلفتم أنتم فى آبائه،وفى عدده .فمنكم من يقلل، ومنكم من يكثر - على ما تقدم - .فهذا الاختلاف الكثير والاضطراب البين الشهير يدل على: أنكم واليهود، فى شك منه، وأنه لم يثبت عندكم خبر متواتر عنه .وإنما هى ظنون كاذبة، وأوهام راتبة، وسنبين مداخل الشك والأوهام عليهم فى قولهم بصلوبيته .ونبين أن اليهود والنصارى فى قولهم بصلبه كاذبون وأنهم ﴿ فى ريبهم يترددون ﴾[٤٦] فلولا أن مَنّ الله علينا بفضله علينا وعليكم معاشر النصارى بأن بعث إلى الجميع: سيد المرسلين ؛ لبقى الجميع من أمر عيسى حيارى .

فنزه الله المسيح وأمه، على لسان نبيه، مما قالته اليهود فيهما من الأقوال الوخيمة ونسبوه إليهما من الهجاء والشتيمة .وكما شهد ببراءة المسيح وأمه، مما نسبته اليهود إليهما ؛ كذلك شهد ببراءتهما مما نسبتموهما أنتم إليه، وتقولتموه عليهما .وذلك أن منكم طائفة يقولون: إن مريم إله .وقد أطبقتم على أن المسيح إله وابن الإله ونبينا عليه السلام يقول مخبرا عن الله سبحانه وتعالى: ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدِّيقة ﴾.

فإذا سمع القائل قوله فيهما ؛ علم بعقله: أن ذلك القول هو الحق وإن كان ممن طالع الزبور: علم أن داوود مستجاب،ومقاله صدق .وذلك أن فى الزبور: أن الله تعالى قال لداوود : «سيولد لك: ولد .أُدعى له : أ با .ويُدعى لى: ابنا»[٤٧] فقال:«اللهم ابعث جاعل السنة،كى يعلم الناس أنهم بشر» فاعتبر قول داوود حين أفزعه ذلك وراعه .كيف دعا إلى

الله: أن يبعث جاعل السنة، الذى يعلم الناس: أن ذلك الولد المدعو: إنما هو بشر .وكذلك قال المسيح على ما حاكاه إنجيلكم: «اللهم ابعث البارقليط، ليعلم الناس: أن ابن الإنسان بشر».

«والبارقليط» (٤٨) بالرومية: هو «محمد» بالعربية .

فلما ضللتم، وتفوهتم بذلك، وراغمتم أدلة العقول، وكلام الأنبياء المنقول.بعث الله جاعل السنة، وكاشف الغمة: محمدا ﷺ، فأعلم الناس أنه بشر، ليس بإله ولا ابن إله فقال مبلغا عن الله: ﴿ وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾(٤٩) وقال تعالى: ﴿ وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ﴾.(٥٠)

ونذكر الآن هنا: خبر «النجاشى» ليكون منبهة للعاقل، ومردعة للجاهل: وذلك أن الله تعالى .لما بعث محمدا ﷺ اتّبعه جماعة ممن نور الله قلبه، وشرح للإسلام صدره .وذلك فى أول الأمر .فآمنوا به، والتزموا شرعه وأحكامه.

فكان كفار قريش، والمخالفون لهم فى أديانهم يؤذونهم ويعذبونهم، يرومون بذلك ردهم عن دينهم، كما قد فُعل بأتباع الأنبياء قبلهم، فلما اشتد عليهم الأمر.شكوا ذلك لرسول الله ﷺ فأمرهم أن يهاجروا إلى أرض الحبشة،ووعدهم بأن يجعل الله لهم من أمرهم فرجا وأخبرهم أن بها ملكا عظيما، لا يُظلم عنده أحد ففعلوا فقدموا على النجاشى واسمه «أصحمة» وكان على صميم دين النصرانية.

فلما قدموا عليه ؛ استقر بهم المنزل، ووجدوه خير منزل .فأقاموا هنالك دينهم، واغتبط النجاشى بصحبتهم، وهم بجواره .فلما رأى كفار قريش، أن قد وجدوا بأرض النجاشى أمنا ودعة، وجهوا اثنين منهم وأصحبوهما هدايا جليلة إلى النجاشى وأقسّته وطلبوا منه ومن أساقفته: أن يسلموهم لهما .

فلما قدما أرض النجاشى دفعا لأقسته هداياهم، وطلبا منهم أن يعينوهما على ردّهم معهما، وإسلامهم لقومهما .ثم دفعا للنجاشى هديته .وقالا له: أيها الملك .قد ضوا إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه،لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم بن آبائهم وأعمامهم، وعشائرهم، لتردهم إليهم .فهم أعلم بهم عينا .وأعلم بما عابوا عليهم .فأسلمهم إليهم فغضب النجاشى .ثم قال: لا والله لا أسلمهم إليكما أبدا .ولا يكاد قوم جاورونى، ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى، لا أسلمهم حتى أدعوهم .فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم .ثم أرسل إلى أصحاب رسول ﷺ فجاءوا وقد دعا النجاشى أساقفته ؛ فنشروا مصاحفهم حوله .فقال لهم: ما هذا الدين الذى فارقتم به قومكم، ولم تدخلوا فى دينى، ولا دين أحد من هذه الملل كافة ؟

فكلمه «جعفر بن أبى طالب» فقال: أيها الملك: كنا قوما أهل جاهلية،(٥١) نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوى الضعيف، فكنا على هذا حتى بعث الله إلينا رسولا نعرفه، ونعرف نسبه وأمانته، وصدقه وعفافه، فدعانا إلى الله، لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان .وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات .

وأمرنا أن نعبد الله، ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

وعدّد عليه أمور الإسلام .

فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به عن الله .فَعَدَى علينا قومنا .وعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث.

فلما قهرونا وظلمونا .خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك.

فقال النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله من شىء ؟ فقال له جعفر: نعم .فقال: اقرأه .فقرأ عليه جعفر صدرا من ﴿ كهيعص ﴾ فبكى - والله - النجاشى، حتى أخضل

لحيته، وبكت أساقفته، حتى أخضلوا لحاهم، حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشى: إن هذا، والذى جاء به موسى ؛ ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا أكاد .

فلما خرجا من عنده، وقد يئسا من مرادهما قال أحدهما وهو «عمرو بن العاص»: لآتينه عنهم غدا بما يهلكهم لأجله ثم غدا عليه من الغد فقال: أيها الملك ..إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولا عظيما فأرسل إليهم ليسألهم قالوا: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون فى عيسى إذا سألكم ؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاء به نبينا، كائنا فى ذلك ما كان .

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر بن أبى طالب: نقول فيه: الذى جاءنا به نبينا: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

قال: فضرب النجاشى بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودا ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا، فأنت «شيوم» ترجمته «آمنون».(٥٢)

فهذا هو قول أهل العلم من قبلكم، العارفين بشريعتكم، وما عدا ذلك فشجرته غثاء وأوضا. ﴿ اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾.(٥٣)



ثانيا : فى إثبات نبوة محمد ﷺ

من الأدلة على نبوة محمد ﷺ: إخبار الأنبياء به قبله وإنما قدمنا هذا النوع، وإن كان غيره أوْلى بالتقديم، لكون الأنبياء الخبيرين بعلاماته، متقدمين عليه فى الزمان، ولكوْن هذه البشائر كانت معروفة قبل مجيئه، ولكون السائل الذى كتبنا هذا الكتاب جوابه، لم يطلب منا بجهله، إلا الاستدلال بما جاء فى كتب الأنبياء وليكون هذا الباب مُؤنسا له،

وباعثا على النظر فيما بعده .ولتعلم أن الاستدلال بهذا النوع، لا ينتفع به إلا من صدّق بتلك الكتب .وتواترت عنده.

ومن خلى عن شيء من ذلك ؛ لا ينتفع بشيء منها، ولا يستدل بها عليه وأما ما بعد هذا النوع، فيُستدل به على كل من أنكر نبوته من سائر الفِرَق .فأما هذا النوع فإنما هو حجة على اليهود والنصارى لادعائهم: أن تلك الكتب تواترت عندهم .

وهذا النوع عندنا على التحقيق: إنما هو داخل فى باب الإلزامات لهم .ليظهر عنادهم وإفحامهم .ثم لتعلم أنا إنما نذكر إخبار الأنبياء المبشرة بنبوة محمد ﷺ من كتبهم التى بأيديهم، وعلى ما ترجمها مترجموهم من غير زيادة ولا نقصان.

فمن ذلك: ما جاء فى التوراة: أن الله قال لموسى بن عمران: «إنى أقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم نبى مثلك .أجعل كلامى على فيه .فمن عصاه انتقمت منه».(٥٤)

فإن قلت: إن ذلك إنما هو «يَشُوع بن نون».(٥٥) قلنا:لا .فقد قال فى آخر التوراة: «لا يخلُف من بنى إسرائيل نبى مثل موسى»(٥٦) فلا محالة أن ذلك الذى بشرت به التوراة لا يكون من بنى إسرائيل لكن من إخوة بنى إسرائيل.فلننظر .من هم إخوة بنى إسرائيل ؟ فلا محالة: إنهم العرب .أو الأدوميون.(٥٧)

فأما الأدوميون فلم يكن منهم نبى سوى أيوب، وكان قبل موسى بزمان، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوراة، فلم يبق إلا العرب .فهو إذاً: محمد عليه السلام .وقد قال فى التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب: «إنه يضع فسطاطه، فى وسط بلاد إخوته»(٥٨) فكنّى عن بنى إسرائيل: بإخوة إسماعيل، كما كنّى عن العرب بإخوة بنى إسرائيل، فى قوله:«إنى أقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم نبى مثلك» ويدل على ذلك أيضا: قوله: «أجعل كلامى على فيه» فإن هذا تصريح بالقرآن .إذ هو كلام الله الذى جاء به محمد ﷺ، وتلقيناه من فَلَق فيه.ويدل أيضا على ذلك: قوله: «من عصاه انتقمت منه»(٥٩) إذ قد فعل الله ذلك بصناديد قريش(٦٠)، وعظماء ملوك الروم وغيرهم، فهم بين أسير وقتيل، ومعطى الجزية على وجه الصَّغار، والذلة ﴿ ولعذاب الآخرة أشق﴾.(٦١)

ومن ذلك ماجاء فيها أنه قال: «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته .فقال: «جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران .ومعه جماعة من الصالحين».(٦٢)

فمجيئه من جبل سيناء: أن الله أنزل فيه التوراة، وكلّم عليه موسى .وإشراقه من جبل ساعير: أن دين المسيح إنما أشرق من جبال ساعير، وهى جبال الأدوميين من أدوم(٦٣) واستعلانه من جبال فاران: أن الله تعالى بعث منها محمدا ﷺ، وأوحى إليه فيها .ولا اختلاف فى: أن فاران: «مكة» وقد قال فى التوراة: «إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران»(٦٤) وفى بعض التراجم(٦٥): «أقبل السيد من سيناء،ومن شعير تراءى لنا، وأقبل من جبال فاران، ومعه آلاف من الصالحين،ومعه كتاب نارى، وهو ختم الأجناس .وجميع الصالحين فى قبضته، ومن تدانى من قدميه ؛ يُصب من علمه».

ففكر على إنصاف وتثبت مَن الجائى المقبل من جبال فاران .مع الآلاف من الصالحين ؟ ومن جاء بالكتاب الذى ما منه سورة إلا وفيها الوعيد على المخالف بالنار وعذابها وأنكالها وأغلالها؟.(٦٦)

ومن ذلك ما جاء فيها أيضا أن الله قال لإبراهيم: «قد استجبتك فى إسماعيل وباركته وكثّرته وأنميته، جدا جدا، يُولد له اثنا عشر عظيما، وأجعله لشعب عظيم» ولا يشك فى أن الشعب العظيم هو محمد عليه السلام وأمته. إذ لم يكن فى ولد إسماعيل أعظم منهم.

وقد تفطّن بعض النبهاء، ممن نشأ على لسان اليهود، وقرأ بعض كتبهم .فقال: فى التوراة موضعان(٦٧) يخرج منهما اسم محمد بالعدد على ما تستعمله اليهود فيما بينهم .ثم ذكر ما قدمتُه من قول الله لإبراهيم: «قد استجبتُك فى إسماعيل».

فأما قوله «جدا جدا» فهو بتلك اللغة «بماد ماد» وعدد هذه الحروف: اثنان وتسعون. .وذلك أن الباء عندهم: اثنان والميم: أربعون والألف واحد والدال: أربعة والميم الثانية: أربعون والألف: واحد والدال: أربعة وكذلك الميم من محمد: أربعون والحاء: ثمانية والميم: أربعون والدال: أربعة.

وأما قوله «لشعب عظيم» فهو بتلك اللغة «لغوى غدول» فاللام عندهم: ثلاثون، والغين: ثلاثة ـ وهى عندهم مقام: الجيم، إذ ليس فى لغتهم: جيم ولا ضاد ـ والواو: ستة والياء: عشرة والغين أيضا: ثلاثة والدال: أربعة والواو: ستة واللام: ثلاثون فمجموع هذه أيضا: اثنان وتسعون وهذا من رشيق الفهم، وملح البحث، وغرائب العلم .

وفى التوراة أيضا: أن ملاك الرب قال لهاجر: «ستلدين ابنا، وتدعين اسمه إسماعيل، يده على كلٍّ ويد كل به وسيحلّ على جميع حدود إخوته»(٦٨) ولا محالة أن إسماعيل، وولده لم تكن أيديهم إلا تحت يد «إسحق» لأن النبوة والملك إنما كانا فى ولد إسحق، فلما بعث الله تعالى محمدا، جعل يد بنى إسماعيل فوق أيدى الجميع، وردّ النبوة والملك فيهم وأنساهم وعظّمهم، وبارك عليهم جدا جدا .

ومن ذلك ما جاء فى الزبور الذى بأيديكم أنه قال: «سبحوا الرب تسبيحا، حديثا سبحوا الذى هيكله الصالحون، ليفرح إسرائيل بخالقه، وبنو صهيون من أجل أن الله اصطفى لهم أمة، وأعطاهم النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحون الله على مضاجعهم ويكبرونه بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذوات شفرتين، لينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه، يوثقون ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال».(٦٩)

أخبرونا يا هؤلاء الجاحدون للحق، المعرضون عن أخبار الصدق: من هذه الأمة التى سيوفها: سيوف ذوات شفرتين، ينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه ؟ ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء؟ ومن الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة فى الأذان ؟ هذه أوصاف محمد ﷺ وأوصاف أمته، بلا ريب ولا رجم غيب.

وفى الزبور أيضا: ذكر صفة محمد ﷺ فقال: «ويجوز من البحر، إلى البحر، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار وأنه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ويلحس أعداؤه التراب وتأتيه ملوك بالقرابين وتسجد له وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد لأنه يخلّص المضطهد البائس من الأقوى منه، وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين وأنه يعطى من ذهب بلاد سبأ، ويصلِّى عليه فى كل وقت ويدوم أمره إلى آخر الدهر».(٧٠)

تأمل أوصاف النبى ﷺ فهى على ما ذكر ،ما غادر منها واحدا ،ولم تجتمع هذه الصفات والعلامات لأحد قبله، على ما هو معروف من أحوال الأنبياء المتقدمين، عند العلماء المنصفين غير الجاهلين المتعصبين .

وفى الزبور أيضا: أن الله تعالى «أظهر من صهيون إكليلا محمودا».(٧١)

فالإكليل: ضرب مثل لرياسته، ومحمود: هو محمد ﷺ ،وقد بلغ دينه صهيون وغيره .

وفيه أيضا: «تقلد أيها الجبار سيفك ؛ فإن ناموسك، وشريعتك مقرونة بيمينك، وسهامك مسنونة ، والأمم يخرون تحتك».(٧٢)

تأمل من الجبار الآتى بشرائع يظهرها بالسيف والسهام ؟فإنك إذا تأملت ذلك لم تجد على هذه الصفات أحدا من عهد داوود إلا النبى محمد عليه الصلاة والسلام ،فهو المبشر به، لا محالة .

وقد تقدم قول داوود: «اللهم ابعث جاعل السنة، كى يعلم الناس أنهم بشر»(٧٣)

فلينظر هنالك ،فإنه نص على نبينا محمد ﷺ فإنه جاعل السنة.(٧٤)

وفى الزبور(٧٥) ترجمة «وهب بن منبه» يقول الله تعالى لداوود عليه السلام فى المزمور الخامس: «اسمع ما أقول ،ومر سليمان، فليقله للناس من بعدك: إن الأرض لى أورثها محمدا وأمته فهم خلافكم ،لم تكن صلاتهم بالطنابير، ولا قدسونى بالأوتار». وهذا تصريح باسمه، وتأييد شريعته، وبصفات أمته ،وزبور «وهب بن منبه» هذا الذى نقلت منه، أصح ما يوجد من كتاب الزبور ،فإنه أوثق وأعلم من كل ترجمة فى سالف الدهور ،ولكن النصارى مع ذلك يكذبون، إذ هم جاهلون ومعاندون .

ومن ذلك ما جاء فى الإنجيل الذى بأيديكم: أن المسيح قال: «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وسأرغب إلى الآب ،فى أن يبعث إليكم البرقليط ،ليكون معكم إلى الأبد ،روح الحق الذى لا تقبله الدنيا، لأنها لا تراه ،ولا تعرفه ،وأنتم تعرفونه، لأنه نازل عليكم، وعندكم لابث، ولست أدعكم أيتاما».(٧٦)

وفيه أيضا عن يوحنا: أن المسيح قال: «سينفعكم ذهابى .لأنى إن لم أذهب لم يأتكم البرقليط، وإن ذهبت سأبعثه إليكم .وإذا قدم ؛ سيعرّف الدنيا بالمأثم والعدل والحكم. فأما المأثم فتركهم الإيمان بى .وأما العدل فذهابى إلى الآب، ولا ترونى بعدها .وأما الذى يحكم بى فيها .فإنه يحكم على صاحب الدنيا، ويقهر .

وقد بقيت لى أشياء كثيرة، أعلمكم بها، إلا أنكم لا تحتملونها الآن .فإذا قدم الروح الصادق فهو يعرفكم بالصواب، وليس يعلمكم من ذاته، إلا بما يسمع، وسيعلمكم بما يكون، وسيعظمنى ؛ لأنه يصيب منى ويعلمكم».(٧٧)

وفيه أيضا .أن المسيح قال للحواريين: «الذى يُبغضنى يبغض أبى .فلو لم أُطلع عندهم من العجائب ما لم يطلع غيرى لم يكن قبَلهم ذنب .ولكنهم الآن قد عابوا وكرهونى .ليتم ما كتب فى كتبهم، حيث قال: إنهم كرهونى بلا ذنب .فإذا أقبل البرقليط، الذى أبعث إليكم من عند الآب، الروح الصادق المنبثق من الآب، هو يؤدى الشهادة عنى، وأنتم تُستشهدون ؛ لأنكم كنتم معى من أول الأمر .وإنما أقول لكم هذا، لئلا يواقعكم التشكيك».(٧٨)

فالبرِقليط(٧٩) بالرومية: المنحمنا بالسريانية، وهو: محمد بالعربية .

فتأمل هذه البشائر التى لا ينكرها إلا معاند مجاهر .فقد أخبر به المسيح: بالعين والاسم والأفعال ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾.(٨٠)

وفيه أيضا .أنه قال لليهود: «وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا .لم نساعدهم على قتل الانبياء ..فأتموا كيل آبائكم، يا ثعابين بنى الأفاعى، كيف لكم والنجاة من عذاب النار ؟ وسأبعث إليكم أنبياء وعلماء وستقتلون منهم وتصلبون وتجلدونهم فى جماعتكم، وتطلبونهم من مدينة إلى أخرى لتتكامل عليكم دماء المؤمنين المهراقة على الأرض من دم هابيل الصالح .إلى دم زكريا بن بَرَخِيا، الذى قتلتموه بين المذبح والهيكل.آمين آمين. أقول: إنه سيأتى جميع ما وصفت على هذه الأمة .يَرُشالم .يرشالم .التى تقتل الأنبياء، وترجم من بُعث إليها .قد أردت أن أجمع بنيك، جمع الدجاجة فراريجها تحت جناحيها وكرهت أنت ذلك .

سأقفر عليكم بيتكم وأنا أقول لكم: لا ترونى من الآن، حتى يأتى من تقولون له: مبارك الآتى على اسم الله».(٨١)

تأمل بشارته بالنبى محمد عليه السلام، وتوعده لهم بالانتقام منهم على يديه.

فإذا تأملت هذا على جهة الإنصاف، لاح الحق لك وإلا ﴿ فمن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾.(٨٢)

وقوله «سأبعث» فى الموضعين: تحريف بدليل قوله فيما تقدم: «سأرغب إلى الآب فى أن يبعث إليكم البِرقليط» فقد صرح هنا: بأن الباعث له: هو الله. لا هو وهو الحق، إذ قد تبين: أن المسيح لا يفعل شيئا من ذاته، وإنما ما يريده الله تعالى، وقد تقدم قوله «لست أنفذ إرادتى وإنما أنفذ إرادة الرب».

وفيه أيضا أن المسيح قال: «إن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضا بالنبوة والوحى حتى جاء يحيى وأما الآن فإن شئتم فاقبلوا فإن إيل مزمع أن يأتى فمن كانت له أذنان سامعتان، فليسمع».(٨٣)

إيل(٨٤): هو الله تعالى ومجيئه هو: مجىء رسوله بكتابه وأمره، كما قال فى التوراة «جاء الله من سيناء» وما أشبه ذلك .

فإن قلت: قوله: «فإن إيل مزمع أن يأتى» وقوله «حتى يأتى من تقولون له: مبارك(٨٥) الآتى» إنما أراد من كان بعده من الأنبياء مثل: بارنابا، وشمعون(٨٦)، وليوقيوش ومناين هؤلاء أنبياء «أنطاكية»(٨٧) ومن «بيت المقدس» أغفانوس ومن «فلسطين» جرجيوس.

فالجواب: أنه لا يصح لكم أن تعترفوا بنبوة واحد من هؤلاء، بل ينبغى لكم أن تكفروا بهم ؛ لأنكم تروون: أنه لا نبى بعد المسيح، وتسندون ذلك إلى كتبكم فإما أن تكذبوا بقولكم لا نبى بعد المسيح، أو تنكروا نبوة من ذكرتم ثم لو سلمنا أنهم أنبياء فليسوا المرادين بما ذكر، لأنهم لم يأتوا بكتب من الله ولا بأوامر أُخر وغايتهم: أن يحكموا بكتب الأنبياء قبلهم وإتيان الله فيما ذكر: إنما هو عبارة عن إتيان «نبى» من أنبيائه بكلامه، وكتابه، كما قال «جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران» وهذا واضح للمنصف.(٨٨)

وقد زعم بعض المعاندين الجاهلين ممن ينتمى إلى دينكم: أن المبشر به فى ذينك الموضعين[٨٩]: إنما المراد به: رجوع بعض ما مضى من الرسل، وعودهم إلى الأرض، وإلى الناس[٩٠] وهذا قول باطل، صدر عن معاند جاهل .إذ لم يثبت شىء من ذلك على لسان نبى فاضل، إلا ما صح[٩١] على لسان نبينا من رجوع عيسى ابن مريم - صلوات الله عليه وسلامه - إذ أخرج «الدجال» وقتله له وفى إنجيلكم إشارة إلى هذا. وهذا عندنا مبنى على أن الله تعالى رفع المسيح إليه، ولم يقتل ولا مات[٩٢] ﴿بل رفعه الله إليه﴾[٩٣] على ما يأتى عند ذكر الصلوبية وإنما يموت إذا قتل الدجال عند باب «لدّ» وبعد أن يهلك الله «يأجوج ومأجوج»[٩٤] على يديه .

وفى الإنجيل أيضا .أنه ضرب مثلا لأمة بنى إسماعيل[٩٥] فقال: «مثل ملكوت السموات كمثل رجل اغترس كرما، وسيّج حوله، وجعل فيه معصرة، وشيّد فيه قصرا، ووكّل به أعوانا، وتغرّب عنه .فلما دنا أوان قطافه، بعث عبيده إلى أعوانه، الموكلين بالكرم».

فضرب المسيح عليه السلام مثلا للأنبياء، ثم لنفسه، ثم قال: «سيُزاح عنكم ملك الله، وتُعطاه الأمة المطيعة».

فتأمله ثم ذكر فى المثل:«صخرة» وقال:«من سقط على هذه الصخرة سينكسر ومن سقطت عليه يتهشم»[٩٦] يريد بذلك محمدا ﷺ ومن ناوأه وحاربه؛ أظهره الله عليه وكذلك، قد أزاح الله ملككم وأزاله عنكم، وأعطاه أمة محمد، حيث افتتحوا عليكم بلاد الشام، وبلاد الغرب، وردوكم فى أكثر الأرض، أهل ذلة، وصغار، وأخذوا منكم الجزية بعد القتل الذريع، والاسترقاق الشديد، بعد أن كان ملككم راسخا، وجبله شامخا .فهد الله بنبيه قواعده، وأنفذ به الله مواعده، وأعظم شاهد على أن الله أزاح ملككم عنكم كما قال المسيح: أن الله تعالى أعطانا بيت المقدس، وأظهرنا عليه، وإن كرهتم، والحج إليه عندكم من أعظم شرائعكم، وشرائع اليهود، ثم الواحد منكم لا يصل إليه،حتى يلحقه من الذلة والصغار، ما لا يخفى عليكم ﴿والله متم نوره، ولو كره الكافرون﴾.[٩٧]

وفى صحف إشعياء النبى التى بأيديكم .قال: «ستمتلئ البادية والقصور التى سكنها قيدار، يسبحون، ومن رءوس الجبال ينادون .هم الذين يجعلون لله الكرامة، ويبثون تسبيحه فى البر والبحر» .(٩٨)

وفى صحف حِزقيال النبى عن الله يقول: «إنى مؤيد قيدار بالملائكة».(٩٩)

وقيدار: ولد إسماعيل - بلا شك - فأنظر أى بادية هذه.البادية التى امتلأت قصورها من قيدار ؟ والذين ينادون بالأذان والتلبية من رءوس الجبال، ويجعلون لله الكرامة بالصلاة والحج والصوم والزكاة وغير ذلك ؟ وقد ثبت أن الملائكة قاتلت مع النبى ﷺ فى مواطن - على ما يأتى إن شاء الله تعالى.

وقال إشعياء النبى عن الله: «عبدى الذى سُرّت به نفسى، أُنزل عليه روحى، فيظهر فى الأمم عدلى، يُوصى الأمم بالوصايا .لا يضحك، ولا يُسمع صوته فى الأسواق، يفتح العيون العور، ويسمع الآذان الصم، ويحيى القلوب الغلف، وما أعطيه لا أعطيه غيره .

أحمد يحمد الله حمدا كثيرا يأتى من أقصى الأرض، تفرح البرية، وسكانها .يُهللون الله على كل شُرف،.ويكبرونه على كل رابية .لا يضعف، ولا يغلب، ولا يميل إلى الهوى .

ولا يسمع فى الأسواق صوته، ولا يذل الصالحين، الذين هم كالعصفة الضعيفة، بل يقوى الصديقين، وهو ركن للمتواضعين، وهو نور الله الذى لا يُطفأ ولا يُخاصم، حتى تثبت فى الأرض حجتى، وينقطع العذر به، وإلى توراته ينقاد الحق».(١٠٠)

فاعتبر هذا التصريح باسم محمد وصفاته، وإن هذه العلامات المذكورات على لسان هذا النبى لا يصح بحال أن توجد لغيره، ولم تكن إلا له .

فإن قلت: هو المسيح .قيل لك: تفهم لفظ الكلام ومساقه، وحينئذ تحكم بأنه «محمد» قطعا .وذلك أنه قال فيه «يوصى الأمم» وهذا التصريح ببعثه للناس كافة، وعيسى إنما بعث للأجناس من بنى إسرائيل خاصة.بدليل قوله فى الإنجيل: «إنى لم أبعث إلى الأجناس، وإنما بعثت إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل».(١٠١)

وكذلك قال للحواريين: «لا تسلكوا فى سبيل الأجناس، ولكن اختصروا بالضرورة إلى الغنم الرابضة من بنى إسرائيل».(١٠٢)

ثم قال «أحمد يحمد الله» وهذا تصريح باسمه، فإن أسماءه كثيرة منها: محمد، وأحمد. ثم قال: «يهللون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية» وهذا إخبار بأذانهم وتلبيتهم، وليس هذا لأحد غيره. ثم قال: «لا يضعف ولا يغلب» وأنتم تزعمون أن المسيح غُلب على نفسه، وحمل على خشبة. وسمرت يداه فيها، وقتل عليها، بعد صفع وإهانة عظيمة. ولا درجة فى الغلبة والضعف والذلة تزيد على هذا.

وأما نبينا محمد ﷺ فقد فتح الله عليه فتحا مبينا، ونصره نصرا عزيزا، وأظهره على كل عدو معاند، حتى أعلى الله دينه، وأفشى توحيده. وعصمه من كل الشرور، ووقاه كل مخوف، وكل محذور، ومن أدل ما فى كلامه على أن نبينا محمدا هو المراد وهو المبشر به: قوله «لا يخاصم، حتى تثبت فى الأرض حجتى» فإن هذا تصريح بالقرآن الذى جاء به. إذ قد عجز عن الإتيان بمثله، أو بسورة مثله جميع البشر، وإن كان فيهم اللدّد الفصحاء، والمهرة الحكماء. فثبتت فى الأرض حجة الله. وعلم أنه من عند الله - وسيأتى بيان هذا المعنى إن شاء الله عز وجل.

وفى صحف حَبَقُّوق النبى التى بأيديكم. قال: «جاء الله من التيمن، والقدوس من جبل فاران، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد، وتقديسه، وملأ الأرض بهيبته».

وقال أيضا: «تضىء لنوره الأرض، وستنزع فى قسيك إغراقا، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء».(١٠٣)

فيا معشر العقلاء، انظروا عناد هؤلاء الجاحدين، وإنكار هؤلاء المباهتين، وتواقح هؤلاء الجاهلين، كيف خالفوا هذه النصوص القاطعة، والبشارات الصادعة، محكمين فى ذلك أهواءهم، وهم ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾.(١٠٤)

وفى صحف إشعياء النبى قال: «قيل لى: قم ناظرا، فانظر. فما ترى، تخبر به. قلت: أرى راكبين مقبلين، أحدهما: على حمار. والآخر: على جمل. يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل، وأصنامها النخرة».(١٠٥)

فصاحب الجمل هو: محمد ﷺ وصاحب الحمار، باتفاق منا ومنكم، هو المسيح[١٠٦]، وليس محمد بركوب الجمل أشهر من عيسى بركوب الحمار، وإنما سقطت عبادة الأصنام ببابل من دون الله وهدت أوثانها بالنبى محمد ﷺ وأمته[١٠٧]، لا بعيسى ولا بغيره .فما زالت ملوك بابل يعبدون الأوثان من كون إبراهيم إلى زمان النبى ﷺ وأمته. [١٠٨]

وفى صحفه أيضا: «لتفرح أرض البادية العطشى،ولتبتهج البرارى والفلوات؛ لأنها ستُعطى بأحمد، محاسن لبنان، كمثل حسن الدساكير والرياض».[١٠٩]

هذا ينص على اسمه ووصفه وبلده بحيث لا ينكره إلا وقّاح مجاهر بالباطل الصراح .

وفى صحف إشعياء النبى: «أتت أيام الافتقاد .أتت أيام الكمال»[١١٠] ثم قال: «لتعلموا يا بنى إسرائيل الجاهلين .أن الذى تسمونه ضالا، هو صاحب النبوة، تفترون ذلك على كثرة ذنوبكم، وعظم فجوركم»

وفى الصحف المنسوبة للاثنى عشر نبيا[١١١]: «أن الله سيتجلى من القبلة وتظهر كلمة القدوس من جبال فاران، ظهورا أبديا، ويحمد الله على ذلك فى السموات والأرض، وكلمة أحمد تملأ الأرض».

ورفعه الله عن أتباع يسيرين. أحد عشر ـ على ما زعموا ـ ثم أتباعهم على شرعهم المستقيم يسيرون.

فإنه لم يكن بها نبى من عهد إسماعيل إلى عهد محمد ﷺ. ثم إنه شبه ما نص النبى عليه السلام من الحرب والرعب بالنار، التى تأتى على كل شىء. فكذلك دين نبينا محمد ﷺ أظهره الله بالحجة والسيف على الدين كله،ولو كره المشركون.

وقد قدمتُ أن فى صحف دانيال النبى، وقد نعت الكذابين وقال:«لا تمتد دعوتهم ولا يتم قربانهم، وأقسم الرب بساعده ألا يظهر الباطل، ولا يقوم لمدع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة».[١١٢]

وهذا دين الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ له: ستمائة سنة، ونيف من الأعوام، وهو باق إلى آخر الأيام، والحمد لله على ما أولى من الفضل والإنعام.

وقال دانيال النبى. وقد سأله الملك نبوخذ ناصّر(١١٣) عن رؤيا رآها، وطلب أن يخبر بها، ثم بتفسيرها. فقال:«أيها الملك رأيتَ صنما بارع الجمال، أعلاه من ذهب ووسطه من فضة، وأسفله من نحاس. وساقاه من الحديد، ورجلاه من فخار. فبينما أنت تنظر إليه،وقد أعجبك. إذ دقه الله بحجر من السماء، فضرب رأس الصنم،فطحنه حتى اختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره. ثم إن الحجر: ربا. وعظم. حتى ملأ الأرض كلها.

قال له نبوخذ ناصر: صدقت فأخبرنى بتأويلها.

قال دانيال: أما الصنم. فأمم مختلفة فى أول الزمان، وفى وسطه، وفى آخره. فالرأس من الذهب: أنت. والفضة: ابنك من بعدك. والنحاس: الروم. والحديد: الفرس. والفخار: أمتان ضعيفتان تملكهما امرأتان باليمن والشام. والحجر هو دين نبى، وملكه أبدى إلى آخر الزمان، يغلب الأمم كلها، ثم يعظم حتى يملأ الأرض كلها، كما ملأها ذلك الحجر».(٣٠٨)

قلـت:

ولا يصح لك يا أيها المخدوع أن تدعى: أنه المسيح،فإنه لم يغلب الأمم كلها بل غُلب - بزعمكم - فإنه استضعف فأهين،وصلب، ولم يبعث إلى الأمم كلها عامة، بل إلى قوم بأعيانهم خاصة. وإنما محمد هو الذى غلب كل الأمم. العرب منها، و العجم.على اختلاف أصنافها، وشتى سروبها وأوصافها، فجعل الكل جنسا واحدا، وألزمهم دينا واحدا، وصيّرهم أمة واحدة وجعلهم على اختلاف لغاتهم يتكلمون بلغة واحدة، أعنى إذا قرأوا القرآن. إذ لا يمكن أن ينتقل عن لسان العرب إلى لسان غيرهم. فإن ترجم بلسان آخر فليس ذلك هو القرآن. وإنما هو تفسير القرآن.

●●●

يا أيها الجاهل، الناكث عن الحق العادل. قد كنتَ ذكرت فى كلامك: أن المسلم إن أقام شاهدا من كتب الأنبياء أن فيها محمدا منتظرا. فدينه حق، ودين النصارى باطل. وقد

أقمنا و الحمد لله: الشواهد من كتب الأنبياء الأوائل على الذى طلبتَ، على نحو ما رسمتَ. بل هذه الشواهد فى دلالتها على نبوة محمد،أوضح وأفصح مما استدللت أنت بها على نبوة المسيح. وقد وكلتَ العاقل المنصف للنظر فى أى الدلالات أبين وأوضح؟ أدلالتنا، أم دلالتكم ؟ وعند الوصول إلى هذا القدر، والوقوف على تلك الشواهد الغر. تتبين أن دين النصارى واليهود باطل، وأنهم إما معاند وإما جاهل.

ولقد جاء فى كتاب إشعياء النبى من نعوته وأوصافه، وذكر مكة بلده، وحج الناس إليها ما لا يبقى معه ريب ولا إشكال.

فمن ذلك. قال حاكيا عن الله تعالى«سأبعث قوما فيأتون من المشرق أفواجا كالصعيد كثرة، ومثل الطيّان الذى يدوس برجليه».(١١٤)

ومن ذلك أنه قال:«أبشرى واهتزى يا أيتها العاقر التى لم تلد. وانطقى بالتسبيح، وافرحى أن لم تحبلى. فإن أهلك سيكونون أكثر من أهلى».(١١٥)

هذه من الله مخاطبة لمكة، على ما يقتضيه مساق كلامه. ثم شبهها بالعاقر من النساء، التى لم تلد من حيث أن مكة لم يبعث منها نبى من بعد إسماعيل إلا محمدا ﷺ ولا يجوز أن يكون العاقر بيت المقدس. لأنها كانت مقر الأنبياء. وقوله «فإن أهلك سيكونون أكثر من أهلى» يعنى بأهله بيت المقدس.

وفى نفس النص: أنه قال حاكيا عن الله: «كما قد أقسمتُ بنفسى كقسمى أيام الطوفان أن لا أغرق الأرض بالطوفان. كذلك أقسمتُ ألا أسخط عليك، ولا أرفضك. فإن الجبال تزول، والقلاع تنحط، ورحمتى عليك لا تزول».

ثم قال فى النص نفسه: «يا مسكينة يا مضطهدة. ها أنذا بان بالجصّ حجارتك، ومزينك بالجواهر، ومكلل باللؤلؤ سقفك. وبالزبرجد أبوابك. وتبعدين من الظلم فلا تخافى، ومن الضعف فلا تضعفى. وكل سلاح يعمله صانع لا يعمل فيك، وكل لسان ذلق يقوم معك بالخصومة تفلجين . ويسميك الله اسما جديدا» وكذلك كان اسمها الكعبة فسماها الله المسجد الحرام. وكذلك قوله «بالخصومة تفلجين» إنما هو إشارة إلى كتاب الله الذى جاء به محمد رسول الله الذى أفحم كل خصم وأسكت.

وفى صحف إشعياء أيضا: «فقومى واشرفى. فإنه قد ورى زندك،ووقار الله عليك... انظرى بنيك حولك فإنهم مجتمعون. يأتيك بنوك وبناتك على الأيدى، فحينئذ تنظرين وتزهرين ويخفق قلبك ويتسع، وكل غنم قيدار تجتمع إليك وسادات نبايوت يخدمونك... وتفتح أبوابك الليل والنهار فلا تغلق، ويتخذونك قبلة... وتدعين بعد ذلك مدينة الرب» (١١٦)

فها هو عليه السلام قد وصف مكة بأوصافها التى لا تصح أن توجد فى غيرها.

ومن أبين ذلك وأدله: قوله «وكل غنم قيدار تجتمع إليك، وسادات نبايوت يخدمونك» وقيدار، ونبايوت، ولدا إسماعيل. وأغنامهم هى التى تساق إلى مكة هديا، وهم أهل مكة، وخدام البيت. وليس بعد هذا بيان. وكذلك قوله «ويتخذونك قبلة» وهذا بشارة بالنبى عليه الصلاة و السلام. فإنها لم تتخذ قبلة إلا على عهده ﷺ.

وقول إشعياء هذا فى بعض التراجم هكذا: «ارفعى إلى ما حولك بصرك فستبتهجين، وتفرحين من أجل أنه تميل إليك ثروة البحر ويأتى إليك غنى الأمم، حتى تعمرك، قطار الإبل المؤبلة تضيق أرضك عن القطارات التى تجمع إليك. وتساق إليك كباش مدين، ويسير إليك أهل سبأ، وتسير إليك أعلام قيدار، ويخدمك رجال نبايوت».(١١٧)

فاعتبر هذه الأوصاف البينة، والأعلام المتصلة الظاهرة التى لا توجد فى بلد إلا فى مكة، ولا يصح شىء منها أن يوجد فى بيت المقدس ولا فى غيرها.

وقال أيضا عن الله(١١٨) :«أعطى البادية كرامات لبنان، وبهاء جبل الكرمل» فالبادية: مكة. ولبنان: الشام وبيت المقدس.

وقال على إثر ذلك: «وتشق فى البادية مياه، وسواق فى أرض الفلاة. وتكون الفيافى والأماكن العطاش ينابيع. وتصير هناك محجة، وطريق الحرم. لا تمر به أنجاس الأمم، والجاهل لا يضل هناك، ولا يكون به سباع، ولا أسد. ويكون هناك ممر المخلصين».

وقال عن الله:«ها أنذا مؤسس بصهيون، وهو بيت الله حجرا مقره فى زاوية مكة. فمن كان مؤمنا فلا يتعجل».

وهذا إخبار منه عن الحجر المقدس الأسود، الذى فى الركن اليمانى. وهو الحجر الذى أنزله الله من الجنة، وكان أبيض فاسود ؛ لأجل خطايا بنى آدم. و«صهيون» الجبل بلسانهم.

فهذه دلائل واضحة، وشواهد راجحة، لا يعدل عنها إلا من حُرم التوفيق، فاستدبر الطريق، ولا يتدبرها ويتفهم معانيها إلا من رافقه التوفيق، وساعده الفهم والتحقيق.

فهذا ما رأينا. أن نثبته هنا من شواهد نبوته ﷺ من الكتب المتقدمة. وفيها من الشواهد ما هو أكثر من هذا. ومن وقف بفهم على ما فى تلك الكتب ؛ قضى من عناد المخالفين العجب.

■■■

الهوامش..

(١) الأولى بكسر الباء، والثانية بفتحها.

(٢) فى القرآن: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا﴾ فالكلام وجها لوجه ممتنع. وفى سفر العدد نفس المعنى ١٢:٦ ـ ٨.

(٣) إبراهيم : ١١.

(٤) الكهف : ١١٠.

(٥) المشافهة ممتنعة. ففى سفر العدد: «إن كان منكم نبى للرب ؛ فبالرؤيا أستعلن له. فى الحلم أكلمه..» [عدد ١٢:٦ ـ ٨].

(٦) هذا قد اقتبسه المؤلف من كتاب «العقيدة النظامية» للجوينى عبد الملك إمام الحرمين.

(٧) سيذكر المؤلف من سفر أعمال الرسل باختصار. وسيذكر عبارات ليست فيه بعض معانيها فى رسائل بولس، والبعض حكاية حال.

(٨) أول خطبة لبطرس بعد رفع المسيح كان العدد مائة وعشرين[أع١:١٥] وفى نهاية الخطبة انضم إليهم نحو ثلاثة آلاف (أع٢:٤١] وبعد قليل صار العدد خمسة آلاف (أع ٤:٤].

(٩) فى الأصحاح الثالث عشر من رسالة بولس إلى تيموثاوس : «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى : الله ظهر فى الجسد».

(١٠) رأى هذا البعض هو رأى البعض الذين قالوا : صدقت.

(١١) هم فى عصرنا هذا يسمون «الأرثوذكس».

(١٢) نسطور قال : عيسى إنسان وإله.

(١٣) هم فى عصرنا هذا يسمون «الكاثوليك».

(١٤) الحديد : ٢٧.

(١٥) يعنى ـ والله أعلم ـ ابتداعهم الرهبانية،وهى منصوص عليها فى التوراة التى جاء المسيح مصدقا لها على ما هم عليه. واسمها فى التوراة : «النذر» والمعمدان والمسيح ومريم كانوا من المنذورين أما الرهبانية التى عليها النصارى من بعد مجمع نيقية ؛ فهى مبتدعة .

(١٦) الصف : ١٤.

(١٧) هذا يعنى أن رفع المسيح كان فى سنة ثمانين من الميلاد لأن قسطنطين اعترف بالنصرانية سنة ثلاثمائة وثلاثة عشر من الميلاد وكان مجمع نيقية سنة خمس وعشرين وثلاثمائة من الميلاد.

(١٨) الختان فى اليهودية علامة الجهاد . والنصارى جعلوا المعمودية مكانه.

(١٩) فى الأصل : الانه.

(٢٠) السبب الحقيقى لتحريف النصرانية هو : أن أهل الروم كانوا يحتلون بلاد اليهود. وكان اليهود يزعمون لهم : أن نبيا منهم سيظهر، ومع ظهوره لن يمسوهم بأدنى أذى.ولما ظهر عيسى عليه السلام وضح لليهود ولأهل الروم أن النبى الذى سيظهر سيكون من العرب بنى إسماعيل. وأنه سيحارب أهل الروم وسيطردهم من فلسطين، فاغتاظ اليهود منه لأنه تحدث على غير مرادهم فى النبى المنتظر، واغتاظ الروم منه لأنه أخبرهم بقرب زوال مملكتهم. فلذلك تحالف اليهود والروم على القضاء على المسيح عيسى وأتباعه. فاضطهدهم الروم اضطهادا شديدا. ونفث علماء اليهود سمومهم فى المسيح وأمه. واقتبسوا عقائد الرومان وعاداتهم، وضللوا بالعقائد و العادات فى شأن المسيح وأمه، فجعلوا مملكة الروم أحزابا وشيعا،ولما اختل نظامهم، وتعب النصارى من الاضطهاد،وظهر فى نفوس الناس ميل إلى المسالمة، ورضى النصارى بالمصالحة مع الروم، ورضى الروم بالمصالحة مع النصارى، اتفق الطرفان على صوغ العقائد النصرانية على مثال عقائد الروم، وعلى أن لا يقول النصارى إن النبى المنتظر سوف يأتى من العرب ويقضى على مملكة الروم، ومن أجل ذلك طبق النصارى كل نبوءات التوراة عن النبى المنتظر على المسيح عيسى عليه السلام، وجعلوه خاتم النبين.

(٢١) سفر أعمال الرسل ٩ .

(٢٢) اقرأ كتاب : السنكسار .

(٢٣) فى التراجم الحديثة : ولحق بالجليل.

(٢٤) الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا ـ الآية ٤٤.

(٢٥) إنجيل لوقا : ٤ : ٢٤.

(٢٦) إنجيل مرقس الأصحاح العاشر ـ الآية السابعة عشرة، وما بعدها.

(٢٧) الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا ـ الآية الأولى وما بعدها.

(٢٨) متى ٢٣ : ٩ـ ١٠ ونص العبارة : «لا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات.الخ».

(٢٩) المسيح بلغتهم : هو محمد ﷺ.

(٣٠) إنجيل لوقا الأصحاح السابع.

(٣١) إنجيل يوحنا ٥ : ٣٠.

(٣٢) الأصحاح الثامن من إنجيل يوحنا.

(٣٣) الأصحاح الثامن من إنجيل يوحنا.

(٣٤) يوحنا ١٠ : ٢٤.

(٣٥) جلجال فى التراجم الحديثة : الجليل . والنص فى الأصحاح السابع من إنجيل يوحنا.

(٣٦) الأصحاح الثانى والأربعون من سفر أشعياء الآية الأولى والنص فى محمد كما قال المؤلف فيما بعد.

(٣٧) النص فى سفر عاموس : «هكذا قال الرب من أجل ذنوب إسرائيل الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه؛ لأنهم باعوا البارّ بالفضة، والبائس لأجل نعلين...الخ» [عا ٢ : ٦].

هل البار هو عيسى عليه السلام ؟ وهل باعوه بنعلين ؟ إن هذا النص ليس نبوءة عن عيسى عليه السلام وإنما هو نص فى تعديهم على الناس، وقولهم ليس علينا فى الأميين سبيل.

(٣٨) مرقس ـ الأصحاح الخامس عشر. ويوم الاستعداد فى الإنجيل هو يوم الجمعة. وفيه يستعدون ليوم السبت الذى لا يعملون فيه عملا.

(٣٩) النص فى الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا .

(٤٠) يريد الإيمان بتعاليمه ليحيوا حياة طيبة .وتعاليمه: هى الإيمان بمحمد إذا جاء .

(٤١) متى ١٢ : ٣٨ ـ ٣٩.

(٤٢) الأصحاح الثالث والعشرون من إنجيل لوقا .

(٤٣) باندارا الرومى فى الكتب الحديثة .

(٤٤) بيت المقدس: أورشليم (القدس) الآن .

(٤٥) التوبة: ٤٥.

(٤٦) فى المزمور التاسع والثمانين: «وجدتُ داود عبدى.بدهن قدسى مسحته .الذى تثبت يدى معه .أيضا ذراعى تشدده .لا يُرغمه عدو، وابن الإثم لا يذلله، وإسحق أعداءه أمام وجهه، وأضرب مبغضيه أما أمانتى ورحمى فمعه، وباسمى ينتصب قرنه .وأجعل على البحر يده، وعلى الأنهار يمينه هو يدعونى: أبى أنت إلهى وصخرة خلاصى .أنا أيضا أجعله بكرا أعلى من ملوك الأرض .إلى الدهر لا أحفظ له رحمتى .وعهدى يثبت له .وأجعل إلى الأبد نسله، وكرسيه مثل أيام السموات ...إلخ».

البيان:

ادعى اليهود العبرانيون: أن النبى الآتى على مثال موسى ؛ سيكون من نسل داود عليه السلام وكاتب هذا المزمور يتكلم عن هذا النبى باسم داود .وبعدما فرغ من الكلام عنه قال عن زوال ملك اليهود ونسخ شريعتهم على يد هذا النبى: «لكنك رفضت ورذلت .غضبت على مسيحك» وكل ذلك بأسلوب فيه لف ودوران ولما كانت مهمة النبى الآتى تعليم الناس أنهم بشر، ويجب أن يخضعوا لخالقهم ؛ قال المؤلف : اللهم ابعث جاعل السنة .كى يعلم الناس أنه بشر .

والصحيح: أنهم بشر أو أن الأنسان و المراد الجمع: بشر .والولد المبشر به: هو النبى الأمى الآتى

للعالم والكاتب كتب بأسلوب فيه لف ودوران .وليس ذلك سليمان عليه السلام لأنه يقول:«وأجعل إلى الأبد نسله .وكرسيه مثل أيام السموات» يعنى شريعته .وقد كان سليمان وأبوه على شريعة التوراة.

وعلى هذا الفهم قال المؤلف: إنه جاء فى الإنجيل:«اللهم ابعث البارقليط ؛ ليعلم الناس أن ابن الإنسان بشر» وليس فى الإنجيل هذا .والذى هو فيه:«وأما المعزى .الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى ؛ فهو يعلمكم كل شىء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» [يو ١٤ : ٢٦] وبناء على ذلك لا يكون لعيسى عليه السلام أية نبوءة فى التوراة وفى القرآن الكريم: ﴿ ويسئلونك عن الروح. قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ المراد بالروح: الروح القدس وهو لقب «أحمد» ﷺ يريدون هل أنت الروح من أمر ربى.

ولماذا تأتى بشريعة وشريعة موسى معنا ؟ وأجاب بأن هذا أمر الله .ثم قال لهم: ﴿ وما أوتيتم من العلم﴾ من عيسى ﴿ إلا قليلا ﴾ لأنه سيعلمكم كل شىء.

(٤٧) البيرقليط هى أحمد، والبارقليط تعنى النائب عن عيسى .

(٤٨) التوبة: ٣٠، ٣١.

(٤٩) مريم: ٩٢: ٩٣.

(٥٠) فى القرآن الكريم: ﴿ واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ . ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾.

(٥١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام فى خبر النجاشى هذا .

(٥٢) إبراهيم: ٢٦ .

(٥٣) الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية .الآية الخامسة عشر وما بعدها .

(٥٤) اليهود إلى اليوم يقولون: هذا النبى لم يأت إلى الآن، وإذا أتى سيكون منهم .والنصارى يقولون: هو عيسى .والحق: أنه محمد ﷺ لأن لإسماعيل بَركة .ويطلقون عليه لقب «المَسِيّا» أو «المسيح».

(٥٥) تثنية ٣٤: ١٠.

(٥٦) فى الأصل: أو الروم .ويشير بأدوم إلى سكان الأردن وهم نسل عيسو بن إسحق عليه السلام وعيسو اسمه أدوم [تك ٣٦:٨] .

(٥٧) تكوين ١٦: ١٢.

(٥٨) ترجمتها الحالية:«ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى ؛ تُباد من الشعب» [أعمال ٣:٢٣] وفى التوراة: «ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى :أنا أُطالبه» [تثنية ١٨ : ١٩].

(٥٩) المحاربون لمحمد هم اليهود لا صناديد قريش .وهذا مبين فى كتابنا البداية والنهاية لأمة بنى إسرائيل.وإذا جاء فى القرآن تعبير الذين كفروا فالمراد بهم اليهود .

(٦٠) الرعد: ٣.

(٦١) تثنية ٣٣: ١ ـ ٢.

(٦٢) أدوم هو عيسو .وجبل ساعير أيضا يجاوز القدس [يشوع ١٥] والمراد بالإشراق من ساعير: تفسير علماء بنى إسرائيل للتوراة .

(٦٣) تكوين ٢١ : ٢١

(٦٤) الترجمة السبعينية اليونانية .وفيها عشرة آلاف قديس.

(٦٥) تشير النبوءة إلى عذاب المسلمين للذين لا يسلمون من اليهود .

(٦٦) الأول: بماد ماد (جدا جدا) والثانى: لجوى جدول (شعب عظيم).

(٦٧) تكوين ١٦: ١١ ـ ١٢.

(٦٨) المزمور المئة والتاسع والأربعون .وهو مثل الأمة الإسلامية فى التوراة الذى تشير إليه سورة الفتح .ومثل الأمة الإسلامية فى الإنجيل مذكور فى الأصحاح الرابع من مَرْقس .

(٦٩) المزمور الثانى والسبعون.

(٧٠) بالمعنى فى المزمور ١٣٢ : ١٨ والمزمور ١٣٣.

(٧١) المزمور الخامس والأربعون.

(٧٢) فى الأصل: فإنه جاعل السنة وهو أخبر أن المسيح بشر وليس بإله. هذا هو الأصل. وليس فى النبوءات إشارات وبشارات بعيسى عليه السلام.

(٧٣) بالمعنى، وهو واضح فى المزمور السابع والثلاثين .

(٧٤) يوحنا ١٤: ١٥ ـ ١٨.

(٧٥) يوحنا ١٦: ٧ ـ ١٤.

(٧٦) يوحنا ١٥: ٢٣ ـ ٢٧ و ١٦: ١.

(٧٧) البرقليط ـ بكسر الباء ـ اسم أحمد ـ وبفتح الباء ـ: النائب عن المسيح، ومعنى الرومية: اللغة اليونانية .

(٧٨) يونس: ٣٢ .

(٧٩) آخر الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى .

(٨٠) الإسراء: ٧٢.

(٨١) متى ١١: ١٤ ـ ١٥.

(٨٢) ظن المؤلف ـ ولا شك أنه ينقل عن غيره ـ أن عبارة الإنجيل «إيل»، وتفسيرها الله مثل جبرائيل أى رجل الله، وإسرائيل، أى المجاهد مع الله .ولكن الصحيح: أن الكلمة: إيلياء .ويشير بإيلياء إلى اسم أحمد ﷺ بحساب الجمل .فإن ملاخى فى الأصحاح الأخير من سفره يقول على لسان الله تعالى: «ها أنذا أرسل إليكم إيلياء النبى قبل مجىء يوم الرب» وعيسى عليه السلام ينطق اسم محمد كما نطقه ملاخى .وإيلياء بحساب الجمل يساوى اسم أحمد .فالألف بواحد، والياء بعشرة، واللام بثلاثين، والياء بعشرة، والألف بواحد، والهمزة بواحد .فالمجموع ثلاث وخمسون .والألف من أحمد بواحد والحاء بثمانية والميم بأربعين والدال بأربعة.

(٨٣) يشير بالمبارك إلى محمد ﷺ كما عبر داوود فى المزمور المئة والثامن عشر .

(٨٤) شمعون: بطرس.

(٨٥) الأصحاح الثالث عشر من سفر أعمال الرسل .

(٨٦) لم يفطن المؤلف إلى أن من عادة اليهود والنصارى تلقيب العلماء بلقب الأنبياء، وتلاميذ العلماء بلقب بنى الأنبياء .وقد بينا هذا فى كتابنا: (أقانيم النصارى) وتحقيقنا: لمنظومة الإمام الأبوصيرى فى الرد على النصارى واليهود .

(٨٧) يشير إلى: المبارك الآتى وإلى إيلياء .

(٨٨) يقولون فى المبارك إنه المسيح عيسى فى مجيئه الثانى، ويقولون فى إيلياء هو يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) جاء إلى الدنيا بروح وقوة إلياس عليه السلام .

(٨٩) لم تصح لأنها أخبار آحاد [انظر كتاب الفتاوى للشيخ شلتوت].

(٩٠) لم يقتل عيسى وإنما مات ورفع بروحه درجة لا رفعة جسد .

(٩١) النساء: ١٥٨.

(٩٢) فى سفر حزقيال:أن يأجوج ومأجوج .فى آخر أيام الملك والنبوة فى بنى إسرائيل، وبدء أيام الملك والنبوة فى بنى إسماعيل .يفتح النبى الأمى الآتى من إسماعيل بلادهم ويملك عليها وينشر الإسلام فيها .وهى بلاد فارس .وقد فتحها المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .ففى الأصحاح الثامن والثلاثين من سفر حزقيال:«بعد أيام كثيرة؛تُفتقد .فى السنين الأخيرة...» وفى القرآن الكريم:﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ وقال:﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ وقد تحقق هذا فى بدء الإسلام. فيها .وهى بلاد فارس .وقد فتحها المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .ففى الأصحاح الثامن والثلاثين من سفر حزقيال:«بعد أيام كثيرة؛تُفتقد .فى السنين الأخيرة...» وفى القرآن الكريم:﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ وقال:﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ وقد تحقق هذا فى بدء الإسلام.

(٩٣) فى الأصل: مثلا للدنيا فقال: مثل الدنيا كمثل وهو مثل للأمة الإسلامية يسمى بملكوت الله والهدف منه: نزع الملك ونسخ الشريعة من اليهود .

(٩٤) هذا المثل يسمى «مثل الكرامين الأردياء» وهو من أمثال ملكوت السموات أو ملكوت الله .وهو فى الأصحاح الحادى والعشرين من متى.

(٩٥) الصف: ٨

(٩٦) إشعياء ٤٢: ١١ ـ ١٣

(٩٧) راجع التخرج فى التعليق على تخجيل من حرف الانجيل.

(٩٨) إشعياء: الأصحاح الثانى والأربعون . والترجمة مختلفة كثيرا وسبق للمؤلف تطبيق النبوءة هذه عيسى عليه السلام والحق أنها لمحمد بن عبد الله.

(٩٩) متى ١٥ : ٢٤ وهذا فى بدء دعوته وفى نهايتها قال: «انطلقوا إلى الأمم» (متى ٢٨:١٩) انظر أيضا سيرة ابن هشام والدليل على عمومها :أنها تبشير بمحمد فقط فى جميع البلاد.

(١٠٠) متى ١٠: ٥ ـ ٦ قوله بالضرورة أولا إلى بنى إسرائيل يدل على عالميتها بعد ذلك بالتبشير بمحمد ﷺ.
(١٠١) هذا النص باختلاف فى الترجمة يسير فى الأصحاح الثالث من سفر حبقوق.
(١٠٢) الأنعام: ٢٠ .
(١٠٣) الأصحاح الحادى والعشرون من سفر إشعياء.وراجع تصحيح تفسير النص فى تقديمنا لتخجيل من حرف الإنجيل.
(١٠٤) ليس صاحب الحمار هو المسيح وذلك لأن نبوءة زكريا ـ ٩ تدل بالحمار على تواضع عمر بن الخطاب.
(١٠٥) ومن قبله بشريعة موسى وسنبين هذا فيما بعد .
(١٠٦) توجد مشابهة بين كتاب الإعلام للقرطبى وكتاب مقامع هامات الصلبان ومراتع روضات الإيمان للخزرجى القرطبى المتوفى سنة ٥٨٢ هجرية ومؤلف تحجيل من حرف الإنجيل فى كثير من النصوص.خاصة فى هذا الموضع وكذلك توجد المشابهة فى منظومة الإمام البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود، وكذلك فى هداية الحيارى لابن قيم الجوزية، والجواب الصحيح لابن تيمية .
وتعليق المؤلف بسقوط أوثان بابل من إبراهيم إلى محمد، تعليق باطل، وذلك لأن أهل بابل كانوا يعبدون الله على شريعة التوراة، وقد أرسل الله يونس إلى نينوى ليدعوهم إلى التوبة، والدعوة إلى التوبة تدل على عصيان للشريعة، وجاء فى الكتب أن «ما نى» الفارسى كان يفسر البيرقليط الذى وعد به عيسى أتباعه برسول يأتى من بعده هو أحمد، والنص الذى ذكره المؤلف ليس هو النبوءة.
المشيرة إلى محمد ﷺ والمشير هو قوله فى نفس الأصحاح: «وحى من جهة بلاد العرب فى الوعر فى بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين هاتوا ماء لملاقاة العطشان. يا سكان أرض تيماء. وافوا الهارب بخبزه ؛ فإنهم من أمام السيوف قد هربوا . من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة، ومن أمام شدة الحرب، فإنه هكذا قال لى السيد: فى مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار، وبقية عدد قسى أبطال بنى قيدار ؛ تقل ؛ لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم» [إش ٢١ : ١٣ ـ ١٧]
(١٠٧) الأصحاح الخامس والثلاثون من سفر إشعياء.
(١٠٨) الأصحاح الثانى والأربعون من إشعياء من الآية التاسعة .
(١٠٩) النص من الأصحاح الثالث من سفر حبقوق بالمعنى والمؤلف وضع أحمد بدل مسيحك.والمسيح ـ بلسانهم ـ هو محمد صلى الله عليه وسلم.
(١١٠) حزقيال الأصحاح التاسع عشر.
(١١١) مثل لبنى إسرائيل على الأرض،وتعليل المؤلف لنبوءة حزقيال موجود فى الكتب التى نقلت هذه النبوءة لمحمد ﷺ وهذا يدل على أنهم جميعا ينقلون عن واحد، أعتقد أنه مؤلف مقامع هامات الصلبان، والتعليل باطل، وذلك لأن حزقيال يتكلم عن رفض الله لليهود من السير أمامه، ويشبههم

بكرمة غُرست ثم اجتثت من فوق الأرض وكان الغرس فى فلاة من الأرض وذلك قوله فى أول النص: «أما أنت فارفع مرثاة على رؤساء إسرائيل وقل: ما هى أُمُّكَ ؟» إلى أن قال: «أمك ككرمة مثلكَ غُرست على المياه ...لكنها اقتلعت بغيظ ...والآن غُرست فى القفر وخرجت نار من فرع عصيها أكلت ثمرها» يريد أن يقول: إنه من بعد هلاك اليهود سيعطى الله الملكوت لأمة أخرى ولا يشتبه إلا فى أمة بنى إسماعيل ؛ لأن له بركة.

التَّطابق بين نُبُوءات التَّوراة والإنجيل عن محمد صلى الله عليه وسلم :

أيَّةُ نبوءة فى الإنجيل عن محمد ﷺ لا تنطبق عليه إلا إذا كان معها أصلها من التوراة. وأية نبوءة فى الإنجيل معها أصلها من التوراة لا تنطبق عليه إلا إذا كان معها نص التوراة عن بركة إسماعيل عليه السلام التى تدل على ملك لنسله فى الأمم بشريعة من الله. فنص البركة أولا، ومن بعده نص نبوءة التوراة، ومن بعدهما نص نبوءة الإنجيل، وإذا لم تذكر الثلاثة معا ؛ فإن دلالة أية نبوءة من غير الأسفار الخمسة لا تكون ملزمة بل إن أية نبوءة من الأسفار الخمسة لا تلزم بمفردها. إلا إذا جعلتهم جميعا نبوءة واحدة على هيئة التفسير الموضوعى ويتضح ذلك بهذا المثال:

أولاً : نص الإنجيل :

«كان إنسان رب بيت غرس كرما، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة، وبنى برجا، وسلمه إلى كرامين، وسافر، ولما قرب وقت الأثمار، أرسل عبيده إلى الكرامين ؛ ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضا، وقتلوا بعضا، ورجموا بعضا. ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك، فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا: يهابون ابنى، وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا، ويسلّم الكرم إلى كرامين آخرين، يعطونه الأثمار فى أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط فى الكتب: «الحجر الذى رفضه البناءون، هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا» لذلك أقول لكم: «إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويُعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضضُ، ومن سقط هو عليه ؛ يسحقه» [متى ٢١: ٣٣ ـ ٤٤].

البيان :

هذا النص من الإنجيل نبوءة عن محمد ﷺ فهل يقدر أحد أن يلزم بهذا النص وحده ؟ لا يقدر أن يلزم بهذا النص وحده، وإنما يقدر أن يلزم به إذا ذكر أصله من التوراة. وهو أ ـ نبوءة المزمور. ١١٨ ب ـ ونبوءة ابن الإنسان فى دانيال ٧ وإذا رده إلى أصله ؛ لا يقدر به وبالأصل أن يلزم إلا إذا أظهر من التوراة النص على بركة إسماعيل فى تك ١٧: ٢٠.

وهذا هو البيان :

إنه إذا عمل الناس بشريعة أنزلها الله عليهم فإنه يُطلق على جميع العاملين بها ؛ أنهم يعيشون فى ملكوت الله. فى مقابل المخالفين للشريعة ؛ الذين يطلق عليهم أنهم يعيشون فى ملكوت الشيطان.

والعلماء القائمون على هذه الشريعة لتبليغها للناس ؛ يطلق عليهم أصحاب ملكوت الله. أو ملكوت السموات.

وعلى هذا كان الناس فى عهد شريعة التوراة يعيشون فى «ملكوت الله» أو فى «ملكوت الشيطان» وعلماء بنى إسرائيل كانوا هم أصحاب «ملكوت الله» يدعون إليه ويرغّبون فيه، ويفتحون البلاد من أجله ويبنون المساجد، ويفسرون كلام التوراة فيها، ويقولون للناس حُسنا، وعلى طول الزمان قست قلوبهم، وتخلّوا عن الدعوة، وأهملوا الشريعة وحرفوها، ولذلك أرسل الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ليبين لهم: أن ملكوت الله سينزع منهم بالقوة الحربية، ويعطى لأمة أخرى. ذلك قوله فى هذا المثل لعلماء بنى إسرائيل: «إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويُعطى لأُمَّة تعمل أثمارَهُ».

فمن هى هذه الأمة التى ستتسلم الملكوت من بنى إسرائيل ؟

هذا هو السؤال، وقد أجاب المسيح عليه فى نفس المثل. وهو أن هذه الأُمّة أمة بنى إسماعيل واستدل على كلامه بنبوءة الزبور المائة والثامنة عشرة. ومن ذلك يُعلم: أن نبوءة الإنجيل لا تُلزم بمفردها، وإنما تلزم إذا كان معها أصلها من التوراة.

والدليل الذى استدل به المسيح هو المزمور ١١٨ ونصه:

«احمدوا الرب ؛ لأنه صالح. لأن إلى الأبد رحمته. ليقل إسرائيل: إن إلى الأبد رحمته ليقل بيت هرون: إن إلى الأبد رحمته ليقل متقو الرب: إن إلى الأبد رحمته من الضيق دعوت الرب ؛ فأجابنى من الرحب. الرب لى ؛ فلا أخاف. ماذا يصنع بى الإنسان ؟ الرب لى بين مُعينيَّ، وأنا سأرى بأعدائى. الاحتماء بالرب خير من التوكل على الإنسان، الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء. كل الأمم أحاطوا بى. باسم الرب أبيدهم، أحاطوا بى واكتنفونى. باسم الرب أبيدهم أحاطوا بى مثل النحل. انطفأوا كنار الشوك باسم الرب أبيدهم. دحرتنى دحورا ؛ لأسقط أما الرب فعضدنى. قوتى وترنمى الرب، وقد صار لى خلاصا. صوت ترنم وخلاص فى خيام الصديقين، يمين الرب صانعة ببأس. يمين الرب مرتفعة. يمين الرب صانعة ببأس. لا أموت بل أحيا، وأحدث بأعمال الرب. تأديباً أدبنى الرب وإلى الموت لم يُسلمنى.

افتحوا لى أبواب البر، أدخلْ فيها وأحمد الرب، هذا الباب للرب الصديقون يدخلون فيه، أحمدك ؛ لأنك استجبت لى وصرت لى خلاصا. الحجر الذى رفضه البناءون ؛ قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب فى أعيننا.

هذا هو اليوم الذى صنعه الرب،نبتهج ونفرح فيه. آه يا رب خلّص.آه يا رب أنقذ مبارك الآتى باسم الرب. باركناكم من بيت الرب.الرب هو الله وقد أنار لنا، أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح.إلهى أنت فأحمدك.إلهى فأرْفعُك،احمدوا الرب لأنه صالح؛ لأن إلى الأبد رحمته»[مز ١١٨].

البيان :

إن النبى الآتى من إسماعيل عليه السلام يقول عن نفسه: إن الأمم ستحاربنى، ولكننى سأنتصر عليهم «كل الأمم أحاطوا بى. باسم الرب أبيدهم» وإننى سأموت على فراشى موتا عاديا، ولن أقتل فى

الحرب «وإلى الموت لم يسلمنى» وقال هذا النبى لليهود: إن هاجر جارية سارة محتقرة فى أعينكم، ولسوف يأتى اليوم الذى يكون لنسلها ملك على الأمم، وشبهها بالحجر المرفوض من البناءين. الذى سيأتى اليوم الذى يضطر البناءون إليه، وأشار بقوله: «أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح» إلى انتهاء الطقوس الدينية اليهودية وإلى نسخ الشريعة؛ لأن شريعة غيرها ستحل محلها. وأوصاف هذه النبوءة لا تنطبق على عيسى عايه السلام كما يقول النصارى، وذلك لأنه لم يحارب ولم ينتصر، ولأنهم قالوا: إنه قُتَل وصلب، ولأنه لم ينسخ شريعة التوراة.

افتحوا لى أبواب البر، أدخلّ فيها وأحمد الرب، هذا الباب للرب الصديقون يدخلون فيه، أحمدك ؛ لأنك استجبت لى وصرت لى خلاصا. الحجر الذى رفضه البناءون ؛ قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب فى أعيننا.

هذا هو اليوم الذى صنعه الرب،نبتهج ونفرح فيه. آه يا رب خلّص.آه يا رب أنقذ.مبارك !الآتى باسم الرب. باركناكم من بيت الرب.الرب هو الله.وقد أنار لنا، أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح.إلهى أنت فأحمدك.إلهى فأرْفَعُك،احمدوا الرب لأنه صالح؛ لأن إلى الأبد رحمته»[مز ١١٨].

البيان :

وما هو الدليل على أن نسل هاجر هو المراد من هذه النبوءة ؟ نرجع إلى الأسفار الخمسة فى بركة إسماعيل. نجد:

١ ـ أن هاجر مُبشرة من الملاك بنسل يملك على الأمم والشعوب، وذلك فى الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين «وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك؛ فلا يعدّ من الكثرة، وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبُلى ؛ فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل ؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنسانا وحشيا، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه...».

٢ ـ وأن هاجر مبشرة من الملاك بأمة عظيمة فى نسلها، وذلك فى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين: «وقال لها: مالك يا هاجر. لا تخافى. لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى احملى الغلام، وشدّى يدك به ؛ لأنى سأجعله أمة عظيمة ...».

٣ ـ وأن الله قد استجاب دعاء إبراهيم فى إسماعيل، وذلك فى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين: «وأما إسماعيل، فقد سمعتُ لك فيه، ها أنا اباركه...».

ومن ذلك يعلم: أن نبوءة الإنجيل لا تلزم إلاّ مع نبوءة التوراة التى هى مبنية عليها، وأن الاثنتين معا لا يلزمان إلا مع بركة إسماعيل عليه السلام.

ولماذا عبر المسيح بتعبير ملكوت الله ؟ إنه أخذ هذا التعبير من التوراة من سفر دانيال. عن زمن ظهور محمد ﷺ وذلك لأن دانيال رأى فى حلم ليل: أن أربع ممالك وثنية؛ ستملك على أرض فلسطين. وسيأتى «ابن الإنسان» فيزيل المملكة الرابعة ويؤسس لله تعالى «ملكوتا» على الأرض، ولذلك لما ابتدأ المسيح دعوته، ابتدأ بقوله لبنى إسرائيل: «توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤ : ١٧] الذى

أنبأ عنه دانيال وعلّم الحواريين أن يصلوا لله قائلين: «ليأت ملكوتك» [متى ٦: ١٠] وأوصاهم بالكَرَازة فى مدن بنى إسرائيل بقولهم: «اكْرِزُوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ١٠: ٧] «وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلّم فى مجامعها ويكرِز ببشارة الملكوت» [متى ٩: ٣٥].

«قدم لهم مثلا آخر قائلا: يشبه ملكوت السموات حبة خردل. أخذها إنسان وزرعها فى حقله،وهى أصغر جميع البذور، ولكن متى نمت ؛ فهى أكبر البقول، وتصير شجرة، حتى إن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها» [متى ١٣: ٣١ - ٣٢].

وهذا هو مثل الأمة الإسلامية فى الإنجيل، وفى حديث المسيح عن خراب أورشليم على يد المسلمين ضرب مثل العذارى العشر وصدّره بقوله: «حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى» [متى ٢٥: ١ +] والغرض منه: الاستعداد للدخول فى الملكوت.

وربط حديثه عن خراب أورشليم بحديث دانيال عنه فى الأصحاح التاسع. فقال: «فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس...» [متى ٢٤: ١٥ +].

وكل ذلك يدل على أن لملكوت السموات أصل فى التوراة. فما هو النص عن الملكوت فى التوراة؟ فى الأصحاح السابع من دانيال يتنبأ عن:

١ - مملكة بابل. ٢ - وفارس ٣ - واليونان ٤ - والرومان ٥ - وابن الإنسان. الذى سيؤسس لله «ملكوتا» بعد زوال الرومان، وقد احتل الرومان فلسطين فى سنة ٦٣ قبل ميلاد المسيح، فمن هو الذى أزال الرومان من فلسطين ؟ هذا هو السؤال المطلوب إجابته من اليهود والنصارى، وذلك لأن المسيح لم يزل الروم من فلسطين وقال: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» [مرقس ١٢: ١٧] واستمر الروم فى فلسطين إلى أن أجلاهم عنها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة ٦٣٨ ميلادية. فمن هو صاحب الملكوت ؟ إنه هو محمد رسول الله ﷺ.

وهذا هو النص على أصل الملكوت من دانيال:

«فى السنة الأولى لبيلشاصّر ملك بابل. رأى دانيال حلما، ورؤى رأسه على فراشه. حينئذ كتب الحلم، وأخبر برأس الكلام، أجاب دانيال وقال: كنتُ أرى فى رؤياى ليلا، وإذا بأربع رياح السماء ؛ هجمت على البحر الكبير، وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة، هذا مخالف ذاك.

السماء ؛ هجمت على البحر الكبير.

الأول كالأسد، وله جناحا نَسرٍ، وكنتُ أنظر حتى انتتف جناحاه، وانتصب عن الأرض، وأوقف على رجلين كإنسان وأعطى قلب إنسان.

وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدّب. فارتفع على جنب واحد، وفى فمه ثلاث أضلع بين أسنانه، فقالوا له هكذا: قم كل لحما كثيرا.

وإذا بآخر مثل النمر، وله على ظهره أربعة أجنحة طائر، وكان للحيوان أربعة رءوس، وأعطى سلطانا.

بعد هذا كنتُ أرى فى رؤى الليل، وإذا بحيوان رابع هائل وقوى وشديد جدا، وله أسنان من حديد كبيرة، أكل وسحق وداس الباقى برجليه، وكان مخالفا لكل الحيوانات الذين قبله، وله عشرة قرون،

كنتُ متأملا بالقرون وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها، وقُلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه، وإذا بعيون كعيون الإنسان فى هذا القرن، وفم متكلم بعظائم. كنتُ أرى أنه وُضعت عروش، وجلس القديم الأيام لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقى، وعرشُه لهيب نار، وبكراته متقدة، نهر نار جرى وخرج من قدامه، ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس الدين وفُتحت الأسفار، كنتُ أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التى تكلم بها القرن. كنتُ أرى إلى أن قُتل الحيوان، وهلك جسمه، ودُفع لوقيد النار. أما باقى الحيوانات، فنُزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت.

كنتُ أرى فى رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام ؛ فقربوه قدامه ؛ فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض...» [دا ٧ : ١ +].

البيان:

فى هذه النبوءة خمسة ممالك، والمملكة الأخيرة مملكة إلهية. فمن هو صاحبها ؟ وقد تطابقت هذه النبوءة مع نبوءة الإنجيل ونبوءة الزبور وبركة إسماعيل ومع القرآن الكريم فى بدء سورة الروم.

ومن ذلك يُعلم: أن نبوءات الأناجيل لا تكون واضحة على محمد ﷺ إلا إذا ردّت إلى أصلها فى التوراة، ورد الأصل والمبنى عليه فى الإنجيل إلى بركة إسماعيل «عليه السلام».

ولم يفطن القدامى والمعاصرون من المسلمين الذين كتبوا فى علم مقارنة الأديان، إلى طريقة ربط النبوءات هذه التى أوضحناها بالنصوص عن ملكوت السموات، ويُظهر عدم تفطنهم: هذا النص الذى أذكره من مقامع هامات الصلبان، ومراتع روضات الإيمان، يقول المؤلف: «وفى الإنجيل الذى بأيديكم عن المسيح: أنه ضرب مثلا للدنيا. كمثل رجل اغترس كرما وسيّج حوله، وجعل فيه معصرة وشيّد فيه قصرا ووكّل أعوانا وتغرّب فلما دنا أوان قطافه ؛ بعث عبيده إلى أعوانه المكلفين» ضرب المسيح مثلا للأنبياء، ثم لنفسه فى كلام كثير، ثم لمحمد ﷺ وجعله الموكل آخرا بالكرم، وأفصح عن أمة محمد ﷺ فقال: إنه سيُزاح عنكم ملك الله، ويعطى الأمة المطيعة العاملة، ثم ضرب مثلا صخرة، وقال: من سقط على هذه الصخرة، سينكسر. ومن سقطت عليه؛ يتهشم. يريد بذلك: محمدا ﷺ، ومن ناوأه وحاربه ؛ أظهره الله عليه» [انتهى بنصه].

هذا هو كلام المؤلف بنصه، وقال محقق هذا الكتاب: «رجعنا فى تصحيح أخطاء هذا النص إلى الإنجيل» ولم يزد على هذا القول.

ونقل مؤلف هداية الحيارى: هذه النبوءة من مقامع هامات الصلبان فقال: «قول المسيح فى الإنجيل الذى بأيديهم، وقد ضرب مثل الدنيا فقال: «كمثل رجل اغترس كرما، وسيّج حوله...»

وقال المؤلف: «وهذه صفة محمد، ومن ناوأه وحاربه من الناس ؛ لا ينطبق على أحد بعد المسيح سواه» والصواب هو قول الناقل عنه وهو: «ومن ناوأه وحاربه ؛ أظهره الله عليه».

ومع هذا نسأل: هل كل ما كتباه هذان المؤلفان فى نبوءة الإنجيل هذه صحيح ومُلزم ؟ من المؤكد: أنه غير صحيح وغير ملزم. أما أنه غير صحيح ؛ فلقولهما: إنه مثل للدنيا، وما هو بمثل للدنيا وإنما هو مثل لملكوت السموات، وأما أنه غير ملزم ؛ فلعدم ذكر أصل النبوءة من التوراة.

(١١٢) لا يوجد صراحة.

(١١٣) فى المخطوطة: بخت نصر.

(١١٤) الأصحاح الثانى من سفر دانيال.

(١١٥) الأصحاح الرابع والخمسون من إشعياء.

(١١٦) الأصحاح الستون من إشعياء.

(١١٧) الأصحاح الخامس والثلاثون من سفر إشعياء.

(١١٨) راجع تخجيل من حرف الإنجيل.

ملحـــق

النبـوءات الـتى ذكرها المؤلف من التـوراة والإنجيل: هـى فى النسخ المتـداولة إلى هذا اليوم. وهى نبـوءات عن النبـى الأمى.. على مثـال مـوسـى عليـه السـلام وهو مـحـمـد ﷺ. ولكن المؤلف لـم يذكـر نص أية نبـوءة كـامـلا، ولم يربطه بما قـبله، ولا بكل نصـوص النبوءات. ولذلك لم يُحسن توجيه أية نبوءة على وجهها. ولم يكثر من ذكر النصوص كما ذكر غيره من الذين نقل عنهم. وأعتقد أنه نقل عن «مقامع هامات الصلبان» للقرطبى.

وقـد نـشط العلمـاء فى هـذا العـصـر نشـاطا زائداً عن الحـد فى تحـقـيق الـكتب المشابهـة لكتاب «الإعـلام» هذا. وقـد حـققتُ أنا كثيـراً منهـا. وهو نشـاط ليس منه من فـائدة. والسـبب فى ذلك: أن الذين اشـتـهـروا بالتـحـقـيق ؛ كان يجب عليـهم أن يتـعلمـوا اليهودية والنصرانية مدة قبل أن يحققوا. لأنه ما هـى الفائدة من ضبط كلمات وجمل. هـى مكررة فى كتب كثـيرة ؟ ومثـال ذلـك: قـصـة الراهـب بحـيـرا، وإسـلام عبـد الله بن سـلام، واعـتـراف سـلمـان الفـارسى، وقـصـة النجـاشى. كل ذلك مكرر فى كـتـاب هـداية الحـيـارى والبـداية والنهـاية... الخ. ونبـوءة البـارقليط و النبى الأمى كل ذلـك مكرر. والمعجزات الحسية، وانقطاع تواتر التوراة. كل ذلك مكرر. والخطأ الذى يقع فيه الأول يقع فيه الكل. فـأى فـائدة من التـحـقـيق. والمحـقق لا يدرى إن كـان المؤلف الأول الذى نقل عنـه يهوديا أو نصـرانيـاً أو مسـلمـاً ؟ ومن المعلوم للناس جمـيـعـا: أن المسلمـين لم يدرّسوا كـتب التوراة والإنجيل فى المسـاجد، ولم يؤسـسـوا لهـا مـدارس، ولم يقرروا هـذه الكتب ضمن الكتب الإسلامية التى يدرسونها. فكيف عرفوا ما فيها؟

ومؤلف الإعلام، كغيره نقل عن غيره المعنى وضده. ومثال ذلك:

قال: إن من نبوءات التوراة عن محمد ﷺ: «عبدى الذى سُرّت به نفسى. أُنزل عليه الوحى ؛ فيظهر فى الأمم عدلى. يُوصى الأمم بالوصايا. لا يضحك، ولايُسمع صوته فى الأسواق. يفتح العيون العور...» إلخ [إشعياء ٤٢].

وقال أيضا: «وقد تقدم من كلام إشعياء أن الله تعالى قال فى المسيح:«هذا غلامى المصطفى، وحبيبى الذى ارتضت به نفسى» أى أنه طبق النص على المسيح عيسى عليه السلام.وطبقه على محمد ﷺ فى كتاب ـ تماما كما فى تخجيل من حرف الإنجيل ـ وهذا يدل على أنه ينقل عن غيره.

وقال مؤلف هداية الحيارى: إن قول إشعياء هذا هو لمحمد ﷺ. وقال فى الوجه الثالث والعشرين:«قوله فى كتاب إشعياء أيضا: «عبدى وخيرتى ورضا نفسى ؛ أُفيض عليه روحى» أو قال:«أنزل عليه روحى»... إلخ.

وكرره فى الوجه التاسع والعشرين على أنه نبوءة مستقلة.

وقد شغلت نفسى بهذه الموضوعات. وكلما أعاود القراءة يتبين لى ما لم يتبين لى من قبل. فأستحى أن يكون عملى فى موضوع ما ناقصا. فأعاود كتابة الموضوع على نحو الكمال. وإذا تصادف ظهور كتاب جديد فيه شىء نافع ؛ أحتفظ بالجديد إلى اليوم الذى أحتاجه فيه. وإلى يومنا هذا يظهر لى مالم يظهر من قبل. مع أنى سئمت من الكتابة فيه. فهل حدث هذا مع القدماء ؟

ويتضح هذا مما كتبتُه فى الرد المباشر على القسيس، ويتضح أيضا من هذه النبوءة وهى:

نبوءة إشراق مجد الرب
فى سفر إشعياء

«قومى استنيرى ؛ لأنه قد جاء نورُك، ومجدُ الرب أشرق عليك ؛ لأنه هاهى الظلمة تُغطى الأرض، والظلامُ الدامس الأُمم. أما عليك فيشرق الرب، ومجده عليك يُرَى ؛ فتسير الأمم فى نورك، والملوك فى ضياء إشراقك.

ارفعى عينيك حواليك، وانظرى. قد اجتمعوا كلهم. جاءوا إليك. يأتى بنوك من بعيد. وتحمل بناتك على الأيدى. حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك، ويتسع ؛ لأنه تتحول إليك ثروة البحر، ويأتى اليك غنى الأمم. تُغطيك كثرة الجمال. بُكران مديان، وعيفة. كلها تأتى من شبا. تحملُ ذهبا ولُبانا، وتبشّر بتسابيح الرب. كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك. تصعد مقبولة على مذبحى. وأُزين بيت جَمالى.

من هم الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها. إن الجزائر تنتظرنى، وسُفن تَرْشيش فى الأول ؛ لتأتى ببنيك من بعيد. وفضّتُهم وذهبهم معهم. لاسم الرب إلهك، وقدوس إسرائيل ؛ لأنه قد مَجّدك.

وبنو الغريب يبنون أسوارك. وملوكهم يخدمونك ؛ لأنى بغضبى ضربتك، وبرُضْوانى رحمتك. وتنفتح أبوابك دائماً. نهاراً وليلاً ؛ لا تُغلق. ليؤتى إليك بغنى الأمم، وتُقاد ملوكهم ؛ لأن الأمة والمملكة التى لا تخدمك؛ تبيدُ. وخرابا تُخرب الأمم. مجدُ لُبنان إليكِ، يأتى السَّرو والسِّنديان والشَّرْبينُ معا ؛ لزينة مكان مقدسى، وأمجد موضع رجلىّ.

وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين. وكلُّ الذين أهانوك ؛ يسجدون لدى باطن قدميك، ويدعونك مدينة الرب. صِهْيَوْن. قدوس إسرائيل. عوضا عن كونك مهجورة ومبغضة بلا عابر بك. أجعلُك فخرا أبديا. فرح دوْر فدور، وترضعين لبن الأمم، وترضعين ثُدىّ ملوكٍ، وتعرفين أنى أنا الرب مخلّصك. ووليك عزيز يعقوب. عوضا عن النحاس ؛ آتى بالذهب، وعوضا عن الحديد ؛ آتى بالفضة، وعوضا عن الخشب ؛ بالنحاس، وعوضا عن الحجارة ؛ بالحديد. وأجعل وكلاءك سلاما، وولاتك برّا.

لا يُسمع بعدُ ظلم فى أرضك، ولا خراب أو سَحْق فى تُخُومِك، بل تُسَمِّين أسوارك خلاصا، وأبوابك تسبيحا. لا تكونُ لك بعدُ ؛ الشمسُ نورا فى النهار، ولا القمر يُنير لكِ مضيئا، بل الرب يكون لك نورا أبديا. وإلهك زينَتَكِ. لا تغيبُ بعُد شمسك، وقمرك لا ينقُص ؛ لأن الرب يكون لك نورا أبديا، وتكمّل أيام نَوْحك. وشعبُك كلهم أبرار. إلى الأبد يرثون الأرض. غُصن غرسى. عملُ يدىّ ؛ لأتمجَّد. الصغير يصير ألفا، والحقير أمة قوية. أنا الرب فى وقته ؛ أُسرعُ به. (إش ٦٠).

البيـــان :

١ ـ إن الله تعالى عقد عهدا بينه وبين إبراهيم عليه السلام فى السير أمامه.

٢ ـ وقسم الله العهد بين إسماعيل وإسحق.

٣ ـ وكان لإسحق ولدان هما عيسو وإسرائيل. الذى هو يعقوب. واصطفى الله بنى إسرائيل للقيام بعهد الله مع إسحق.

٤ ـ وابتدأ ملكهم فى العالم من حين نزول التوراة على موسى عليه السلام. وجعل الله لهم «فلسطين» مقرا لحكمهم من أيام طالوت وداود عليهما السلام. إلى أن يظهر محمد رسول الله ﷺ.

٥ ـ وقدس العبرانيون «أورشليم» وقدس السامريون «نابلس».

٦ ـ وإذْ ملكهم قائم وشريعتهم سائدة ؛فإنه يتكلم عن أمة أخرى بقوله: «قومى استنيرى؛ لأنه قد جاء نورك...» ولا يتكلم عن «أورشليم» لأن نورها قائم بالفعل. إذْ يُتلى فيها كتاب موسى. ومنها ينتشر نوره إلى جميع أمم الأرض؛ تحقيقا لبركة إبراهيم وبركة إسحق فى الأمم. ولا يتكلم عن «نابلس» لأن السامريين لا يقدسون سفر إشعياء.

٧ ـ فعن من يتكلم فى قوله: «قومى استنيرى ؛ لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك...» ؟ إنه يتكلم عن «مكة المكرمة» وطن بنى إسماعيل المبارك فيه. فإن إبراهيم قال لله: «ليت إسماعيل يعيش أمامك» واستجاب الله دعاءه بقوله: «وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه. ها أنا أُباركه» [تك ١٧ : ٢٠].

٨ ـ وقال: إن إسماعيل سكن فى فاران. وقال: إن بركته ستتلألأ من جبال فاران. ذلك قوله: «ونادى ملاك الله هاجر من السماء، وقال لها: مالك يا هاجر. لا تخافى ؛ لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى احملى الغلام، وشدّى يدك به. لأنى سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها ؛ فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء، وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام؛ فكبر. وسكن فى البرية، وكان ينمو رامى قوس. وسكن فى برية فاران. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر» [تك ٢١ : ١٧ ـ ٢١].

وقوله: «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران. وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك» [تث ٣٣:٣].

٩ ـ إذاً النبوءة نص فى مكة المكرمة ؛ لما ذكرناه. وهكذا يجب ربط أية نبوءة من أسفار الأنبياء على محمد ﷺ بنبوءات الأسفار الخمسة. ورأس نبوءاتها: هو نبوءة عهد الظالمين.

١٠ ـ والكلام الذى فى النبوءة لا يشير إلى اليهود، ولا يشير إلى النصارى.

أما أنه لا يشير إلى النصارى ؛ فلأنهم طائفة منشقة عن اليهود. وهم واليهود أمة واحدة. كتابهم واحد هو التوراة. والمسيح كان يستدل بها على مجىء محمد ﷺ لا أنه أنشأ ديانة. ذلك قوله: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء...» [متى ٥: ١٧].

وأما أنه لا يشير إلى اليهود ؛ فلأنهم ملعونون. والنبوءة تبين أن الشعب الآتى «أبرار» ذلك قوله: «وشعبُكِ كلهم أبرار» والدليل على أن اليهود ملعونون: ما جاء فى المزمور المائة والتاسع عشر: «انتهرتَ المتكبرين الملاعين الضالين عن وصاياك» [مز ١١٩: ٢١] وجاء أنهم أشرار: «حبال الأشرار التفَّت علىّ» [مز١١٩:٦١] يعنى ـ بظهر الغيب ـ على النبى المنتظر. كناية عن مضايقة اليهود له. وفى نفس النص: «الخلاص بعيد عن الأشرار» [مز ١١٩:١٥٥] «لا لام. قال الرب للأشرار» [إش ٥٧ : ٢١] وهم اليهود

فما هو الفرق بيننا وبين القدماء ؟

هو أنهم لم يذكروا نبوءة واحدة كاملة، ولم يلحظوا الربط بين النبوءات. وبذلك لم يوجّهوا أية نبوءة على حدة، على من هى له. وهو محمد لا غير.

■■■

الفهرس



عربية للطباعة والنشر

7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين

تليفون : 3256098 - 3251043



حوار الأديان في الأندلس

لأبي العباس القرطبي

يرد على قيس من قرطبة، ويثبت صحة دين الاسلام بأدلة من التوراة والإنجيل. ويبين أن العرب لم يعبدوا الأصنام. ويثبت بادلة من التوراة بأن اليهود هم الذين عبدوا الأصنام. ويحكى: تاريخ اليهود من البداية إلى نهاية ملكهم وشريعتهم على يد محمد عليه السلام. ومؤلف الكتاب وهو الشيخ أبو العباس القرطبى شارح صحيح الإمام مسلم يذكر فى كتابه هذا: أدلة من التوراة تثبت أنها محرفة. ومنها: ما جاء فى التوراة عن موت موسى ودفنه فى أرض مو آب، ولا أحد يعرف قبره .. ويذكر حكم الطلاق فى التوراة وفى الإنجيل، ويذكر من الانجيل نصوصا تدل على أن عيسى عبد الله ورسوله، ويذكر من كتب التواريخ: أن اليهود ذمّوا عيسى عليه السلام وشتموه، وذموا أمه وشتموها.

ويذكر نصوصاً كثيرة من التوراة تدل على أن محمد «صلى الله عليه وسلم» مكتوب فيها. ويذكر: من الأناجيل الأربعة نصوصاً. ومن هذه النصوص: أسم محمد بحساب الجمل، وأسم أحمد الذى هو «فيراكليت» وان الله وملائكته يصلون على النبى، ومبارك الآتى باسم الرب، وتأييد الله لمحمد بالملائكة. ويبين المؤلف: كيفية التطابق بين نبوءات التوراة والانجيل عن محمد «صلى الله عليه وسلم» وقد تكلم كثيراً عن إباحة اليهود للربا والزنا والخيانة وقولهم «ليس علينا فى الأميين سبيل» وأستدل بأدلة من التوراة على أن اليهود ملعونون أينما ثقفوا.

الناشر